
سيدني
شيلدون
السماء
تتهاوى

SIDNEY SHELDON

THE SKY IS FALLING

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

ترجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠١٠

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ - فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

إشادات بالرواية وبـ"سيدني شيلدون". المؤلف رقم ١ في قائمة أفضل الكتب مبيعا حسب تصنيف جريدة نيويورك تايمز

"إثارة لا تنقطع..... إن المؤلف العظيم لم يفقد لمسته السحرية بعد... رواية يتصاعد فيها التشويق ويبقى مستمرا حتى الصفحات الأخيرة".

- مجلة بابيلشر ويكلي

"عندما تريد رواية لا تستطيع تركها من يديك حتى الصفحة الأخيرة، عليك بروايات سيدني شيلدون".

- مجلة نيويورك دايلي نيوز

"عندما يتعلق الأمر بتصميم حبكة درامية مليئة بالتطورات غير المتوقعة، لن تجد ندا لسيدني شيلدون".

- وكالة اسوشيتيد بريس

"قصاص من الطراز الرفيع".

- مجلة يو إس إيه توداي

"إن ما يفعله شيلدون هو أشبه بتنويم القارئ مغناطيسيا بينما يقوم برسم أبعاد حقيقية لشخصيات غاية في التميز".

- جريدة بالتيمور صن

"نموذج للقصاص العبقرى".

- مجلة بيبول

"لا يزال شيلدون يمتلك البراعة فى خلق شخصيات فريدة وقصة متميزة يتعلق بها القارئ".

- صحيفة ديترويت فري بريس

"يعد سيدني شيلدون القصاص المناسب للقراء الذين يحبون الاستمتاع بقراءة الروايات".

- صحيفة بترسبرج بريس

"قاصّ بارع في تأليف الحكايات، ساحر في استخدام الكلمات، يمتلك قدرة لا توصف على سحر قرائه".

- صحيفة فورت ورث ستار، تليجرام

سيدنى شيلدون الذى لا يضاهى

يُعْرَف سيدنى شيلدون برواياته الضخمة المثيرة، فهو مؤلف *The Sky is Falling, The Best Laid Plans, Morning, Noon & Night, Nothing Lasts Forever, The Stars Shine Down, The Doomsday Conspiracy, Memories of Midnight, The Sands of Time, Windmills of the Gods, If Tomorrow Comes, Master of the Game, Rage of Angels, Bloodline, A Stranger in the Mirror.* وكذلك روايتى "الجانب الآخر من منتصف الليل" و"حدثنى عن أحلامك"، غالبيتها تصدرت قوائم الكتب الأكثر مبيعًا على المستوى العالمى، قصته الأولى *The Naked Face* حصلت على جائزة أفضل قصة ألغاز فى العام من الـ (نيويورك تايمز) كما حصلت على جائزة من جوائز إدجار أواردز، كذلك فإن كثيرًا من أعماله تحولت إلى أفلام أو إلى مسلسلات تليفزيونية قصيرة كما أنه يوجد ما يزيد على الـ٣٠ مليون نسخة من قصصه فى العالم.

قبل أن يصبح روائيًا، كان "سيدنى شيلدون" حائزًا بالفعل على جائزة تونى عن مسرحية *Redhead* التى عُرضت على مسرح برودواى وجائزة الأكاديمية عن عمله *The Bachelor and the Bobby Soxer*، كما كتب سيناريو ٢٣ فيلمًا من بينها فيلم *Easter Parade* مع جودى جارلاند. وكذلك *Annie Get Your Gun* بالإضافة إلى ذلك فقد كتب ٦ من المسرحيات الناجحة فى برودواى، كما كتب ٣ من المسلسلات التليفزيونية الطويلة منها *Hart to Hart & I Dream of Jeannie* والتى أنتجها أيضًا. ككاتب أسعد الملايين بمسرحياته وأفلامه ورواياته الحائزة على الجوائز يأتى "سيدنى شيلدون" كواحد من أشهر وأفضل الكُتّاب مبيعًا فى كل الأزمان.

لكى تعرف المزيد عن هذا الكتاب والمؤلف، قم بزيارة www.sidneysheldon.com واشترك فى SidneySheldoneNewsletter فى موقع www.twbookmark.com .

من أجل ألكسندرا؛

الملاك الذى يحرسنى دائمًا

السماء تتهاوى! السماء تتهاوى!

ـ من قصة تشيكن ليتل

أرني بطلاً، وسوف أكتب لك مأساة.

ـ إف. سكوت فيتزجيرالد

المقدمة

مذكرة سرية إلى مسئولى العمليات: يتم تدمير المذكرة بعد الاطلاع عليها فورا.

الموقع: سرى

التاريخ: سرى

فى حجرة سرية ذات حراسة مشددة، جلس اثنا عشر رجلا، يمثلون اثنتى عشرة دولة مختلفة، فوق مقاعد مريحة فى ستة صفوف، يبعد كل صف عن الآخر مسافة عدة أقدام، وكانوا ينصتون بعناية إلى المتحدث الذى كان يخاطبهم قائلا:

"كم أنا سعيد إذ أخبركم بأن الخطر الذى كنا نشعر جميعا بالقلق الشديد حياله قد أوشك على الزوال. أنا لست فى حاجة إلى الخوض فى التفاصيل؛ لأن العالم كله سوف يسمع بالأمر خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة. تأكدوا أنه لن يوقفنا أى

شيء، وأن البوابات سوف تظل مفتوحة. والآن سوف نبدأ المزاد.
من سيفتتح المزاد ؟ نعم. مليار دولار. هل أسمع مليارين ؟
حسنًا .... هناك ملياران. هل هناك عرض بثلاثة مليارات؟"..

١

كانت تسرع الخطى على طول شارع بنسلفانيا آفينو، على بعد مربع سكنى من البيت الأبيض، وكانت ترتجف فى قلب رياح ديسمبر الباردة، عندما سمعت صفارات الإنذار تعلن فى صراخ مخيف يصم الآذان عن غارة جوية، وبعدها التقطت أذناها صوت قاذفة قنابل تحلق فوق رأسها، وتستعد لكى تلقى حمولتها من القنابل المميتة. فتوقفت متجمدة، وقد ابتلعتها غشاوة قاتمة من الرعب.

وفجأة أحست بنفسها تعود إلى سراييفو مجددًا، وصار بإمكانها أن تسمع الصفير الحاد الذى تحدثه القنابل التى تتهاوى فوق الرءوس، فأغلقت عينيها بقوة، ولكن كان من المستحيل أن تحجب عن عقلها ذلك المشهد الذى يجرى من حولها، كانت السماء ملتهبة، وقد أصم أذنيها صوت طلقات الأسلحة الأوتوماتيكية، وهدير الطائرات، وقذائف مدافع الهاون المميتة وقد تحولت المبانى القريبة إلى وابل من الأسمنت والطوب والتراب، وصار البشر يجرون فى كل اتجاه فى رعب، يسابقون الموت الذى يسرع نحوهم .

ومن مكان بعيد جدا، أتى صوت رجل يتساءل: "هل أنت بخير؟".

وببطء وحذر، فتحت عينيها، فوجدت نفسها مرة أخرى فى شارع بنسلفانيا آفينو، تسير فى ضوء أشعة شمس الشتاء الباردة، منصتة إلى صوت الطائرة النفاثة التى تتباعد فى الأفق وصوت صفارة سيارة الإسعاف الذى أعاد إليها تلك الذكريات المكبوتة.

"هل أنت بخير يا آنسة؟".

أجبرت نفسها على العودة إلى الحاضر، وردت قائلة: "نعم، أنا .... أنا بخير، شكرًا لك".

كان الرجل يحدق إليها، ثم قال: "لحظة من فضلك! ألست دانا إيفانس؟ أنا من أشد المعجبين بك. إننى أشاهدك كل ليلة فى محطة أخبار (دبليو. تي. إن)، ولقد شاهدت كل الرسائل التليفزيونية التى نقلتها من يوغسلافيا". كان صوت الرجل يمتلئ بالحماس الشديد وهو يضيف: "لابد أنها كانت تجربة مثيرة بالنسبة لك، أقصد قيامك بتغطية أحداث الحرب هناك، أليس كذلك؟".

"نعم". أحست دانا إيفانس بجفاف فى حلقها. وتمنت لو استطاعت أن تصف للرجل كيف *انه من المأسوى حقًا أن تشاهد الناس وهم يتحولون إلى أشلاء، وأن تجد أجساد الأطفال الرضع ملقاة داخل الآبار، وأن ترى بقايا بشرية تطفو فوق صفحة نهر تحول إلى اللون الأحمر القانى.*

أحست دانا فجأة بالغثيان. فقالت للرجل: "معذرة"، ثم استدارت وانطلقت مبتعدة بسرعة.

كانت دانا إيفانس قد عادت من سراييفو منذ ثلاثة أشهر، وكانت الذكريات لاتزال حاضرة فى مخيلتها إلى درجة جعلت السير فى الشوارع فى وضح النهار، وسماع صوت الطيور وهى

تشدو، والناس وهم يضحكون أمراً يبدو غير حقيقى. لم يكن هناك ضحكات فى سراييفو؛ فقط صوت انفجار قذائف المدافع والصرخات الملتاعة التى تتبعه.

لقد كان الشاعر جون دون على حق، هكذا فكرت دانا، إن الإنسان لا يعيش فى جزيرة منعزلة. وما يحدث لأحدنا، يحدث لنا جميعًا؛ لأننا قد خلقنا من تراب، ونتشارك اللحظات ذاتها. ويمر علينا جميعًا عقرب الثوانى، فى تلك الساعة الكونية، وهو يبدأ زحفه الذى لا يرحم، نحو الدقيقة التالية:

فى سنتياجو، طفلة فى العاشرة من عمرها يعتدى عليها جدها ....

فى نيويورك سيتي، عاشقان شابان يتبادلان الهمسات فى ضوء الشموع ....

فى فنلندا، فتاة فى السابعة عشرة من عمرها تضع مولوداً يستقبل العالم بصراخ شديد....

فى شيكاغو، رجل مطافئ يغامر بحياته لينقذ قطة من داخل مبنى يشتعل ....

فى ساو باولو، يتعرض المئات من الناس للموت دهسًا تحت الأقدام فى انهيار مدرجات ملعب لكرة القدم ....

فى روما، أم تبكى فرحًا وهى تشاهد طفلها يخطو خطواته الأولى ....

كل هذا ومشاهد أخرى لا حصر لها، تحدث خلال ستين ثانية، ثم يستمر عقرب الزمن فى الحركة، حتى يرسلنا جميعًا إلى نفس المصير المجهول.

كانت دانا إيفانس، التى تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا، فتاة جميلة الملامح، ذات قوام ممشوق، ينسدل على كتفيها شعر شديد السواد، ولها عينان رماديتان تشعان ذكاء، ووجه على شكل قلب، وضحكة دافئة تشع بالأمل فيمن حولها، كانت دانا

قد نشأت نشأة عسكرية كابنة لكولونيل عسكرى، كان ينتقل من قاعدة عسكرية إلى أخرى حيث كان يعمل مرشد تسليح، وكان هذا النوع من الحياة قد ولّد لدى دانا ولعًا بالمغامرات، وكانت دانا فتاة حساسة وفى نفس الوقت شجاعة لا تعرف الخوف، وكان هذا المزيج لا يقاوم، وخلال العام الذى قامت فيه دانا بتغطية أخبار الحرب فى يوغسلافيا، أصاب الناس فى كل أنحاء العالم انبهار وافتتان بتلك الشابة الجميلة المتحمسة التى تقف وسط المعارك، مخاطرة بحياتها لكى تنقل الأحداث البشعة التى تحدث من حولها. والآن، وأينما ذهبت، كانت دانا تلاحظ الإشارات والهمسات التى يطلقها الناس عندما يتعرفون عليها. لكن دانا إيفانس كانت تشعر بالحرج لكونها شخصية شهيرة .

كانت دانا تسرع الخطى على طول شارع بنسلفانيا آفينو، عابرة أمام البيت الأبيض، ثم نظرت إلى ساعتها وقالت فى نفسها: *"سوف أتأخر عن الاجتماع"* .

كانت مؤسسة واشنطن تريبيون إنتربريس تحتل مربعا سكنيا كاملا فى الشارع السادس، وتمتلك أربعة مبان منفصلة: المطبعة التابعة للجريدة، مبنى مكاتب العاملين بالجريدة، برج المدراء التنفيذيين، ومجمع البث التليفزيونى. وكانت استوديوهات شبكة واشنطن تريبيون التليفزيونية تحتل الطابق رقم ستة من المبنى الرابع، وكان المكان دائمًا ما يمتلئ بالطاقة والحيوية، وتغلفه همهمات الفنيين الذى يعملون على أجهزة الكمبيوتر. وكانت البرامج الإخبارية المتعددة تبث فى كل لحظة مستجدات الأحداث فى كل أنحاء المعمورة، وكانت ضخامة العمل فى المؤسسة الإخبارية دائمًا ما تبهر وتثير حماس دانا.

وفى ذلك المكان تعرفت دانا على جيف كونورز ـ الذى كان لاعب بيسبول شهيرًا قبل أن يتعرض لإصابة فى ذراعه نتيجة حادثة تزلج، والآن صار مراسلا رياضيًا فى محطة (دبليو. تى. إن)

ويكتب عمودًا يوميًا فى صحيفة واشنطن تريبيون. كان جيف فى الثلاثينات من عمره، وكان طويلاً ونحيلا، وله ملامح طفولية وسحر هادئ جذب إليه أنظار الناس. وكان جيف و دانا قد وقعا فى غرام بعضهما البعض، وصارا يتحدثان عن أمر الزواج.

خلال الشهور الثلاثة التى أعقبت عودة دانا من سراييفو، كانت الأحداث بواشنطن تتوالى بسرعة، حيث كان ليسلى ستيوارت ـ المالك السابق لمؤسسة واشنطن تريبيون إنتربريس ـ قد باع كل أسهمه فى المؤسسة واختفى عن الأنظار، وبيعت المؤسسة إلى إيليوت كرومويل ـ أحد أباطرة الإعلام فى العالم .

كان الاجتماع الصباحي الذى عقد مع مات بيكر و إيليوت كرومويل على وشك أن يبدأ، وعندما وصلت دانا، استقبلتها آبى لازمان، مساعدة مات، ذات الشعر الأحمر المثير.

قالت آبى: "إن الرفاق بانتظارك".

ردت دانا: "شكرًا يا آبى"، ثم دلفت إلى حجرة المكتب الذى يحتل الزاوية، وقالت محيية: "مرحبًا يا مات .... مرحبا يا إيليوت".

رد مات بيكر مزمجرًا: "لقد تأخرت".

كان مات بيكر رجلا قصيرًا، رمادى الشعر، فى أوائل الخمسينات من العمر، يتميز بأسلوب فظ، وقلة صبر تذكيها عقلية عبقرية لا تهدأ، وكان بيكر يرتدى حلة مجعدة بدت وكأنه كان ينام بها، ولقد راودت الشكوك دانا فى أنه ربما يكون قد فعل ذلك بالفعل. كان بيكر يدير محطة (دبليو. تى. إن) الإخبارية التى كانت تمثل العمود الفقرى للشبكة التليفزيونية التابعة لمؤسسة واشنطن تريبيون إنتربريس.

أما إيليوت كرومويل، فكان فى الستينات من العمر، وكان يتميز بأسلوب ودود متفتح وابتسامة لا تفارق وجهه، كان

إيليوت مليارديرًا فاحش الثراء، لكن كانت هناك روايات مختلفة تتعلق بالطريقة التى كوّن بها ثروته الواسعة، وبعض تلك الروايات لا تشرّف صاحبها. لكن فى مجال الإعلام، حيث الهدف هو نشر المعلومات، كان إيليوت كرومويل لغزًا غامضًا.

نظر إيليوت إلى دانا وقال: "لقد أخبرنى مات أننا نتفوق على المحطات المنافسة مجددا، إن معدل المشاهدة الخاص ببرامجك الإخبارية فى ارتفاع مستمر".

"أنا سعيدة لمعرفة ذلك يا إيليوت".

"دانا، إننى أشاهد العشرات من النشرات الإخبارية كل ليلة، لكن نشرتك مختلفة عن الأخرى. أنا لست واثقا من السبب تحديدًا، لكنى أحب مشاهدتها".

كان باستطاعة دانا أن تخبر إيليوت كرومويل بالسبب، فمذيعو الأخبار الآخرون يلقون الأخبار على الملايين من المشاهدين دون أن يخاطبوهم بشكل حقيقى، أما دانا، فقد قررت أن تضفى على نشرتها الإخبارية طابعا شخصيا، وفى مخيلتها، كانت ترى نفسها تتحدث إلى أرملة وحيدة فى إحدى الليالى، وفى الليلة التالية تتخيل نفسها تتحدث إلى قعيد يرقد عاجزًا فى سريره، وفى الليلة التالية إلى بائع متجول، يرتحل بعيدا عن منزله وعائلته طلبا للقمة العيش، لقد كانت تقاريرها الإخبارية تبدو شخصية وحميمة، وكان المشاهدون يحبون تلك التقارير ويستجيبون لها.

قال مات بيكر: "لقد علمت أنك سوف تستضيفين الليلة ضيفًا مثيرًا للاهتمام وتجرين معه حوارًا".

أومأت دانا وقالت: "جارى وينثروب".

كان جارى وينثروب هو أحد أمراء الأحلام الأمريكيين. فقد كان ربيب عائلة من أشهر وأقوى العائلات الأمريكية، وكان شابًا ووسيمًا وساحر الطباع.

قال كرومويل: "إنه لا يحب الدعاية الشخصية، فكيف أقنعته بالموافقة على الحضور لبرنامجك؟"

ردت دانا: "تجمعنا هواية مشتركة".

ارتفع حاجبا كرومويل فى استغراب وقال: "حقًا؟".

ابتسمت دانا وردت: "نعم، إننى أهوى مشاهدة لوحات مونيتس وفان جوخ، وهو يهوى شراءها. لقد أجريت معه مقابلة من قبل، وصارت تربطنا صداقة جيدة. سوف نعرض أولاً شريطًا للمؤتمر الصحفى الخاص به ـ الذى سنقوم بتغطيته فى فترة الظهيرة ـ وبعدها سوف تبدأ مقابلتى معه".

تهلل وجه كرومويل وقال: "رائع".

انقضت الساعة التالية فى التحدث عن البرنامج الجديد الذى تخطط الشبكة لإنتاجه بعنوان "*خط الجريمة*"، وهو عبارة عن برنامج تحقيقات مدته ساعة من الزمن ومن المفترض أن تقوم دانا بإعداده وتقديمه. وللبرنامج هدف مزدوج: تصحيح الأحكام الظالمة التى صدرت بحق أبرياء، وإثارة الاهتمام بحل لغز الجرائم التى قيدت ضد مجهول.

قال مات محذرا: "هناك الكثير من البرامج الواقعية تبث فى مختلف المحطات، ولذلك علينا أن نكون أفضل منهم. أريد أن نبدأ بقضية مثيرة ـ شيء يجذب انتباه المشاهدين و....".

رن جرس الهاتف الداخلى، فضغط مات بيكر على أحد الأزرار، وقال: "لقد أخبرتك ألا تحولى أى مكالمات. لماذا ....؟".

انطلق صوت آبى عبر سماعة الهاتف الداخلى: "عذرًا، لكن المكالمة للآنسة دانا إيفانس. إن المتصل هى مدرسة كيمال، ويبدو أن الأمر عاجل".

نظر مات بيكر إلى دانا وقال: "الخط الأول".

التقطت دانا سماعة الهاتف، وقلبها يخفق بقوة، ثم قالت: "مرحبًا .... هل كيمال بخير؟" ثم أنصتت دقيقة، وأخيرا

قالت: "حسنًا ..... فهمت .... نعم، سوف آتى على الفور"، ثم وضعت سماعة الهاتف.

تساءل مات: "ما الخطب؟".

قالت دانا: "إنهم يريدوننى أن أذهب إلى المدرسة لاصطحاب كيمال".

ظهر العبوس على وجه إيليوت كرومويل وقال: "ذلك الصبى الذى جلبته معك من سراييفو؟".

"نعم".

"يا لها من قصة غريبة".

قالت دانا على مضض: "نعم".

"ألم تعثرى عليه وهو يعيش فى موقع بناء مهجور؟".

قالت دانا: "هذا صحيح".

"هل كان يعانى من مرض ما؟".

قالت دانا بصرامة، وهى كارهة حتى الحديث عن تلك الأيام: "كلا. لقد فقد كيمال إحدى ذراعيه بسبب قنبلة انفجرت بالقرب منه".

"وهل قمت بتبنى ذلك الصبى؟".

"ليس بشكل رسمى يا إيليوت، ولكنى سوف أفعل ذلك، حتى الآن، أنا مجرد وصية قانونية عليه".

"حسنًا، اذهبى إليه، وسوف نناقش برنامج خط الجريمة لاحقًا".

عندما وصلت دانا إلى مدرسة تيودور روزفلت الإعدادية، توجهت مباشرة إلى مكتب المدير المساعد للمدرسة. كانت المديرة المساعدة، فيرا كوستوف ـ وهى امرأة فى عقدها السادس، ذات نظرات حادة، وشعر رمادى كساه الشيب مبكرًا ـ تجلس وراء مكتبها، وقد جلس كيمال فى الناحية المقابلة لها. كان كيمال صبيًا يبلغ الحادية عشرة من العمر، أقل حجمًا من سنه، نحيلاً

شاحب الوجه، ذا شعر أشقر أشعث وذقن حاد يدل على عناد شديد، وفى المكان الذى كان من المفترض أن تتواجد فيه ذراعه اليمنى، لم يكن هناك سوى كم فارغ، وقد بدا الصبى ـ بفعل جسده النحيل ـ قزما يجلس فى حجرة واسعة.

عندما دلفت دانا إلى الداخل، كان جو الغرفة يشع بالتجهم والكآبة.

قالت دانا بابتهاج: "مرحبا سيدة كوستوف ... مرحبا يا كيمال".

كان كيمال يحدق النظر إلى حذائه.

أكملت دانا تقول: "أفهم أن هناك مشكلة، أهذا صحيح؟".

ردت السيدة كوستوف: "نعم، بالتأكيد هناك مشكلة يا آنسة دانا"، ثم سلمت دانا قطعة من الورق.

حدقت دانا إلى الورقة فى حيرة شديدة. وكانت الورقة تحمل هذه الكلمات: "*فودجا، بيزدا، زيوستى، فوكاتى، نيزاكونسكى، أوتروك، أومرتى، تيبيك*". نظرت دانا إلى المديرة المساعدة وقالت: "أنا .... أنا لا أفهم شيئًا. هذه كلمات باللغة الصربية، أليس كذلك؟".

قالت السيدة كوستوف بحدة: "نعم، إنها كذلك. ومن سوء حظ كيمال أننى أنتمى إلى أصول صربية. وهذه هى الكلمات التى يستخدمها كيمال فى المدرسة". احمر وجه السيدة كوستوف وهى تردف: "إن سائقى الشاحنات الصربيين لا يتحدثون بلغة قذرة كهذه يا آنسة دانا، وأنا لن أسمح بأن تخرج كلمات كهذه من فم هذا الصبى. لقد لقبنى كيمال بال "بيزدا ".

قالت دانا: "بيزدا....؟ ".

"لقد أدركت أن كيمال حديث العهد ببلادنا، ولقد حاولت أن أتسامح معه بسبب ذلك، لكن سلوكه مستهجن للغاية. فهو دائم التشاجر مع الآخرين، وعندما وبخته هذا الصباح، أهاننى وشتمنى، لقد زاد الأمر حدة".

قالت دانا بلباقة: "أنا متأكدة من أنك تعلمين صعوبة الأمر عليه يا سيدة كوستوف، و ....".

"كما أخبرتك منذ قليل، لقد سامحته كثيرا، لكنه يمتحن صبرى طوال الوقت".

"أنا أتفهم ذلك"، ثم نظرت دانا إلى كيمال، الذى كان لا يزال ينظر إلى الأرض، متجهم الملامح.

قالت السيدة كوستوف: "إننى حقاً أتمنى أن تكون هذه هى آخر مشكلة تصدر عنه".

نهضت دانا وهى تقول: "وأنا كذلك".

قالت السيدة كوستوف: "لقد جهزت لك التقرير المدرسى الخاص بكيمال"، ثم فتحت أحد الأدراج، وأخرجت منه أحد التقارير، وناولته لدانا.

قالت دانا: "شكرا لك".

فى طريق العودة إلى المنزل، ظل كيمال صامتًا.

تساءلت دانا: "ماذا يجب أن أفعل معك؟ لماذا تتشاجر طوال الوقت، ولماذا تستخدم كلمات كهذه؟".

"لم أكن أعلم أنها تتحدث الصربية".

عندما وصلا إلى شقة دانا، قالت: "سوف أضطر للعودة إلى الاستوديو يا كيمال، هل ستكون على ما يرام هنا بمفردك؟".

"وعد".

عندما أجابها كيمال بهذه الكلمة للمرة الأولى، ظنت دانا أنه لم يفهم كلامها، لكنها سرعان ما عرفت أن تلك الكلمة كانت جزءًا من اللغة الاصطلاحية التى يستخدمها الجيل الجديد، حيث إن كلمة "وعد" تعنى "نعم" وعندما تستخدم كلمة "مدهش" لوصف شخص من الجنس الآخر فإنها تعنى مثيرًا جدًا ومغريًا للغاية، وكل شىء بالنسبة لهم يمكن وصفه بكلمات مثل: "رائع"

أو "لطيف" أو "مثير" أو "مرعب". وإذا كان هناك شىء لا يعجبهم، فإنه يستحق لقب "مقرف".

أخرجت "دانا" التقرير المدرسى الذى أعطته لها السيدة كوستوف، وبينما كانت تقوم بقراءته، ضمت شفتيها امتعاضًا وضيقًا. فقد جاءت مستويات كيمال على النحو التالى: تاريخ: ضعيف جدا؛ إنجليزى: ضعيف جدا؛ علوم: ضعيف جدا؛ دراسات اجتماعية: راسب؛ رياضيات: امتياز.

نظرت دانا إلى التقرير وفكرت: *يا إلهى، ماذا سأفعل؟* ثم قالت مخاطبة كيمال: "سوف نناقش ذلك لاحقا، فقد تأخرت عن العمل".

كان كيمال لغزًا محيرًا بالنسبة لدانا. فعندما يكونان معا، كان كيمال يتصرف بشكل رائع. فقد كان حنونا ولطيفا ومراعيا لشعورها. وفى إجازات نهاية الأسبوع، حولت دانا ـ وجيف ـ واشنطن إلى ما يشبه ملعبا كبيرا بالنسبة لكيمال، فقد اصطحباه إلى حديقة الحيوان بما تحويه من فصائل متعددة من الحيوانات المتوحشة، ووقفوا جميعا يتطلعون فى انبهار إلى حيوان الباندا العملاق، وكذلك قاموا بزيارة المتحف القومى للطيران والفضاء، حيث شاهد كيمال الطائرة الأولى التى اخترعها الأخوان رايت تتدلى من سقف المتحف، ثم زاروا محطة الفضاء "سكاى لاب" ولمسوا بعض الأحجار التى جلبها رواد الفضاء من القمر، ثم ذهبوا إلى مركز كيندى لأبحاث الفضاء، ومن بعده إلى مسرح آرينا ستادج، وكذلك قاما بتعريف كيمال بالبيتزا فى مطعم "توم توم"، وبوجبة التاكوس المكسيكية فى مطعم "مكسيتيك"، وبالدجاج المقلى على الطريقة الجنوبية فى مطعم "جورجيا براون"، ولقد أحب كيمال كل لحظة من تلك اللحظات، وكان يعشق وجوده بصحبة دانا وجيف.

لكن.... عندما كانت دانا تضطر لتركه من أجل الذهاب إلى العمل، كان كيمال يتحول إلى شخص آخر ـ شخص عدائى وميال للمواجهات. وكان من المستحيل بالنسبة لدانا أن تستعين بأية مديرة منزل، وكانت الجليسات يحكين حكايات مرعبة عن الليالى التى يقضينها بصحبة كيمال.

ولقد حاولت دانا وجيف التحدث إليه بعقلانية، لكن لم يكن لذلك أى تأثير، وظنت دانا أن كيمال قد يحتاج إلى مساعدة من شخص متخصص. ولكنها كانت تجهل المخاوف الرهيبة التى تراود كيمال طوال الوقت .

كانت نشرة أخبار المساء التى تبثها محطة (دبليو. تي. إن) تذاع على الهواء مباشرة، وقد جلس كل من ريتشارد ميلتون ـ المذيع الجذاب الذى يشارك دانا فى تقديم الأخبار ـ وجيف كونورز، إلى جوار دانا.

كانت دانا إيفانس تقول: ".....وبالنسبة للأخبار العالمية، لا تزال فرنسا وانجلترا تبذلان جهودا مكثفة للسيطرة على مرض جنون البقر الذى أصاب الماشية وعزل المصابة منها، وإليكم تقريرًا حيًا من مدينة لانس الفرنسية تقدمه رينيه لينود".

وفى حجرة التحكم، قالت المخرجة، آنستاسيا مان، فى لهجة آمرة: "انتقل إلى المشهد الخارجى".

وفى ثوان، ظهر مشهد، يمثل إحدى مناطق الريف الفرنسى، على شاشات التلفاز.

فتح باب الاستوديو، ودلف منه بضعة رجال وتوجهوا إلى منصة المذيعين.

نظر الجميع إلى الحضور، وقال توم هوكينز ـ المنتج الشاب الطموح المسئول عن نشرة أخبار المساء: "دانا، أظنك تعرفين جارى وينثروب".

"بالطبع".

كان جارى وينثروب أكثر وسامة فى الحقيقة عنه فى الصور. كان الرجل فى الأربعينات من العمر، وذا عينين زرقاوين متألقتين، وابتسامة دافئة، وجاذبية غير عادية.

"ها نحن نلتقى مجددًا يا دانا، شكرا على دعوتك لى".

"أقدر حضورك إلى هنا".

نظرت دانا حولها، فوجدت أن عشرات السكرتيرات قد وجدن فجأة أسبابًا متعددة للتواجد فى الأستوديو، فقالت دانا لنفسها فى استمتاع: *"لابد أن جارى وينثروب معتاد على مثل هذه التصرفات"*.

قالت دانا مخاطبة جارى وينثروب: "سوف يبدأ الجزء الخاص بك بعد دقائق، لماذا لا تأتى وتجلس هنا بجانبى؟ هذا زميلى ريتشارد ميلتون"، تصافح الرجلان، ثم قالت دانا: "وأظنك تعرف جيف كونورز، أليس كذلك؟".

"بدون شك. يجب أن تكون فى الملعب الآن يا جيف، وليس جالسا تتحدث عن المباراة".

قال جيف فى أسف: "ليتنى أستطيع".

انتهى البث الخارجى من فرنسا، وبدأ عرض الإعلانات التجارية، وقد جلس جارى وينثروب وشاهد الإعلانات حتى انتهت فترتها.

وفى حجرة التحكم، قالت آنستاسيا مان: "استعدوا. سوف نبدأ عرض الشريط"، ثم بدأت العد التنازلى فى صمت، مستخدمة إصبعها السبابة: "ثلاث .... اثنان .... واحد .....".

تغير المنظر الذى تعرضه شاشات العرض وتحول إلى مشهد خارجى لمتحف جورج تاون للفنون، وكان هناك معلق يحمل فى يديه ميكروفونا، وقد وقف يرتعد فى الرياح الباردة.

قال المعلق: "نحن الآن نقف أمام متحف جورج تاون للفنون، حيث يقوم السيد جورج وينثروب ـ فى احتفال رسمى بالداخل ـ بالتوقيع على شيك المنحة المقدمة منه لمتحف جورج تاون

للفنون. وقيمتها خمسون مليون دولار، دعونا ننتقل إلى داخل المتحف".

تغير المشهد المعروض على الشاشة وتحول إلى البهو الفسيح لمتحف الفنون، وبداخله وقف عدد كبير من مسئولى المدينة، وأصحاب المقام الرفيع، وقد التفت أطقم التصوير التليفزيونى حول السيد جارى وينثروب، بينما كان مدير المتحف، مورجان أورماند، يقدم لوحة مزينة إلى السيد جارى وينثروب.

"سيد وينثروب، بالنيابة عن هذا المتحف، ومئات الزائرين الذين يأتون إلى هنا، والقائمين على شئون المتحف، أود أن أشكرك على هذه المساهمة السخية".

وانطلقت عدسات الكاميرات تلتقط عشرات الصور.

قال جارى وينثروب: "أتمنى أن تعطى هذه المنحة للرسامين الأمريكيين الشبان فرصة أفضل، ليس للتعبير عن أنفسهم فقط، ولكن لكى يتعرف العالم بأكمله على مواهبهم".

انخرط الحضور فى تصفيق حاد.

وكان المعلق على الشريط يقول: "كان معكم بيل تولاند من متحف جورج تاون للفنون، والآن نعود إلى الاستوديو، إليك الميكروفون يا دانا".

وانطلق الضوء الأحمر الخاص بالكاميرا.

قالت دانا: "شكرا لك يا بيل. ونحن سعداء بأن يكون معنا بالاستوديو السيد جارى وينثروب لكى يشرح لنا الهدف من تلك المنحة السخية".

تراجعت الكاميرا إلى زاوية أوسع، كاشفة عن وجود جارى وينثروب بالاستوديو.

قالت دانا: "هذه المنحة التى تقدر بخمسين مليون دولار، هل ستستخدم لشراء مزيد من اللوحات من أجل المتحف يا سيد وينثروب؟".

"كلا، سوف يخصص هذا التبرع لإنشاء جناح جديد سيتم تخصيصه للرسامين الأمريكيين الشبان الذين ربما لا يجدون فرصة لعرض مواهبهم فى ظل عدم وجود مكان كهذا، وكذلك سيتم تخصيص جزء من التمويل من أجل تقديم منح دراسية للأطفال الموهوبين فى المدن الفقيرة. فهناك الكثير من الشباب يكبرون دون أن يعلموا أى شىء عن الفن، وقد يعلمون القليل عن عظماء مدرسة الرسم الانطباعى الفرنسيين، لكنى أريدهم أن يدركوا قيمة إرثهم الثقافى الأمريكى عن طريق دراسة أعمال فنانين مثل سارجانت، هومر، ووريمنجتون. وسوف تخصص هذه الأموال لتشجيع الرسامين الشبان على إظهار مواهبهم، ولتحفيز كل الشباب على الاهتمام بالفن".

قالت دانا: "هناك إشاعة تفيد بأنك تخطط لترشيح نفسك لعضوية مجلس الشيوخ يا سيد وينثروب. فهل هناك أى حقيقة وراء هذه الإشاعة؟".

ابتسم السيد وينثروب وقال: "ما زلت أدرس الأجواء السياسية الحالية".

"إنها مشجعة للغاية، ولقد اكتشفنا ـ من خلال استطلاعات الرأى غير الرسمية ـ أنك تتفوق على منافسيك بدرجة كبيرة".

أومأ جارى وينثروب موافقا وقال: "إن لعائلتى سجلا كبيرا فى تقلد المناصب الحكومية، وإذا استطعت أن أفيد هذا البلد بأى شكل، فسوف أقوم بكل الأعمال التى تناط بى على أكمل وجه ممكن".

"شكرا على تواجدك معنا يا سيد وينثروب".

"شكرا لك".

خلال التوقف لعرض الإعلانات التجارية، ودّع جارى وينثروب الحضور وغادر الاستوديو.

قال جيف كونورز، وهو يجلس بجوار دانا: "نحن بحاجة إلى المزيد من الرجال من نوعية هذا الرجل داخل مجلس الشيوخ".

"أتمنى ذلك".

"ربما يمكننا استنساخه. بالمناسبة، كيف حال كيمال؟".

جفلت دانا وقالت: "جيف .... من فضلك لا تذكر كيمال والاستنساخ في نفس الوقت، أنا لا أستطيع تحمل الأمر".

"هل انتهت المشكلة التي أثارها بالمدرسة هذا الصباح على خير؟".

"نعم، لكن ذلك كان اليوم، أما الغد ....".

قالت آنستاسيا مان: "لقد عدنا للتصوير. ثلاث .... اثنان .... واحد .....".

عاد الضوء الأحمر للتألق، فنظرت دانا إلى شاشة جهاز التلقين وقالت: "والآن حان وقت الأخبار الرياضية مع جيف كونورز".

نظر جيف إلى الكاميرا وقال: "غاب اللاعب الساحر مارلين ذا ماجيشن عن مباراة فريقه واشنطن بوليتس الليلة. ولقد حاول جوان هوارد ممارسة ألعابه الساحرة، وعاونه في ذلك جورجي مورسان ورشيد والاس من خلال الكثير من التمريرات المثيرة، لكن دون فائدة، وقد اضطر اللاعبون أخيرًا إلى تقبل الهزيمة ولملمة كبريائهم التي أهدرت على أرض الملعب ....".

في تمام الساعة الثانية صباحًا، وفي منزل جاري وينثروب في المنطقة الشمالية الغربية من واشنطن، التي يسكنها علية القوم، كان هناك رجلان ينزعان اللوحات عن جدران حجرة الرسم، وكان أحدهما يرتدي قناع الكابتن ميدنيت والثاني يضع قناع الشرطي لونر ـ الشخصيتين التليفزيونيتين الشهيرتين. كان

الرجلان يعملان بإيقاع بطيء، فكانا يقطعان الصور من الإطارات ثم يضعان الغنيمة في أكياس قطنية.

تساءل الشرطي لونر: "متى تمر سيارة الدورية؟".

أجاب الكابتن ميدنيت: "في الرابعة صباحا".

"كم هو تصرف رائع من قبل رجال الدورية أن يلتزموا بجدول المواعيد لمصلحتنا، أليس كذلك؟".

"نعم".

نزع الكابتن ميدنيت إحدى اللوحات من فوق الحائط، ثم أسقطها على الأرضية الخشبية، محدثا صوتًا مرتفعًا. وتوقف الرجلان عن العمل وأنصتا جيدًا، لكنهما لم يسمعا سوى الصمت المطبق.

قال الشرطي لونر: "حاول مرة أخرى، لكن بصوت أعلى هذه المرة".

نزع الكابتن ميدنيت لوحة أخرى وألقاها بقوة على الأرض قائلا: "لنرى ما سيحدث الآن".

وفي غرفته بالطابق العلوي، استيقظ جاري وينثروب بسبب الصوت المرتفع، فاعتدل في فراشه، وتساءل إن كان قد سمع صوتًا حقًا أم أنه كان يحلم، ثم أنصت للحظة طويلة، لكنه لم يسمع شيئا. ونتيجة لشعوره بالشك، نهض جاري من فراشه وخرج إلى الرواق ثم ضغط على مفتاح الإضاءة، لكن الرواق ظل يسبح في ظلام دامس.

"أهناك أحد بالأسفل؟"لم يجبه أحد، وعندما هبط جاري إلى الطابق السفلي، سار على طول البهو حتى وصل إلى باب حجرة الرسم، فتوقف محدقا النظر في اندهاش إلى الرجلين المقنعين.

"ماذا تفعلان هنا بحق السماء؟".

استدار الشرطي لونر إليه وقال: "مرحبًا يا جاري، نأسف لأننا قد أيقظناك، عد إلى فراشك مجددًا"، كان الرجل يتحدث وفي يده مسدس مزود بكاتم للصوت، ثم ضغط الزناد مرتين

وشاهد الدماء تتفجر من صدر جارى وينثروب، وشاهد الرجلان جارى وينثروب يسقط على الأرض، وعندما تأكدا من موته، استدارا مجددًا وعادا إلى انتزاع اللوحات من فوق الحائط.

٢

استيقظت دانا إيفانس على صوت رنين الهاتف الذى لا ينقطع، وبصعوبة بالغة اعتدلت فى فراشها ونظرت إلى الساعة الموضوعة بجوار الفراش بعينين غائمتين من الإرهاق. كانت الساعة تشير إلى الخامسة فجرًا، فالتقطت دانا سماعة الهاتف وقالت: " مرحبًا...".

"دانا....".

"أهذا أنت يا مات ؟".

"يجب أن تأتى إلى الاستوديو بأسرع وقت".

"ماذا هناك ؟".

"سوف أخبرك بكل شىء عندما تحضرين".

"سوف آتى على الفور".

بعد ربع ساعة، كانت دانا - التى ارتدت ملابسها على عجل - تطرق باب شقة عائلة وارتون، جيرانها فى المنزل المجاور.

فتحت دوروثى وارتون الباب، وهى ترتدى ملابس النوم، ونظرت إلى دانا بقلق، ثم قالت: " دانا، ما الخطب؟".

"أكره أن أفعل بك هذا يا دوروثى، ولكنى استدعيت إلى الأستوديو لمسألة طارئة، فهل تمانعين فى توصيل كيمال إلى المدرسة؟".

"بالطبع لا أمانع، يسرنى ذلك".

"شكرًا جزيلا لك. يجب أن يصل كيمال إلى المدرسة فى السابعة وخمس وأربعين دقيقة، وسوف يحتاج إلى تناول الإفطار".

"لا تقلقى، سوف أتولى الأمر، والآن أسرعى إلى الاستوديو".

قالت دانا بامتنان: " شكرا لك".

كانت آبى لازمان تجلس فى مكتبها، وقد بدت عليها آثار النعاس، ولكنها قالت على الفور: " إنه ينتظرك بالداخل".

وبسرعة دلفت دانا إلى داخل مكتب مات بيكر.

قال مات: " لدىّ بعض الأخبار المزعجة، لقد قُتل جارى وينثروب هذا الصباح".

سقطت دانا فوق أحد المقاعد مذهولة، وقالت فى شرود: " ماذا؟ من.... ؟".

"من الواضح أن منزله كان يتعرض لعملية سطو، وعندما واجه جارى اللصوص، أردوه قتيلا".

"أوه، كلا ! لقد كان شخصًا رائعًا !"، تذكرت دانا ذلك الود والدفء الذى كان يتمتع به ذلك الرجل الساحر الذى كان يكثر من الأعمال الخيرية، وشعرت بالغثيان يجتاحها.

هز مات رأسه فى عدم تصديق وقال: " يا إلهى، إن هذا يجعل الرقم يصل إلى خمس مآس".

شعرت دانا بالحيرة، فقالت فى تساؤل: "ماذا تقصد بخمس مآس؟".

نظر إليها مات باندهاش، ثم أدرك الأمر فجأة قائلاً: "بالطبع ـ لقد كنت فى سراييفو، وأظن أنه فى وسط الحرب الدائرة

هناك، فإن ما حدث لعائلة وينثروب خلال العام الماضى لا يعد من الموضوعات التى تتصدر نشرات الأخبار، أنا واثق أنك تعرفين ماذا حدث مع تايلور وينثروب، والد جارى؟".

"لقد كان سفيرنا فى روسيا، وقد لقى مصرعه بصحبة زوجته فى حريق اندلع فى العام الماضى".

"بعد شهرين من الحريق، لقى ابنهما بول مصرعه فى حادث تحطم دراجة بخارية. وبعد ستة أسابيع من ذلك الحادث، لقيت ابنتهما جوليا حتفها فى حادث تزلج". صمت مات للحظة، ثم أضاف: " وفى هذا الصباح، لقى جارى ـ آخر أفراد العائلة ـ مصرعه".

أصاب الاندهاش دانا بحالة من الصمت.

"دانا، لقد كانت عائلة وينثروب أسطورة، ولو أن هناك عائلة ملكية فى هذا البلد، لكانت هذه العائلة الأولى بالتاج الملكى. لقد اخترعت هذه العائلة معنى جديدًا للجاذبية والسحر، لقد كانوا يتمتعون بشهرة عالمية لحبهم للأعمال الخيرية وتوليهم للمناصب الحكومية. لقد كان جارى يخطط لمتابعة مسيرة والده والترشح لعضوية مجلس الشيوخ، وكان فوزه مسألة مضمونة. لقد أحب الجميع جارى، والآن رحل الرجل إلى مثواه الأخير. فى أقل من عام واحد، تعرضت واحدة من أشهر العائلات فى العالم للإبادة التامة".

"أنا.... أنا لا أدرى ماذا أقول".

قال مات بحيوية: " من الأفضل أن تفكرى فى شيء ما، فسوف تكونين على الهواء بعد عشرين دقيقة".

تسببت أنباء مصرع جارى وينثروب فى بث حالة من الصدمة فى جميع أرجاء المعمورة. وقد امتلأت شاشات التلفاز العالمية بتعليقات من كبار رجال الحكومة.

"إن الأمر أشبه بالمآسى الإغريقية....".

"أمر لا يصدق....".

"تقلب ساخر فى مجريات الواقع....".

"لقد تعرض العالم بأكمله لخسارة مفجعة.....".

"لقد كانوا الأشهر والأفضل، والآن رحلوا جميعًا....".

بدا كأن جريمة قتل جارى وينثروب هى محور حديث الناس فى كل مكان. واجتاحت البلاد موجة من الحزن الشديد. فقد أعادت وفاة جارى إلى الأذهان ذكريات حالات الموت المأساوية التى حدثت للعائلة.

قالت دانا لجيف: " إنه أمر لا يصدق، لابد أن أفراد العائلة كلهم كانوا رائعين للغاية".

"لقد كانوا كذلك بالفعل. لقد كان جارى من محبى الرياضة ومساندًا كبيرًا للفرق الرياضية بالمدينة"، هز جيف رأسه فى أسف وأردف: " من الصعب على المرء أن يصدق أن لصين حقيرين قد تسببا فى مقتل شخص رائع كهذا".

أثناء قيادة السيارة إلى الاستوديو فى الصباح التالى، قال جيف: "بالمناسبة، لقد وصلت ريتشيل للمدينة".

فكرت دانا: بالمناسبة! يا لها من طريقة عابرة لذكر الأمر. بل هى طريقة عابرة أكثر من اللازم.

كان جيف متزوجًا من ريتشيل ستيفنس، وهى عارضة أزياء شهيرة. وكانت دانا قد رأت صورها فى الإعلانات التليفزيونية وعلى أغلفة المجلات، وكان من الصعب عليها أن تصدق مدى جمال تلك المرأة. ولكن دانا قالت لنفسها إن ريتشيل قد لا تمتلك أى خلايا مخية داخل رأسها، لكنها عادت وأقرت أن ريتشيل ـ بهذا الوجه الجميل والجسد المثير الذى تمتلكه ـ ربما لا تحتاج إلى أى خلايا مخ على الإطلاق.

كانت دانا قد تحدثت مع جيف من قبل عن زواجه من ريتشيل، وسألته: " ما الذى حدث لزواجكما ؟".

فقال لها جيف: " لقد كان الزواج رائعًا فى البداية. فقد كانت ريتشيل تساندنى بشكل كبير. وعلى الرغم من كراهيتها لرياضة البيسبول، فقد اعتادت الحضور إلى الملعب لكى تشاهدنى وأنا ألعب. علاوة على ذلك، فقد كان بيننا الكثير من الميول المشتركة".

تمتمت دانا سراً: *لا أشك فى ذلك.*

أكمل جيف يقول: " إنها بالفعل امرأة رائعة، وغير مدللة أو تافهة على الإطلاق، لقد كانت تحب الطبخ، وعندما كانت فى موقع التصوير، فإنها كانت تطبخ لبقية زميلاتها العارضات".

عادت دانا تتمتم: *طريقة مؤكدة للتخلص من المنافسات. لعلهن كن يتساقطن كالذباب من جراء طعامها الفاسد.*

قال جيف: " ماذا تقولين ؟".

"أنا لم أقل أى شىء".

"على أى حال، لقد دام زواجنا لمدة خمس سنوات".

"وماذا حدث بعد ذلك ؟".

"كانت ريتشيل ناجحة للغاية، وكانت بيوت الأزياء تستخدمها طوال الوقت، واضطرها عملها للتنقل بين مختلف البلدان فى العالم: إيطاليا.... إنجلترا.... جاميكا.... تايلاند.... اليابان..... والكثير من الدول الأخرى. وفى نفس الوقت، كنت مشغولاً بمباريات فريقى، وجعلنى ذلك أتنقل بين مختلف المدن الأمريكية، ولهذا لم يعد أحدنا يرى الآخر إلا قليلاً، وبالتدريج، زال السحر وخبت نار الحب".

كان السؤال التالى يبدو منطقيًا، حيث إن جيف يحب الأطفال، ولهذا قالت دانا: " لماذا لم تنجبا أطفالا ؟".

ابتسم جيف بتهكم وقال: " الحمل والولادة يضران بجسد عارضة الأزياء، وفى يوم من الأيام، أرسل رودريك مارشال ـ

أحد كبار المخرجين فى هوليوود ـ يطلب ريتشيل من أجل تصوير فيلم سينمائى، فذهبت ريتشيل إلى هوليوود". تردد جيف قليلا، ثم قال: " اتصلت بى ريتشيل بعدها بأسبوع وأخبرتنى بأنها تريد الطلاق، وقالت إنها تشعر أننا قد تباعدنا كثيرًا. كنت مضطرًا للاتفاق مع ما قالته، فمنحتها الطلاق. وبعد ذلك بوقت قصير، تعرضت ذراعى للكسر".

"وبعدها أصبحت مذيعًا رياضيًا، ماذا عن ريتشيل؟ لماذا لم تصبح نجمة سينمائية ؟".

هز جيف رأسه وأجاب: " لم تكن حقيقة مهتمة بالتمثيل، لكن عملها كعارضة أزياء يسير على ما يرام".

ألقت دانا سؤالاً ذا مغزى، فقالت: " هل ما زالت تربطكما علاقة صداقة جيدة ؟".

"نعم، فى الواقع، لقد أخبرتها عن علاقتى بك عندما اتصلت بى هاتفيًا، والآن هى تريد أن تقابلك".

بدا التجهم على وجه دانا وهى تقول: " جيف... أنا لا أعتقد أن....".

"إنها لطيفة للغاية يا عزيزتى، لنتناول الغداء معًا فى الغد. وأنا واثق أنك سوف تحبينها".

قالت دانا: " أنا أيضا متأكدة من ذلك". *لكنها كانت تفكر: وكأنك تلقى بكرة ثلج داخل النار. على أى حال، إن المرء لا تأتيه فرص كثيرة للتحدث إلى فارغات العقل.*

بدت" فارغة العقل"أكثر جمالاً مما كانت دانا تخشى. فقد كانت ريتشيل ستيفنس امرأة طويلة، ممشوقة القوام، ذات شعر أشقر طويل وبراق، وبشرة جميلة كستها السمرة، وملامح شديدة الجمال والجاذبية. وقد كانت تلك المواصفات كفيلة بأن تجعل دانا تكرهها على الفور.

"دانا إيفانس، أقدم لك ريتشيل ستيفنس".

قالت دانا لنفسها: أليس من المفترض أن يقول: ريتشيل ستيفنس، يسعدنى أن أقدم لك دانا إيفانس؟.

كانت ريتشل ستيفنس تقول: ".....التقارير الإخبارية التى كنت تبثينها من سراييفو كلما استطعت ذلك. كانت تقارير رائعة، ولقد كنا جميعًا نشعر بمعاناتك وحسرتك، وكنا نشاركك تلك المشاعر".

قالت دانا فى نفسها: كيف يستجيب المرء لمجاملة صادقة كهذه؟

لكنها ردت ببرود: " شكرًا لك".

قالت ريتشيل: " هناك مطعم رائع اسمه ممرات مالايو على بعد مربعين سكنيين فقط من منتزه دوبونت سيركل"، ثم التفتت إلى دانا متسائلة: " هل تحبين الطعام التايلاندى ؟".

أرادت دانا أن تصيح فى وجهها: وكأنك حقا تهتمين برأيى! لكنها اكتفت بكلمة: " نعم".

ابتسم جيف وقال: " حسنًا، دعونا نجرب هذا المطعم".

قالت ريتشيل: " إنه لا يبعد سوى بضعة مربعات سكنية من هنا، هل ترغبون بالسير ؟".

قالت دانا بشجاعة: " بالطبع". لكنها كانت تقول لنفسها: *فى هذا الطقس المتجمد؟ لابد أن هذه المرأة تسير عارية وسط الثلوج.*

توجهوا جميعًا تجاه حديقة دوبونت سيركل، وكانت دانا تشعر بأنها تزداد قبحا مع كل ثانية تمر، وكانت تشعر بندم شديد على قبول تلك الدعوة.

عندما وصلوا إلى المطعم وجدوه ممتلئًا عن آخره، وكان هناك العشرات من الأشخاص يجلسون عند المشرب، انتظارًا لفراغ الطاولات. اندفع النادل فى نشاط تجاه ثلاثتهم.

قال جيف: " نريد طاولة لثلاثة أشخاص".

"هل هناك حجز مسبق ؟".

"كلا، لكننا....".

"أنا آسف، لكن...." ثم تعرف النادل على جيف، فأردف: "سيد كونورز، إنها لسعادة كبيرة أن أقابلك"، ثم نظر إلى دانا وقال: "آنسة دانا إيفانس، يا له من شرف". ثم زم الرجل شفتيه امتعاضًا وقال: "أخشى أنه سيكون هناك تأخير بسيط"، ثم تحولت عيناه تجاه ريتشيل، فأشرق وجهه واتسعت ابتسامته، ثم قال: "آنسة ريتشيل ! لقد قرأت أنك تصورين غلاف مجلة أزياء فى الصين".

"لقد كنت هناك يا سوماشى، لكننى عدت قريبًا".

قال النادل: "رائع"، ثم التفت تجاه دانا وجيف قائلا: "بالطبع لدينا طاولة من أجلكما"، وانطلق يقود الطريق إلى مائدة تحتل منتصف بهو المطعم.

تمتمت دانا فى نفسها: *إننى أكرهها.... إننى أكرهها من كل قلبى*.

عندما جلسوا جميعًا، قال جيف: "إنك تبدين رائعة يا ريتشيل، أيا كان ما تفعلينه الآن، فهو يناسبك تمامًا".

تمتمت دانا بصوت غير مسموع: يمكننا جميعًا أن نخمن ما هو ذلك العمل.

ردت ريتشيل: "لقد كنت أسافر كثيرًا، وأظن أننى سوف أبدأ فى تقليل نشاطاتى لبعض الوقت"، نظرت ريتشيل فى عينى جيف وقالت: "هل تذكر تلك الليلة عندما كنا...".

رفعت دانا عينيها عن قائمة الطعام وقالت: "ماذا تعنى كلمة أودانج جورينج؟".

نظرت إليها ريتشيل وقالت: "إنه جمبرى مغموس فى لبن جوز الهند. إنه طبق ممتاز يقدمونه هنا"، ثم استدارت ريتشيل مجددا إلى جيف وقالت: "أتذكر تلك الليلة عندما قررنا - أنا وأنت - أننا نريد أن.....".

قالت دانا: "ماذا عن كلمة لاكسا ؟".

ردت ريتشيل بنفاد صبر: "إنها حساء مكرونة بالتوابل"، ثم استدارت إلى جيف ثانية وقالت: "لقد قلت إنك تريد أن....".

قالت دانا: "وماذا عن بوه بيا ؟".

نظرت ريتشيل إلى دانا وقالت بلطف: "درنات مقلية مع الخضراوات".

قالت دانا: "حقًا ؟" وإن كانت قد قررت ألا تسأل ريتشيل عن معنى كلمة "درنات".

ولكن مع استمرار وجبة الغداء، شعرت دانا بالاندهاش من أنها - وضد رغبتها تمامًا - قد بدأت تعجب بريتشيل ستيفنس. فلقد كانت المرأة تمتلك شخصية دافئة وساحرة. وعلى عكس معظم عارضات الأزياء الشهيرات، بدت ريتشيل غير مهتمة بشكلها على الإطلاق ولم تظهر عليها ملامح الغرور مطلقًا، بل كانت ذكية وفصيحة اللسان، وعندما كانت تعطى طلبات الغداء للنادل - مستخدمة اللغة التايلاندية - لم يكن فى طريقة كلامها أى نبرة تعال. ولقد كانت تلك الخصال كافية لكى تجعل دانا تتساءل كيف أضاع جيف امرأة كهذه من بين يديه.

قالت دانا: "كم من الوقت ستمكثين فى واشنطن ؟".

"يجب أن أغادر فى صباح الغد".

قال جيف متسائلا: "وإلى أين ستتجهين هذه المرة يا ترى؟".

ترددت ريتشيل قليلا، ثم أجابت: "هاواى، لكننى بالفعل أشعر بإرهاق شديد يا جيف، وكنت أفكر فى إلغاء تلك الرحلة".

رد جيف بلهجة واثقة: "لكنك لن تفعلى ذلك".

تنهدت ريتشيل وقالت: "كلا، لن أفعل".

تساءلت دانا: "متى ستعودين من هاواى ؟".

نظرت إليها ريتشيل للحظة طويلة، ثم قالت بلطف: " لا أعتقد أننى سوف أعود إلى واشنطن مجددًا يا دانا. أتمنى لك السعادة مع جيف". وقد كانت هناك رسالة غير منطوقة فى كلماتها.

خارج المطعم - وبعد تناول الطعام - قالت دانا: " لدى بعض المهام التى يجب أن أقوم بها، يمكنكما أن تنطلقا بدونى".

أمسكت ريتشيل بيد دانا وقالت: " أنا سعيدة جدًا أننا قد تقابلنا".

"وكذلك أنا"، هكذا ردت دانا، وقد فوجئت بأنها كانت تعنى ذلك حقًا.

شاهدت دانا جيف وريتشيل يبدآن المشى فى الشارع، وظنت أنهما يبدوان كزوجين شديدى الجاذبية.

ولأن الوقت كان فى بدايات شهر ديسمبر، فقد كانت واشنطن تستعد لموسم الأعياد، كانت شوارع العاصمة تزدان بالأنوار وتزينها أكاليل الزهور، ولا تكاد زاوية فى أى شارع تخلو من متطوع فى مؤسسة خيرية، يرتدى زى بابا نويل، ويرن جرسه الشهير ليجمع العملات النقدية تبرعًا للأعمال الخيرية، كما ازدحمت الأرصفة بالمتسوقين الذين خرجوا يتحدون رياح الشتاء الباردة.

قالت دانا لنفسها: " لقد حان الوقت، يجب أن أبدأ فى إنجاز قائمة التسوق الخاصة بى". أخذت دانا تفكر فى الأشخاص الذين يجب أن تشترى لهم الهدايا: أمها ؛ كيمال ؛ رئيسها فى العمل - مات بيكر ؛ وبالطبع، جيف الرائع. قفزت دانا داخل سيارة أجرة، واتجهت إلى هيشتس - أحد أكبر المتاجر فى واشنطن، كان المكان يكتظ بالمتسوقين الذين كانوا يحتفلون بجو الأعياد عن طريق إزاحة بقية المتسوقين من طريقهم.

عندما انتهت دانا من التسوق، توجهت إلى شقتها لكى تترك الهدايا التى أحضرتها. كانت الشقة تقع فى شارع كالفرت ستريت، فى منطقة سكنية هادئة. كانت الشقة مفروشة بأثاث جذاب، وكانت تتكون من غرفة نوم، وغرفة معيشة، وحجرة طعام، ومطبخ، وحمام، وغرفة مكتب ينام بها كيمال.

وضعت دانا الهدايا فى إحدى الخزائن، وتجولت بنظرها فى أرجاء الشقة الصغيرة، ثم قالت لنفسها فى سعادة: " سيكون علينا أن نستأجر شقة أوسع عندما نتزوج أنا وجيف". وبينما كانت تتجه إلى الباب لتعود إلى الاستوديو، رن جرس الهاتف، فتوجهت دانا إلى الهاتف وهى تتعجب من غرابة الأمر، ثم التقطت سماعة الهاتف قائلة: "مرحبًا".

"عزيزتى دانا".

كانت أمها هى المتصلة، فقالت دانا: " مرحبًا أمى، لقد كنت على وشك الخرو....".

"لقد شاهدت أنا وصديقاتى نشرتك الإخبارية ليلة الأمس. لقد كنت متميزة للغاية".

"شكرًا لك".

"على الرغم من أننا اعتقدنا أنه كان بإمكانك تخفيف كآبة الأخبار قليلا".

تنهدت دانا وقالت: " أخفف من كآبة الأخبار؟".

"نعم، كل الأشياء التى تتحدثين كئيبة ومحزنة للغاية. ألا تستطيعين العثور على موضوعات مبهجة تناقشينها؟".

"سوف أرى ما يمكننى عمله بشأن ذلك يا أمى".

"سيكون ذلك لطيفًا، بالمناسبة، إننى أعانى من ضائقة مالية بسيطة هذا الشهر، وكنت أتساءل إن كان بإمكانك أن تعيننى ببعض المال مرة أخرى ؟".

كان والد دانا قد اختفى منذ سنوات مضت. وفى ذلك الوقت انتقلت والدة دانا لتعيش فى لاس فيجاس، ومن يومها وهى

دائمًا ما تعانى من ضائقة مالية، ويبدو أن المصروف الشهرى الذى خصصته دانا لوالدتها لم يكن يكفيها مطلقا.

"هل تقامرين يا أمى ؟".

ردت السيدة إيفانس بكبرياء: " بالطبع لا، لكن الحياة فى لاس فيجاس مكلفة للغاية. بالمناسبة، متى ستأتين لزيارتى هنا؟ أود أن أرى كيمبال، يجب أن تحضريه معك عندما تحضرين".

"اسمه كيمال يا أمى، على أى حال، أنا لا أستطيع الحصول على إجازة من العمل فى الوقت الحالى".

بدا كأن السيدة إيفانس قد ترددت قليلاً قبل أن تقول: " ألا تستطيعين الحصول على إجازة؟ إن صديقاتى دائما ما يقلن كم أنك سعيدة الحظ لحصولك على وظيفة لا تقضين فيها سوى ساعة أو اثنتين كل يوم".

قالت دانا: " لابد أننى محظوظة بالفعل".

كمذيعة تليفزيونية، تصل دانا يوميًا إلى الاستوديو فى التاسعة صباحًا، وتقضى معظم النهار فى القيام باتصالات دولية متعددة، تتلقى من خلالها أحدث الأخبار من لندن، باريس، وايطاليا، وبقية المواقع الأجنبية. أما بقية النهار، فيكون مكرسًا للاجتماعات، وتجميع الأخبار، وتقرير ما سيتم عرضه من الأخبار عندما تقدم النشرة على الهواء مباشرة، وبأى ترتيب يجب عرض تلك الأخبار المختارة، وفى النهاية تقوم دانا بتقديم نشرتين فى فترة المساء.

قالت السيدة إيفانس: " من الرائع أن يكون لديك مثل هذه الوظيفة السهلة يا عزيزتى".

"شكرًا يا أمى".

"سوف تحضرين لرؤيتى قريبًا، أليس كذلك ؟".

"نعم، سوف آتى".

"لا أطيق الانتظار حتى أرى ذلك الصبى اللطيف".

سيكون من الجيد أن يقابلها كيمال أيضًا. سوف يصبح لديه جدة، وعندما نتزوج أنا وجيف، سيكون لدى كيمال عائلة حقيقية مجددًا.

وبينما كانت دانا تخطو إلى داخل بهو المبنى الذى تسكن فيه، ظهرت السيدة دوروثى وارتون.

قالت دانا: " أريد أن أشكرك على عنايتك بكيمال ذلك الصباح يا دوروثى، وأقدر لك صنيعك هذا".

"على الرحب والسعة".

كانت دوروثى وارتون وزوجها هوارد قد انتقلا للعيش فى المبنى منذ عام مضى. كانا زوجان كنديين لطيفين فى منتصف العمر، وكان هوارد وارتون مهندسًا متخصصًا فى ترميم الآثار. كان هوارد قد شرح لدانا سبب تفضيله لمدينة واشنطن أثناء تناول العشاء معًا فى إحدى الليالى قائلا: " لا توجد مدينة فى العالم أفضل من واشنطن لممارسة العمل الذى أقوم به، أين كان يمكننى أن أجد فرص عمل كالتى أجدها هنا ؟" ثم أجاب بنفسه على سؤاله: "لا يوجد".

قالت السيدة وارتون بصدق: " أنا وهوارد نحب واشنطن، ولن نغادرها أبداً".

عندما عادت دانا إلى حجرة مكتبها، كانت الطبعة الأخيرة من جريدة واشنطن تريبيون موضوعة على مكتبها، وكانت صفحتها الأولى ممتلئة بقصص وصور لعائلة وينثروب، نظرت دانا إلى الصور لفترة طويلة، والأفكار تتسارع داخل عقلها، ثم قالت لنفسها: " خمسة أفراد من العائلة يلقون مصرعهم فى أقل من عام ـ أمر لا يصدق".

تلقى هاتف خاص ببرج المدراء التنفيذيين بمؤسسة واشنطن تريبيون إنتربريس مكالمة تليفونية شديدة الأهمية.

قال المتحدث: " لقد تلقيت التعليمات".

"حسنًا، لقد كانوا ينتظرون، ماذا تريد منهم أن يفعلوا باللوحات ؟".

"دعهم يحرقوها".

"كلها؟ إنها تساوى ملايين الدولارات".

"لقد تم كل شيء على النحو الأمثل، ولا يمكننا أن نسمح بأى مخاطرة غير محسوبة. احرق اللوحات فى الحال".

انطلق صوت أوليفيا واتكينز ـ سكرتيرة دانا ـ عبر الهاتف الداخلى وهى تقول: " هناك مكالمة لك على الخط الثالث، ولقد اتصل نفس الشخص مرتين من قبل".

"ومن يكون يا أوليفيا ؟".

"السيد هنرى".

كان توماس هنرى ناظر مدرسة تيودور روزفلت الإعدادية.

اعتصرت دانا جبهتها براحة يدها حتى تتخلص من ذلك الصداع الذى كان على وشك أن يبدأ، ثم التقطت سماعة الهاتف وقالت: " مساء الخير يا سيد هنرى".

"مساء الخير يا آنسة إيفانس. كنت أتساءل إن كان بإمكانك المرور بالمدرسة ومقابلتى ؟".

"بالتأكيد. سوف آتى خلال ساعة أو اثنتين، فأنا....".

"أفضل أن تحضرى الآن ـ إذا استطعت".

"سوف آتى على الفور".

٣

كانت المدرسة بالنسبة لكيمال تمثل جحيما لا يحتمل. فقد كان أصغر حجما من بقية التلاميذ بفصله، ومما زاد من خجله الشديد، أن ذلك كان يشمل البنات أيضاً، وكانوا يطلقون عليه لقب"القزم"و"الصرصار"و"السردين"، أما فيما يتعلق بالمواد الدراسية، فلم يكن كيمال يهتم سوى بالرياضيات والكمبيوتر، وكان ينال فيهما درجات أعلى من أى تلميذ آخر، وكانت هناك جماعة بالفصل تطلق على نفسها نادى الشطرنج، وكان كيمال هو المسيطر عليها. وفى الماضى كان كيمال يستمتع بلعبِ كرة القدم، ولكن عندما ذهب لكى يخوض اختبارات الانضمام إلى فريق المدرسة، نظر المدرب إلى ذراع كيمال المقطوعة وقال: "آسف، لا يمكننا الاستعانة بك". لم ينطق المدرب تلك الكلمات بطريقة فظة، لكنها كانت أشبه بالرصاصات التى قضت على آمال الصبى.

كان عدو كيمال اللدود صبياً يدعى ريكى آندروود، وفى وقت الغداء كان بعض التلاميذ يجلسون لتناول الطعام بالشرفة الخارجية بدلاً من كافيتريا المدرسة، فكان ريكى آندروود ينتظر حتى يُرى أين سيتناول كيمال غداءه، ثم ينضم إليه.

"مرحباً أيها الفتى اليتيم، متى ستعيدك زوجة أبيك الشريرة إلى المكان الذى أتيت منه؟".

تجاهله كيمال ولم يرد عليه.

"أنا أتحدث إليك يا غريب الشكل. لا تظن أنها سوف تبقيك معها، أليس كذلك؟ إن كل الناس يعلمون لماذا أحضرتك إلى هنا يا قبيح الوجه؛ لأنها كانت مراسلة حرب مشهورة، وقد ظنت أن إنقاذها لشخص عاجز سوف يزيد من شهرتها".

صاح كيمال: "تبا لك". ثم هب واقفا ووثب على ريكى.

انطلقت قبضة ريكى لترتطم بمعدة كيمال، ثم إلى وجهه، فسقط كيمال أرضاً، وهو يتلوى من الألم.

قال ريكى آندروود: "إذا أردت المزيد من الضرب فى أى وقت، فما عليك سوى أن تخبرنى. ومن الأفضل أن تفعل ذلك بسرعة؛ لأنه طبقاً لما سمعت، فقد انتهى أمرك هنا".

عاش كيمال لحظات رهيبة من عذاب الشك. لم يكن كيمال يصدق تلك الأشياء التى قالها ريكى آندروود، ولكن عقله كان يصرخ: *ماذا لو أنها الحقيقة؟ ماذا لو أعادتنى دانا إلى هناك مجدداً؟ إن ريكى على حق. أنا شخص غريب الشكل. فما الذى سيجعل شخصاً رائعاً مثل دانا ترغب فى بقائى معها؟*

كان كيمال يعتقد أن حياته قد انتهت عندما قُتل والداه وشقيقته فى سراييفو. وقد تم إرساله بعد ذلك إلى ملجأ أيتام خارج حدود باريس، وكانت الحياة هناك جحيماً لا يحتمل.

فى الساعة الثانية بعد ظهر كل يوم جمعة، كان الأولاد والبنات فى الملجأ يقفون فى صف أمام الأشخاص الذين حضروا لمعاينتهم واختيار طفل يتيم يصطحبونه ليعيش معهم، وكلما اقترب يوم الجمعة من كل أسبوع، كانت الإثارة والتوتر بين الأطفال يرتفعان إلى حد لا يكاد يحتمل. فكانوا يغتسلون ويرتدون ملابس أنيقة. وبينما كان الرجال والنساء يسيرون أمام الصف، كان كل طفل يدعو فى سره أن يتم اختياره.

وعندما كان الأزواج والزوجات يرون كيمال، كانوا ـ دون استثناء ـ يتهامسون: "انظر، إن لديه ذراعا واحدة". وبعدها يكملون سيرهم.

كان كل يوم جمعة يمر على نفس الوتيرة، لكن كيمال كان ينتظر فى أمل بينما كان الأزواج والزوجات يعاينون ذلك الصف من المرشحين. وعندما كان كيمال يقف هناك فى الصف، منبوذاً ومهملاً، كان قلبه يمتلئ بالإحساس بالمهانة، وكان يقول لنفسه فى يأس: *سيقع الاختيار دائما على شخص آخر، لا أحد يريدنى.*

كم تمنى كيمال فى يأس أن يكون جزءاً من عائلة، وكم حاول بكل ما أوتى من قوة لكى يجعل ذلك يتحقق. فى يوم جمعة، كان يبتسم بابتهاج للأزواج والزوجات حتى يجعلهم يلاحظون كم هو صبى لطيف وودود. وفى يوم الجمعة التالى، كان يتظاهر بالانشغال بشىء ما، حتى يظهر لهم أنه لا يهتم إن اختاره أحد أم لا، وأنهم سوف يكونون سعداء الحظ إذا اختاروه. وفى يوم آخر، كان ينظر إليهم باستعطاف، وكأنه يستجديهم فى صمت أن يأخذوه معهم إلى المنزل. لكن أسبوعاً بعد أسبوع، كان الاختيار دائما يقع على طفل غيره لكى يتم اصطحابه إلى منزل رائع وعائلة سعيدة.

وبشكل أشبه بالمعجزات، غيرت دانا كل هذا. لقد كانت هى من عثر عليه وهو يعيش مشردا فى شوارع سراييفو. وبعد أن تم نقل كيمال بالطائرة إلى ملجأ الأيتام، كتب كيمال خطاباً إلى دانا. ولدهشته الشديدة، اتصلت دانا هاتفياً بالملجأ وأخبرتهم بأنها ترغب فى أن يأتى كيمال ليعيش معها فى أمريكا. كانت تلك هى أسعد لحظات حياة كيمال. فقد تحقق حلم مستحيل، ولقد أثبتت الأيام أن العيش مع دانا كان يحمل معه متعاً وسعادة أعظم مما تخيل كيمال.

لقد تغيرت حياة كيمال تماماً، وصار يشعر بالامتنان لأن أحداً لم يختره من قبل، وبات يحس أنه لم يعد وحيدا فى هذا

العالم، وأن هناك من يهتم بأمره. كان كيمال يحب دانا بكل قلبه وروحه، لكن تلك المخاوف التى زرعها ريكى آندروود كانت دائماً تراوده، وكان يخشى أن تغير دانا رأيها في يوم ما وتعيده إلى الملجأ، إلى الحياة القاسية التى هرب منها، ولعل تلك المخاوف كانت السبب فى أن يرى كيمال فى منامه حلما متكررا. كان يرى نفسه فى الملجأ، وكان اليوم هو يوم الجمعة، وكان هناك صف من الأزواج والزوجات يتفحصون الأطفال، وكانت دانا من بينهم. فنظرت إليه ثم قالت: "*هذا الصبى القبيح قليل الحجم له ذراع واحدة*". ثم تحركت مبتعدة واختارت الصبى الواقف بجواره. وفى كل مرة كان كيمال يرى ذلك الحلم كان يستيقظ باكيا.

كان كيمال يعلم أن دانا كانت تكره له أن يقع فى شجارات داخل المدرسة، وكان يفعل كل ما يستطيع لكى يتفادى تلك المشاجرات، لكنه لم يكن يستطيع أن يتحمل قيام ريكى آندروود وأصدقائه بإهانة دانا. وعندما أدرك ريكى وأصدقاؤه ذلك، ازدادت الإهانات فى حق دانا، ولهذا كان كيمال كثير التشاجر معهم.

كان ريكى دائما يحيى كيمال كلما رآه قائلاً: "هل جهزت حقيبة ملابسك أيها الصرصار؟ فى نشرة الأخبار الصباحية أعلنوا أن زوجة أبيك الشريرة سوف تعيدك إلى يوغوسلافيا".

وكان كيمال يصيح فيه بالصربية: "أيها الحقير".

وبعدها يبدأ القتال. وكان كيمال يعود إلى المنزل بعينين سوداوين وكدمات متفرقة، ولكن عندما كانت دانا تسأله عما حدث، ما كان يستطيع أن يخبرها بالحقيقة. فقد كان يخشى أنه إذا شرح لها المسألة بالتفصيل، فإن ما أخبره به ريكى ربما يحدث.

والآن ـ وبينما كان كيمال جالسا فى حجرة الناظر، منتظراً وصول دانا ـ كان يفكر: *عندما تعلم دانا بما فعلته هذه المرة، سوف*

ترسلنى إلى الملجأ مجدداً. وهكذا ظل جالساً فى تلك الحالة المزرية، وضربات قلبه تتسارع بشدة.

عندما دلفت دانا إلى داخل حجرة مكتب توماس هنرى، كان ناظر المدرسة يذرع المكان جيئة وذهاباً، وقد بدا عليه التجهم الشديد. وكان كيمال يجلس فى أحد المقاعد بالناحية الأخرى من الحجرة.

"صباح الخير يا آنسة إيفانس. اجلسى من فضلك".

نظرت دانا ناحية كيمال ثم جلست فوق أحد المقاعد.

التقط توماس هنرى سكيناً ضخمة من درج مكتبه وقال: "لقد أخذ أحد مدرسى كيمال هذا السكين من يده".

استدارت دانا لتنظر إلى كيمال، وهى تستشيط غضباً، وتساءلت فى حنق: "لماذا؟ لماذا أحضرت تلك السكين إلى المدرسة؟".

نظر كيمال إلى دانا وقال بتجهم: "لم يكن معى مسدس".

"كيمال !".

استدارت دانا ناحية ناظر المدرسة، وقالت: "هل يمكن أن أتحدث إليك بمفردنا يا سيد هنرى؟".

قال توماس هنرى: "نعم"، ثم نظر إلى كيمال، وقال فى صرامة: "انتظر فى الردهة".

هب كيمال واقفاً، وألقى نظرة أخيرة على السكين، ثم غادر الحجرة.

بدأت دانا كلامها قائلة: "سيد هنرى، إن كيمال لم يتعد الثانية عشرة من عمره، وقد قضى معظم تلك السنوات وهو يذهب إلى النوم وسط أصوات انفجار القنابل ـ نفس القنابل التى قتلت أمه وأباه وأخته. وقد أطاحت إحدى تلك القنابل بذراعه. عندما عثرت على كيمال فى سراييفو، كان يعيش فى صندوق كرتون فى موقع بناء خاو. كان هناك المئات من الأولاد والبنات المشردين،

وكانوا يعيشون مثل الحيوانات". كانت دانا تتذكر، محاولة أن تبقى نبرة صوتها متزنة.

"لقد توقفت القنابل، لكن هؤلاء الأولاد والبنات لا يزالون مشردين بلا مأوى، والطريقة الوحيدة التى كانوا يستطيعون بها الدفاع عن أنفسهم هى أن يحملوا سكيناً أو صخرة أو مسدساً - إذا كانوا محظوظين وامتلكوا واحداً". أغلقت دانا عينيها للحظة وأخذت نفساً عميقاً، ثم أردفت: "إن هؤلاء الأطفال يشعرون بالخوف. كيمال يشعر بالخوف، لكنه طفل مؤدب. إنه فقط يحتاج إلى أن يعرف أنه فى أمان هنا، وأننا لسنا أعداءه، وأنا أعدك بأنه لن يفعل ذلك مرة أخرى".

خيم الصمت لفترة طويلة، وعندما تحدث توماس هنرى، قال: "إذا احتجت يوما إلى محام - يا آنسة إيفانس - فأنا أريدك أن تكونى المحامى الذى يترافع عنى".

ابتسمت دانا بارتياح وقالت: "أعدك بذلك".

تنهد توماس هنرى وقال: "حسناً. تحدثى مع كيمال، لكن إذا قام بأى تصرف مشابه فى المستقبل، فإننى أخشى أننى سأضطر إلى....".

"سوف أتحدث إليه. شكرا جزيلاً يا سيد هنرى".

كان كيمال ينتظر فى الردهة.

قالت دانا بجفاء: "دعنا نذهب إلى البيت".

"هل سيحتفظون بسكينى؟".

لم تتجشم دانا عناء الرد على سؤاله.

أثناء رحلة العودة إلى البيت، قال كيمال: "أنا آسف؛ لأننى قد أوقعتك فى المتاعب يا دانا".

"أوه، لا توجد متاعب. لقد قرروا ألا يطردوك من المدرسة. اسمع يا كيمال.....".

"حسناً، لن آخذ السكين معى مجددا".

وعندما عادا إلى الشقة، قالت دانا: "يجب أن أعود إلى الاستوديو. سوف تصل الجليسة إلى هنا فى أى لحظة، والليلة سيكون علينا أن نتحدث، أنا وأنت، حديثاً طويلاً".

عندما انتهت النشرة المسائية التى تذيعها دانا، قال جيف: "تبدين قلقة يا عزيزتى".

"أنا كذلك بالفعل. إنه كيمال. لست أدرى ماذا يجب أن أفعل بشأنه يا جيف، لقد اضطررت للذهاب إلى مكتب ناظر المدرسة مجددا صباح اليوم، وهناك مدبرتان للمنزل استقالتا بسببه".

قال جيف: "إنه صبى رائع، لكنه يحتاج فقط إلى فترة للتكيف على الحياة هنا".

"ربما، جيف؟".

"ماذا؟"

"أتمنى ألا أكون قد ارتكبت خطأ كبيراً عندما أحضرته إلى هنا".

عندما عادت دانا إلى الشقة، كان كيمال بانتظارها.

قالت دانا: "اجلس. يجب أن نتحدث. يجب أن تبدأ فى احترام القواعد، ويجب أن تتوقف عن تلك المشاجرات بالمدرسة، أنا أعلم أن الصبية الآخرين يصعبون عليك الأمور. لكن عليك أن تصل إلى أسلوب مقبول فى التعامل معهم. إذا استمررت فى خوض المزيد من المشاجرات، فسوف يطردك السيد هنرى من المدرسة".

"لا يهمنى ذلك".

"يجب أن تهتم. أنا أريدك أن تحظى بمستقبل رائع، وهذا لن يحدث دون تعليم جيد. إن السيد هنرى وافق على أن يمنحك فرصة، لكنه....".

"تباً له".

"كيمال!"وبدون تفكير، صفعته دانا على وجهه. لكنها شعرت بالندم فى نفس اللحظة. حدق كيمال النظر إليها، وقد علت وجهه نظرة ذهول. ثم هب واقفاً، وجرى إلى حجرة المكتبة، مغلقاً الباب خلفه بعنف.

رن جرس الهاتف، فالتقطت دانا سماعة الهاتف، وكان جيف هو المتصل: "دانا....".

"عزيزى، أنا....أنا لا أستطيع الحديث الآن. فأنا منزعجة للغاية".

"ماذا حدث؟".

"إنه كيمال. لقد صار لا يحتمل !".

"دانا....".

"نعم؟"

"ضعى نفسك فى موضعه".

"ماذا؟".

"فكرى فى الأمر. عذراً، لكنى مشغول للغاية. أحبك، وسوف نتحدث لاحقا".

أخذت دانا تفكر : *أضع نفسى فى موضعه؟ هذا غير مفهوم على الإطلاق. كيف يمكن لى أن أعرف بماذا يشعر كيمال؟ أنا لست صبياً يتيماً مقطوع الذراع، فى الثانية عشرة من العمر، ولم أخض كل هذه المآسى التى خاضها.* جلست دانا هناك لفترة طويلة، تفكر."أضع نفسى فى موضعه". ثم وقفت، ومشت إلى حجرة نومها، وأغلقت الباب وراءها، وفتحت باب خزانة ملابسها. قبل أن يأتى كيمال للعيش معها، كان جيف قد اعتاد أن يقضى بضع ليال كل أسبوع فى شقتها، وترك بعضاً من ملابسه هناك. وفى داخل الخزانة، كانت هناك سراويل، قمصان ورابطات عنق، سترة صوفية، ومعطف رياضى.

أخرجت دانا بعضاً من تلك الملابس ووضعتها فوق الفراش، ثم توجهت إلى خزانة أدراج وأخرجت منها زوجاً من سراويل

جيف الداخلية وبعض الجوارب. ثم خلعت دانا ملابسها، والتقطت أحد سراويل جيف بيدها اليسرى وبدأت ترتديه، لكنها فقدت توازنها وسقطت أرضا. وتطلب الأمر منها محاولتين أخريين حتى تمكنت من ارتداء السروال الداخلى. بعد ذلك، التقطت أحد قمصان جيف. وباستخدام يدها اليسرى فقط. تطلب الأمر منها ثلاث دقائق محبطة حتى تمكنت من ارتداء القميص وإغلاق أزراره. اضطرت دانا للجلوس فوق الفراش حتى تتمكن من ارتداء السروال الجينز، وقد وجدت صعوبة كبيرة فى إغلاق سحابه. وتطلب الأمر دقيقتين أخريين حتى ترتدى سترة جيف الصوفية.

عندما انتهت دانا من ارتداء ملابس جيف، جلست فوق الفراش، تلتقط أنفاسها. كانت هذه هى المعاناة التى يخوضها كيمال فى كل صباح، وكانت هذه هى البداية فقط. فقد كان عليه أن يستحم ويغسل أسنانه ويمشط شعره. وهذا ما يحدث له الآن. فماذا عن الماضى؟ العيش داخل أهوال الحرب، مشاهدة أمه، وأبيه، وأخته، وأصدقائه يقتلون.

أخذت دانا تفكر : *لقد كان جيف على حق. إننى أتوقع الكثير فى وقت قصير. إنه يحتاج إلى مزيد من الوقت لكى يتكيف مع الوضع هنا. لا يمكننى أن أتخلى عنه أبداً. لقد هجرنا والدى، أنا وأمى، ولم أسامحه أبدا على فعلته. ولابد أن يضيف الناس إلى الوصايا العشر وصية أخرى: لا تتخل أبداً عن هؤلاء الذين يحبونك.*

وببطء، وبينما كانت دانا ترتدى ملابسها النسائية، فكرت فى كلمات الأغنيات التى كان كيمال ينصت إليها مرات ومرات. تلك الكلمات التى تحويها أسطوانات بريتنى سبيرز، باك ستريت بويز، ليم بيزكيت. كلمات مثل: *"لا أريد أن أخسرك"، "أنا أحتاج إليك هذه الليلة"، "طالما أنك تحبنى"، "أريد فقط أن أكون معك"، "أنا أحتاج إلى حبك".*

كانت كل الكلمات تتحدث عن الوحدة والاحتياج. التقطت دانا التقرير المدرسى الخاص بكيمال. رغم أنه كان يرسب فى معظم المواد الدراسية، لكنه حصل على درجة ممتازة فى الرياضيات. فكرت دانا: *إن درجة الامتياز التى حصل عليها هى كل ما يهم. هذا هو الموضع الذى يتفوق فيه، وهذا هو الموضع الذى يكمن فيه مستقبله. سوف نعمل على تحسين درجاته فى المواد الأخرى.*

عندما فتحت دانا باب حجرة المكتب، كان كيمال يرقد فى فراشه، وعيناه مغلقتان بإحكام، ووجهه الشاحب تملؤه الدموع. نظرت إليه دانا للحظة، ثم انحنت وطبعت قبلة على وجنته وهى تقول: "آسفة يا كيمال، سامحنى".

سوف يكون الغد يومًا أفضل.

فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، اصطحبت دانا كيمال إلى جراح تقويم عظام شهير - الدكتور ويليام ولكوكس. بعد الفحص، تحدث الدكتور ولكوكس مع دانا على انفراد.

"آنسة إيفانس، إن تزويد كيمال بذراع صناعية سوف يتكلف عشرين ألف دولار، وهناك مشكلة تعلق بذلك الخيار. إن كيمال يبلغ من العمر اثنى عشر عاماً فقط، وسوف يستمر جسده فى النمو حتى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، وقد يفوق جسده حجم الذراع التعويضية كل عدة شهور، وأخشى أن هذا الخيار قد لا يصبح عملياً من الناحية المالية".

شعرت دانا بإحباط شديد، لكنها ردت قائلة: "شكرا لك يا دكتور".

وفى الخارج، قالت دانا لكيمال: "لا تقلق يا عزيزى، سوف نجد طريقة ما".

أوصلت دانا كيمال إلى المدرسة، ثم توجهت إلى الاستوديو. وعلى مسافة عدة مربعات سكنية من الاستوديو، رن جرس هاتفها النقال، فالتقطته قائلة: "مرحبًا".

"أنا مات بيكر. سوف يعقد مؤتمر صحفى بخصوص آخر المستجدات فى جريمة قتل جارى وينثروب فى فترة ما بعد الظهيرة بالمقر العام لإدارة الشرطة. أريدك أن تقومى بتغطية المؤتمر، وسوف أرسل طاقم تصوير ليكون بانتظارك. يبدو أن رجال الشرطة فى موقف لا يحسدون عليه. فالقصة تزداد حجما فى كل لحظة، ورجال الشرطة ليس لديهم أى دليل أو خيط يسيرون وراءه".

"سوف أكون هناك يا مات".

كان قائد الشرطة، دان بيرنيت، يتحدث عبر الهاتف فى حجرة مكتبه عندما قالت سكرتيرته: "عمدة المدينة يتصل بك على الخط رقم ٢".

صاح بيرنيت: "أخبريه أننى أتحدث إلى حاكم الولاية على الخط رقم ١"، ثم عاد إلى التحدث عبر الهاتف.

"نعم يا سيدى الحاكم. أعرف ذلك.... نعم يا سيدى. أعتقد.... أنا واثق أننا نستطيع..... بمجرد أن نقوم بـ.... حسناً. وداعاً يا سيدى". ثم وضع سماعة الهاتف بعنف.

قالت سكرتيرته: "السكرتير الصحفى الخاص بالبيت الأبيض على الخط رقم ٤".

ومرت فترة الصباح على ذلك النحو.

وفى الظهيرة، تكدست قاعة المؤتمرات فى مركز مونيسبال سنتر القائم فى المبنى رقم ٣٠٠ من شارع إنديانا آفينو بوسط مدينة واشنطن برجال الإعلام. دخل قائد الشرطة بيرنيت وسار حتى وصل إلى مقدمة القاعة.

"برجاء التزام الصمت من فضلكم". وانتظر قائد الشرطة حتى خيم السكون على القاعة، ثم قال: "قبل أن أتلقى أسئلتكم، أود أن أدلى بتصريح. إن جريمة قتل جارى وينثروب الوحشية هى خسارة كبيرة، ليس فقط لهذا المجتمع، ولكن للعالم بأكمله، وسوف نستمر فى تحقيقاتنا حتى نقبض على الأشخاص المسئولين عن تلك الجريمة الشنعاء. والآن سوف أتلقى أسئلتكم".

وقف أحد الصحفيين قائلا: "أيها القائد بيرنيت، هل لدى أجهزة التحقيقات أى أدلة؟".

"في حوالى الثالثة صباحاً، شاهد أحد الشهود رجلين يقومان بتعبئة شاحنة بيضاء فى الطريق الخاص بمنزل جارى وينثروب. وقد بدت تحركاتهما مثيرة للشبهات، فالتقط الشاهد رقم لوحات الشاحنة، واتضح لاحقاً أن رقم تلك اللوحة يخص شاحنة مسروقة".

"هل يعلم رجال التحقيقات ماذا سُرق من المنزل؟".

"لقد فقدت دستة من اللوحات القيمة".

"هل تمت سرقة أى شيء آخر سوى اللوحات؟".

"كلا".

"ماذا عن الأموال والمجوهرات؟".

"لم تتعرض الأموال أو المجوهرات للسرقة، لقد كان اللصان يسعيان خلف اللوحات فقط".

"أيها القائد بيرنيت، ألم يكن المنزل مزوداً بنظام إنذار. وإذا كان كذلك، فهل كان نظام الإنذار يعمل؟".

"طبقا لأقوال رئيس الخدم، فإنهم كانوا يقومون بتشغيل نظام الإنذار دائما بالليل، ومن الواضح أن اللصوص قد وجدوا طريقة لتعطيله، رغم أننا لست متأكدين من كيفية قيامهم بذلك".

"وكيف استطاع اللصوص الدخول إلى المنزل؟".

تردد القائد بيرنيت قليلا، ثم أجاب: "هذا سؤال مهم للغاية، حيث إنه لم تكن هناك آثار اقتحام، لكننا لم نصل لإجابة عن ذلك السؤال حتى الآن".

"هل من الممكن أن تكون عملية داخلية؟".

"لا نعتقد ذلك، فقد كان طاقم الخدم الخاص بمنزل جارى وينثروب يعملون لديه منذ سنوات عديدة".

"هل كان جارى وينثروب بمفرده في المنزل؟".

"نعم، على قدر علمنا. فقد كان طاقم الخدم فى إجازة".

صاحت دانا: "هل لديكم قائمة باللوحات المسروقة؟".

"نعم. وهى لوحات شهيرة للغاية، ولقد تم توزيع قائمة بأسماء اللوحات على المتاحف، وتجار التحف، وجامعي اللوحات. وفى اللحظة التى ستظهر فيها إحدى تلك اللوحات، سوف يتم حل لغز القضية على الفور".

جلست دانا فوق مقعدها، وقد تملكتها الحيرة. *لابد أن القتلة يدركون أن الشرطة ستقوم بخطوة كهذه، ولهذا لن يجرءوا على محاولة بيع اللوحات. إذن، ما هو الهدف من وراء سرقتهم لتلك اللوحات؟ وارتكابهم لجريمة قتل؟ ولماذا لم يأخذوا الأموال والمجوهرات؟ هناك شيء غير مفهوم فى هذه القضية.*

عقدت مراسم دفن جارى وينثروب فى دار العبادة الوطنية، وقد توقفت حركة المرور بشارعي وسكونسين وماساشوستس، وانتشر رجال الخدمة السرية وضباط شرطة واشنطن فى المنطقة بأعداد كبيرة. وبالداخل، جلس حشد كبير فى انتظار بدء المراسم، من بينهم نائب رئيس الولايات المتحدة، وعشرات من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب، ورئيس المحكمة الدستورية العليا، وعضوان بمجلس الرئاسة، ولفيف من أصحاب المقام الرفيع من جميع دول العالم. وكانت طوافات الشرطة وتلك الخاصة بالشبكات الإخبارية تجوب سماء المنطقة طوال الوقت.

وفى خارج دار العبادة احتشد المئات من المشاهدين الذين حضروا لوداع الفقيد أو لإلقاء نظرة سريعة على المشاهير الموجودين بالداخل. كان الناس لا يكيلون الثناء على جارى فقط ، ولكن على جميع أفراد عائلة وينثروب تعيسة الحظ.

قامت دانا بتغطية مراسم الجنازة يصاحبها طاقما تصوير. وبالداخل، كان الصمت يخيم على أرجاء دار العبادة.

كان رجل الدين يترنم ببعض الكلمات: "من الصعب على البشر أن يدركوا حكمة الله فى خلقه ومصائرهم. لقد أمضى أفراد عائلة وينثروب حياتهم ينشرون الأمل بين الناس. لقد تبرعوا بالملايين للمدارس ودور العبادة ومن أجل إطعام الجائعين وإيواء المشردين. وعلى نفس الدرجة من الأهمية، فإنهم كانوا يتبرعون بأوقاتهم ومواهبهم. ولقد سار جارى وينثروب على درب عائلته واقتدى بتقاليدها. إن السبب الذى من أجله اقتضت حكمة الله أن تُنتزع منا هذه العائلة - بكل إنجازاتها وسخائها، وبهذه الطريقة القاسية - هو أمر بعيد عن إدراك عقولنا ومعرفتنا. ولكننا قد نتصبر بحقيقة أنهم لم يرحلوا عنا تمامًا، وذلك لأن ميراثهم الذى تركوه من أعمال الخير سوف يعيش بيننا إلى الأبد. إن ما فعلوه من أجلنا سوف يجعلنا دائما فخورين بهم....".

فكرت دانا بحزن: *أظن أن بعض الأشرار هو من حكم على هؤلاء الأشخاص الطيبين بتلك الميتات البشعة....*

اتصلت والدة دانا هاتفيًا: "لقد شاهدت، أنا وأصدقائى، تغطيتك لوقائع الجنازة يا دانا. وللحظة، عندما كنت تتحدثين عن عائلة وينثروب، ظننت أنك سوف تبكين".

"وكذلك ظننت أنا يا أمى".

• • •

عانت دانا كثيرا من الأرق فى تلك الليلة، وعندما تمكنت من النوم أخيرا، كانت أحلامها عبارة عن مشاهد تصويرية عنيفة، تمتلئ بالنيران وحوادث الدراجات وإطلاق النار. وفى منتصف الليل، استيقظت دانا واعتدلت فى فراشها، وفى عقلها سؤال واحد: *خمسة أفراد من عائلة واحدة يلقون مصرعهم فى أقل من عام؟ ما الاحتمالات وراء أسباب تلك الجرائم؟*

٤

"**بماذا تحاولين أن تخبرينى يا دانا؟**" "مات، إن ما أقوله هو أن خمس وفيات عنيفة فى عائلة واحدة وفى مدة لا تتجاوز العام، لا يمكن أن تكون مجرد مصادفة".

"لو أننى لا أعرفك جيدًا يا دانا، لاستدعيت طبيباً نفسياً وأخبرته بأن هناك شخصًا مصابًا بهيستيريا فى مكتبى يزعم أن السماء تتهاوى لمجرد أن ثمرة بلوط قد سقطت فوق رأسه، لقد قام رجال الشرطة بالتحقيق فى كل حادث من تلك الحوادث بعناية شديدة، ولقد تأكدوا أنها كانت مجرد حوادث. هل تظنين أننا إزاء مؤامرة ما؟ ومن هو العقل المدبر وراء تلك المؤامرة؟ فيدل كاسترو؟ المخابرات المركزية؟ المخرج أوليفر ستون؟ بحق السماء، ألا تعرفين أنه فى كل مرة يلقى فيها أحد المشاهير مصرعه، تنتشر على الفور مئات من نظريات المؤامرة المختلفة؟ لقد أتى شخص إلى هنا فى الأسبوع الماضى وقال إنه يستطيع أن يثبت أن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون قد قتل الرئيس الأمريكى إبراهام لينكولن، إن مدينة واشنطن تعيش وتتنفس على نظريات المؤامرة".

"مات، نحن على وشك الاستعداد لتصوير أولى حلقات برنامج *خط الجريمة*. ألم تكن تريد أن تبدأ بقضية تجذب اهتمام المشاهدين؟ حسنًا، إذا كنت محقة، فقد تكون هذه هى ضالتنا".

جلس مات بيكر فوق مقعده للحظة، يتفرس فى ملامح دانا، ثم قال: "حسنا، لكنك تضيعين وقتك".

"شكرا لك يا مات".

كان أرشيف شبكة واشنطن تريبيون يقع فى قبو المبنى الخاص بالشبكة التليفزيونية، وكان يمتلئ عن آخره بالآلاف من الشرائط التى سجلت عليها البرامج الإخبارية التى عرضت فى وقت سابق، وكانت جميعها مفهرسة بشكل لائق.

كانت لورا لى هيل - وهى امرأة سمراء، جذابة الملامح، فى الأربعينات من العمر - تجلس وراء مكتبها، منهمكة فى ترتيب الأشرطة.

رفعت لورا عينيها إلى أعلى عندما دخلت دانا.

"مرحبا دانا. لقد شاهدت تغطية مراسم الجنازة التى قدمتها، وأعتقد أنك قد أديت عملاً عظيماً".

"شكراً لك".

"ألم تكن تلك مأساة رهيبة؟".

قالت دانا - موافقة: "رهيبة فعلاً".

قالت لورا بتجهم: "إن المرء لا يعرف أبدا ما تخبئه الأقدار، على أى حال، ماذا يمكن أن أفعل من أجلك؟".

"أريد أن ألقى نظرة على بعض الأشرطة التى تخص عائلة وينثروب".

"أهناك شىء محدد تبحثين عنه؟".

"كلا، إننى فقط أريد أن أتعرف على أفراد العائلة وعلى طبائعهم وتصرفاتهم".

"يمكننى أن أخبرك كيف كانت طبائعهم. لقد كانوا أناساً شرفاء".

قالت دانا: "هذا هو ما أسمعه من كل الناس".

نهضت لورا لى هيل وقالت: "أتمنى أن يكون لديك متسع من الوقت يا عزيزتى، فلدينا عدد مهول من الأشرطة التى تغطى حياتهم".

"حسناً. لست فى عجلة من أمرى".

تقدمت لورا الطريق إلى مكتب وضعت فوقه شاشة تلفاز وقالت: "سأعود بعد قليل". عادت لورا بعد خمس دقائق وهى تحمل عددا كبيرا من الأشرطة وقالت: "يمكنك أن تبدئى بهذه الأشرطة، وهناك المزيد فى الطريق".

نظرت دانا إلى الكومة الضخمة من الأشرطة وفكرت: *"ربما أكون شخصية هستيرية متشككة، لكن إذا كنت على حق..."*.

وضعت دانا أحد الأشرطة داخل جهاز الفيديو، فظهرت على الشاشة صورة رجل شديد الوسامة. كانت ملامحه قوية وبارزة. وكان لديه شعر كثيف داكن اللون، وعينان زرقاوان صافيتان، وذقن بارز قوى. ويقف بجانبه صبى صغير السن. انطلق صوت المعلق يقول: "لقد قام تايلور وينثروب بإضافة مخيم صيفى آخر إلى سلسلة المخيمات التى أقامها من أجل الأطفال المحرومين، ويقف بجواره ابنه بول مستعداً لمشاركة الأطفال الفقراء فى ألعابهم ومرحهم. وهذا هو المخيم رقم عشرة فى سلسلة المخيمات الصيفية التى يقيمها تايلور وينثروب. ويخطط السيد وينثروب لبناء اثنى عشر مخيمًا آخر على الأقل".

ضغطت دانا على أحد الأزرار فتغير المشهد. كانت هناك صورة أخرى لتايلور وينثروب فى سن متأخرة، وقد خط الشيب خصلات شعره، وكان يصافح جماعة من علية القوم، وكان صوت المعلق يقول: "لقد أكد السيد وينثروب على خبر تعيينه مستشاراً

لحلف الناتو، وسوف يغادر السيد وينثروب البلاد متجهاً إلى بروكسل خلال الأسابيع القليلة القادمة.....".

قامت دانا بتغيير الشريط. كان المشهد المعروض يمثل الحديقة الأمامية للبيت الأبيض. وكان تايلور وينثروب يقف بجوار الرئيس، الذى كان يقول: "..... لقد قمت بتعيينه رئيسا لوكالة الأبحاث الفيدرالية، وهى الوكالة التى ستكرس جهودها من أجل مساعدة الدول النامية حول العالم، ولا أستطيع أن أفكر فى شخص أكثر كفاءة وأهلية لقيادة هذه المنظمة من تايلور وينثروب.....".

تألقت شاشة العرض وانتقلت إلى المشهد التالى، أمام مطار ليوناردو دافنشى فى العاصمة روما، حيث كان تايلور وينثروب يغادر إحدى الطائرات، وصوت المعلق يقول: "لقد حضر إلى ساحة المطار العديد من المسئولين من أجل استقبال وتحية تايلور وينثروب الذى وصل إلى البلاد من أجل إتمام المفاوضات المتعلقة بالاتفاقيات التجارية بين إيطاليا والولايات المتحدة، وحقيقة اختيار الرئيس للسيد وينثروب لرئاسة الوفد الأمريكى تعد مؤشراً واضحاً على أهمية تلك المفاوضات.....".

همست دانا: *"لقد فعل هذا الرجل كل شئ"*.

ثم قامت بتغيير الشريط، كان تايلور وينثروب يقف أمام القصر الرئاسى بالعاصمة الفرنسية باريس، مصافحاً الرئيس الفرنسى، وكان صوت المعلق يقول: "لقد تم توقيع اتفاقية تجارة مهمة مع الجانب الفرنسى بعد جهود مكثفة قام بها السيد تايلور وينثروب.....".

وكان هناك شريط آخر حيث كانت زوجة تايلور وينثروب، مادلين، تقف أمام مجمع مبان وحولها مجموعة من الفتية والفتيات، وكان صوت المعلق يقول: "لقد قامت مادلين وينثروب اليوم بافتتاح مركز رعاية جديد تم تخصيصه للأطفال الذين يتعرضون للعنف الجسدى، و.....".

كان هناك شريط يصور أطفال عائلة وينثروب وهم يلعبون فى مزرعتهم بمدينة مانشستر، بولاية فيرمونت.

ووضعت دانا الشريط التالى داخل جهاز العرض. كان الشريط يصور تايلور وينثروب داخل البيت الأبيض، وفى خلفية المشهد وقفت زوجته، وولداه الوسيمان - بول وجارى - وابنته الجميلة جوليا. كان الرئيس يقلد تايلور وينثروب ميدالية الحرية قائلا: "... ومن أجل تفانيه وإخلاصه فى خدمة البلاد، ومن أجل كل إنجازاته، يسعدنى أن أقدم إلى تايلور وينثروب أعلى جائزة يمكننا منحها إلى شخص مدنى - ميدالية الحرية".

وكان هناك شريط يصور جوليا وينثروب وهى تتزلج على الجليد....

وشريط آخر يصور جارى وينثروب وهو يقوم بتمويل مؤسسة تتولى رعاية ومساعدة شباب الرسامين.....

وشريط آخر يصور مشهدا داخل المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض. وكان رجال الصحافة والإعلام محتشدين بأعداد كبيرة، وقد وقف تايلور وينثروب - بشعره الذى وخطه الشيب - وزوجته بجوار الرئيس الذى كان يقول: "لقد أصدرت تواً أمراً بتعيين تايلور وينثروب سفيرا للولايات المتحدة لدى روسيا الاتحادية، أنا أعلم أنكم جميعا تعلمون حجم الخدمات الكبيرة التى أداها تايلور وينثروب لهذه البلاد، ويسعدنى أنه قد قبل أن يشغل هذا المنصب بدلاً من أن يقضى أيامه فى لعب الجولف".

وقد تسببت عبارة الرئيس الأخيرة فى إضحاك رجال الإعلام.

قال تايلور وينثروب ضاحكا: "أنت لم تر مهارتى فى لعب الجولف يا سيدى الرئيس".

وارتفعت ضحكات أخرى من رجال الإعلام....

كانت الأشرطة التالية تحمل معها سلسلة من الكوارث.

وضعت دانا شريطاً جديداً، وكان المشهد يمثل تصويراً خارجيا لمنزل يحترق فى مدينة آسبن بولاية كولورادو وقد وقفت

مراسلة تليفزيونية تشير إلى المنزل المحترق وهى تقول: "لقد أكد لنا قائد شرطة مدينة آسبن أن السفير تايلور وينثروب وزوجته مادلين قد لقيا مصرعهما أثناء الحريق الذى أتى على المنزل. لقد تم إبلاغ إدارة الطافئ فى الساعات الأولى من صباح اليوم، ووصلت سيارات الإطفاء خلال خمس عشرة دقيقة، لكن كان الأوان قد فات لإنقاذهما. وطبقا لما قاله القائد نايجل - رئيس طاقم الإطفاء - فإن سبب الحريق كان عطلاً كهربيًا. ومن المعلوم أن السفير تايلور وينثروب وزوجته كانا يحظيان بشهرة عالمية نتيجة لأعمالهما الخيرية وتفانيهما فى خدمة مصالح هذا البلد".

وضعت دانا شريطا آخر وكان المشهد يصور الطريق الساحلى الممتد على طول شاطئ الريفيرا الفرنسية، وكان هناك مراسل تليفزيونى يقول: "هذا هو المنعطف الذى انزلقت عنده سيارة بول وينثروب وسقطت إلى أسفل جانب الجبل، وطبقاً لتقرير محقق الوفيات، فقد لقى بول وينثروب مصرعه فى الحال بفعل الارتطام الشديد، ولم يكن معه أحد بالسيارة. والمفارقة المؤلمة أن والد ووالدة بول قد لقيا مصرعهما فى حريق شبّ فى منزلهما فى آسبن بولاية كولورادو قبل أقل من شهرين".

مدت دانا يدها تلتقط شريطاً آخر. كان المشهد يصور مدرج تزلج جبلياً فى جونو عاصمة ولاية آلاسكا، وكان هناك مراسل تليفزيونى يرتدى ملابس ثقيلة للغاية يقول: "... وهذا هو المدرج الذى شهد حادثة التزلج المأساوية التى وقعت مساء الأمس. لا تزال أجهزة التحقيق غير متأكدة من سبب قيام جوليا وينثروب - وهى بطلة تزلج معروفة - بالتزلج بمفردها فى المساء وعلى هذا المدرج المغلق منذ فترة، لكنهم لا يزالون يحققون فى الأمر، وفى سبتمبر، ومنذ أقل من ستة أسابيع، لقى بول - شقيق جوليا - مصرعه فى حادث سيارة بفرنسا. وفى يوليو من هذا العام، لقى والداها - السفير تايلور وينثروب وزوجته - مصرعهما

فى حريق شب فى منزلهما. هذا وقد أعرب الرئيس عن تعاطفه وأسفه على عائلة وينثروب".

كان الشريط التالى يصور منزل جارى وينثروب فى القسم الشمالى الغربى من العاصمة واشنطن. وقد تجمع العشرات من المراسلين يحيطون بالمنزل من الخارج، وأمام واجهة المنزل وقف مراسل تليفزيونى قائلا: "فى تطور مأساوى وغير معقول للأحداث، لقى جارى وينثروب ـ آخر أفراد عائلة وينثروب المحبوبة ـ مصرعه عندما أطلق بعض اللصوص النار عليه وأردوه قتيلا. وفى صباح وقت مبكر من هذا اليوم، لاحظ أحد رجال الحراسة أن ضوء جهاز الإنذار كان مُطفأ، فدخل إلى المنزل، ووجد جثة السيد جارى وينثروب ملقاة على الأرض وقد استقرت بها رصاصتان، وكان من الواضح أن اللصوص قد دخلوا المنزل بقصد سرقة اللوحات الثمينة، وأن السيد وينثروب قد اعترض طريقهم. وبهذا يكون جارى وينثروب هو العضو الخامس والأخير من أفراد عائلته الذى يلقى مصرعه بطريقة عنيفة خلال هذا العام".

أطفأت دانا شاشة التلفاز وجلست فى مكانها لفترة طويلة، وقد دارت بعقلها أسئلة متعددة: *من قد يرغب فى القضاء على عائلة رائعة كهذه؟ من؟ ولماذا؟*

رتبت دانا مقابلة مع السيناتور بيرى ليف فى مبنى هارت ـ أحد المبانى الخاصة بمجلس الشيوخ. كان بيرى ليف فى أوائل الخمسينات، وكان رجلا يتسم بالجدية والحماس.

وقف الرجل تحية لدانا عندما دخلت إلى حجرة مكتبه، ثم قال: "ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك يا آنسة إيفانس؟".

"أعلم أنك قد عملت لفترة طويلة بالقرب من تايلور وينثروب، أليس كذلك؟".

"نعم. لقد تم تعييننا من قبل الرئيس للعمل معاً فى العديد من اللجان الخاصة بمجلس الشيوخ".

"أنا أعرف جيداً صورة السيد وينثروب العامة، لكن كيف كانت طباعه كشخص عادى؟".

تفرس السيناتور ليف فى ملامح دانا للحظة، ثم أجاب: "سأكون سعيداً بإخبارك. لقد كان تايلور وينثروب واحدا من أفضل الرجال الذين قابلتهم فى حياتى، وأروع ما كان يميزه من خصال كانت طريقة تفهمه وتعاطفه مع الناس. لقد كان يهتم بمشاعر وهموم الآخرين حقا. لقد كان يكلف نفسه ما لا يطيق لكى يجعل هذا العالم مكاناً أفضل. سوف أفتقده إلى الأبد، وما حدث لعائلته كان مأساة رهيبة لا أحب أن أفكر فيها كثيراً".

كانت دانا تتحدث مع نانسى باتشين ـ إحدى سكرتيرات تايلور وينثروب ـ وكانت امرأة فى الستينات من العمر، ذات وجه مجعد وعينين حزينتين.

"لقد عملت لدى السيد وينثروب لمدة طويلة أليس كذلك؟".

"خمسة عشر عاماً".

"خلال تلك المدة الطويلة، أظن أنه كانت لديك فرصة لمعرفة السيد وينثروب بشكل جيد".

"نعم، بالطبع".

قالت دانا: "أنا أحاول أن أعرف أى نوع من الرجال كان، هل كان....؟".

قاطعتها نانسى باتشين قائلة: "أستطيع أن أخبرك أى نوع من الرجال كان يا آنسة إيفانس. عندما اكتشفنا أن ابنى كان مصابا بمرض الالتهاب العصبى، أخذه تايلور وينثروب إلى طبيبه الخاص وتحمل كل مصروفات العلاج. وعندما توفى، تكفل السيد وينثروب بكل تكاليف الجنازة وأرسلنى فى إجازة إلى أوروبا

لكى أتعافى من الصدمة". وامتلأت عيناها بالدموع وهى تضيف: "لقد كان أروع وأكرم رجل عرفته فى حياتى".

رتبت دانا مقابلة مع الجنرال فيكتور بوستر، مدير الوكالة الفيدرالية للأبحاث، والتى كان تايلور وينثروب رئيسا لها. فى البداية رفض فيكتور بوستر التحدث إلى دانا، ولكن عندما علم أنها ترغب فى التحدث إليه بشأن تايلور وينثروب، وافق على مقابلتها.

فى منتصف الفترة الصباحية، قادت دانا سيارتها إلى مقر الوكالة الفيدرالية للأبحاث، والذى يقع بالقرب من قاعدة فورت ميد العسكرية بولاية ميرلاند، وكان المقر العام للوكالة يقع على مساحة اثنين وثمانين فدانا محاطة بحراسة مشددة؛ لم يكن هناك أى أثر يشير إلى ذلك العدد المهول من أطباق استقبال الأقمار الصناعية التى تم إخفاؤها بعناية خلف المنطقة المليئة بالأشجار.

قادت دانا سيارتها حتى وصلت إلى سياج معدنى حلزونى الشكل، يرتفع إلى ثمانى أقدام، ويعلوه سلك شائك، وقد أعطت دانا اسمها وأظهرت رخصة قيادتها إلى حارس مسلح يقف بداخل كشك الحراسة، وبعدها سمح لها الحارس بالعبور بعد ذلك بدقيقة، اقتربت سيارتها من بوابة مغلقة ومكهربة، وضعت فوقها كاميرا مراقبة، ونطقت دانا باسمها مرة أخرى، وعندها انفتحت البوابة على مصراعيها، تبعت دانا ممر السير حتى وصلت إلى مبنى إدارى هائل الحجم مطلى باللون الأبيض.

وخارج المبنى، قابلت دانا رجلا يرتدى ملابس مدنية، قائلا: "سوف أصطحبك إلى مكتب الجنرال بوستر يا آنسة إيفانس".

واستقلا مصعداً خاصًا لمسافة خمسة طوابق، ثم سارا عبر رواق طويل حتى وصلا إلى قاعة تمتلئ بمجموعة من المكاتب.

دلف الاثنان إلى مكتب استقبال واسع تجلس بداخله سكرتيرتان خلف مكتبيهما. قالت إحداهما: "إن الجنرال ينتظرك يا آنسة إيفانس. تفضلى"، ثم ضغطت السكرتيرة أحد الأزرار فانفتح باب مؤد إلى حجرة المكتب الداخلية.

وجدت دانا نفسها داخل مكتب فسيح، مزود بسقف وحوائط عازلة للصوت. واستقبلها رجل طويل القامة، نحيل الجسم، جذاب الملامح، فى حوالى الأربعين من عمره، مد الرجل يده إلى دانا وقال بلطف: "أنا الرائد جاك ستون، مساعد الجنرال بوستر"، ثم أشار بيده إلى الرجل الجالس خلف أحد المكاتب وقال: "وهذا هو الجنرال بوستر".

كان فيكتور بوستر رجلاً أسود، ذا ملامح بارزة وعينين زجاجيتين حادتين، وكان رأسه الحليق يلمع تحت أضواء الحجرة.

قال بوستر بصوت عميق أجش: "اجلسى".

جلست دانا فوق أحد المقاعد وقالت: "شكرا لموافقتك على مقابلتى أيها الجنرال".

"لقد ذكرت أن الأمر يتعلق بالراحل تايلور وينثروب؟".

"نعم. لقد أردت أن......".

"هل تقومين بعمل برنامج عنه يا آنسة إيفانس؟".

"فى الواقع، أنا......".

احتد صوت الرجل وهو يصيح: "ألا تستطيعون أيها الصحفيون الملاعين ترك الموتى يستريحون؟ إنكم جميعا عبارة عن ذئاب حقيرة تنبش فى أجساد الموتى بحثًا عن فضائح".

جلست دانا فى مقعدها وقد شلت الصدمة حركتها.

وبدا الحرج واضحاً على وجه جاك ستون.

سيطرت دانا على انفعالاتها وقالت: "جنرال بوستر، أؤكد لك أننى غير مهتمة بالنبش عن الفضائح، أنا أعلم أسطورة تايلور وينثروب جيدا، وما أحاول عمله هو الحصول على صورة مقربة

للإنسان نفسه، وأى شيء يمكنك أن تخبرنى به سيكون موضع تقدير وامتنان عظيم".

مال الجنرال بوستر إلى بجسده الأمام وقال: "أنا لا أدرى ما الذى تسعين وراءه، ولكن يمكننى أن أخبرك بشيء واحد. لقد كان تايلور وينثروب الأسطورة هو نفسه تايلور وينثروب الإنسان. عندما كان تايلور وينثروب رئيساً للوكالة، عملت تحت قيادته. ولقد كان أفضل مدير شهدته هذه الوكالة على الإطلاق، وكان محل إعجاب الجميع. وما حدث له ولعائلته هى مأساة لا أستطيع أن أقنع نفسى بمحاولة فهمها أو استيعابها". وبدا وجه الرجل منقبضًا وهو يضيف: "بصراحة، أنا لا أحب الصحافة يا آنسة إيفانس، وأظن أنكم ــ أيها الصحفيون ـ قد تخطيتم كل الحدود. لقد شاهدت تغطيتك للحرب فى سراييفو، وأنا أظن أن رسائلك المصورة، بما فيها من مآس ووعود، لم تساعدنا على الإطلاق".

كانت دانا تحاول جاهدة أن تسيطر على غضبها وهى تقول: "أنا لم أذهب إلى هناك لمساعدتك أيها الجنرال، وإنما ذهبت لكى أجعل العالم يرى ما يحدث للأبرياء....".

"أيا كان السبب. لمعلوماتك، لقد كان تايلور وينثروب من أفضل رجال الدولة الذين حظيت بهم هذه البلاد". ثم ثبّت الرجل عينيه على عينى دانا وأردف: "إذا كنت تنوين أن تشوهى ذكرى ذلك الرجل، فسوف تجدين نفسك محاطة بأعداء كثيرين، ودعينى أسدى إليك النصح، لا تبحثى عن المتاعب، وإلا فسوف تعثرين عليها. وهذا وعد منى. وأخيرا أنا أحذرك حتى تبتعدى عن هذا الموضوع. وداعا يا آنسة إيفانس".

حدقت دانا النظر إليه للحظة، ثم وقفت قائلة: "شكرا جزيلا، سيدى الجنرال"، ثم انطلقت إلى خارج المكتب.

هرول جاك ستون خلفها قائلاً: "سوف أصحبك إلى الخارج".

وفى الرواق، التقطت دانا نفساً عميقاً وقالت: "هل هو دائماً على هذا الحال؟".

تنهد جاك ستون وقال: "أعتذر بالنيابة عنه. إنه أحياناً يتصرف بشكل فظ، لكنه لا يعنى أى شيء بكلماته هذه".

قالت دانا بحدة: "حقا؟ لقد أحسست أنه يعنى الكثير".

قال جاك وهو يستدير عائداً إلى الداخل: "على أى حال، أنا آسف ـ إن كان لاعتذارى أى قيمة".

لمست دانا كم قميصه قائلة: "انتظر. أود أن أتحدث إليك. لقد بلغت الساعة الثانية عشرة. هل يمكن أن نتناول الغداء معا فى مكان ما؟".

ألقى جاك نظرة خاطفة على باب حجرة الجنرال، ثم قال: "حسناً، سوف نلتقى فى كافيتريا شول كولنيال فى شارع كيه بعد ساعة؟".

"عظيم. شكرا لك".

"لا تشكرينى مقدماً يا آنسة إيفانس".

كانت دانا تجلس بانتظاره عندما دلف إلى الكافيتريا شبه الخالية. ووقف جاك ستون للحظة عند المدخل لكى يتأكد أنه لا يوجد من يعرفه بداخل الكافيتريا، ثم انضم إلى دانا عند الطاولة.

"سوف يقطع الجنرال بوستر رأسى إذا علم أننى قد تحدثت إليك. إن الجنرال رجل عظيم، وهو يشغل منصباً صعبًا وحساساً، ويجيد عمله ببراعة لا نظير لها". تردد جاك قليلاً، ثم قال: "أخشى أنه لا يحب رجال الصحافة".

قالت دانا بلهجة جافة: "لقد بلغنى بتلك المعلومة".

"لابد أن أوضح لك شيئاً مهماً يا آنسة إيفانس. هذه المحادثة ليست فيها كلمة واحدة للنشر أو الإذاعة".

"أفهم ذلك".

التقط كلاهما طبقاً وبدءا ينتقيان أصناف الطعام. وعندما جلسا مجددا، قال جاك ستون: "أنا لا أريدك أن تكوِّنى انطباعاً خاطئاً عن منظمتنا. نحن الرجال الأخيار، ولذلك تطوعنا للعمل فى تلك الوكالة، ونعمل من أجل مساعدة الدول النامية".

قالت دانا: "أنا أقدِّر ذلك".

"ماذا تريدين أن أخبرك عن تايلور وينثروب؟".

قالت دانا: "كل ما بلغنى حتى الآن هو حكايات عن شخص أشبه بالقديسين، لابد أن ذلك الرجل كان يعانى من بعض العيوب".

قال جاك: "بالطبع كانت به عيوب. دعنى أخبرك بالأشياء الجيدة أولا. لقد كان تايلور وينثروب يهتم بالناس أكثر من أى شخص آخر أعرفه". وتوقف جاك للحظة ثم قال: "أقصد أنه كان يهتم بحق. لقد كان ينتبه كثيرا لتواريخ ميلاد وزواج كل معارفه، وكان كل من يعملون معه يحبونه كثيراً. كان لديه عقل ثاقب متقد الذكاء وكان يجيد حل المشكلات. ورغم أنه كان ينخرط بكل حواسه فى أى شىء يفعله، فإنه كان يفضل الحياة العائلية الهادئة، وكان يحب زوجته وأطفاله أكثر من أى شىء آخر". سكت جاك ولم يكمل.

قالت دانا: "وما هو الجانب السيئ فيه؟".

قال جاك ستون على مضض: "لقد كان تايلور وينثروب أشبه بمغناطيس يجذب النساء، لقد كان ساحر الشخصية، وسيم الملامح، شديد الثراء، ذا نفوذ قوى. ولهذا كانت النساء يجدن هذا المزيج من الصفات لا يقاوم". ثم أردف جاك يقول: "وهكذا، وعلى فترات متباعدة، كانت لتايلور وينثروب.... زلات. لقد كانت له بعض العلاقات الغرامية، لكنى أستطيع أن أؤكد لك أنها لم تكن علاقات جادة، وكان تايلور يخفى تلك العلاقات جيداً، ولم يكن ليقدم أبداً على تصرف قد تتعرض عائلته للأذى بسببه".

"أيها الرائد ستون، هل يمكنك أن تفكر فى أى شخص يمتلك من الأسباب ما قد يجعله يقتل تايلور وينثروب وعائلته؟".

وضع جاك ستون شوكته وقال: "ماذا؟".

"إن شخصا بمثل هذه الشهرة والنفوذ لابد أنه قد صنع لنفسه بعض الأعداء على طول شريط حياته".

"آنسة إيفانس.... هل تلمحين إلى أن أفراد عائلة وينثروب قد قتلوا؟".

قالت دانا: "أنا فقط أسالك".

فكر جاك ستون فى الأمر للحظة، ثم هز رأسه نفياً وقال: "كلا، هذا غير منطقى، إن تايلور وينثروب لم يؤذ أحدا فى حياته. ولو أنك قد تحدثت إلى أحد أصدقائه أو معارفه، لكنت قد عرفت ذلك بنفسك".

قالت دانا: "دعنى أخبرك بما عرفته حتى الآن. لقد كان تايلور وينثروب.....".

رفع جاك ستون يده ليمنعها من الاسترسال، وقال: "آنسة إيفانس، كلما قلت معلوماتى عن الأمر، كان ذلك أفضل. أنا أحاول أن أبقى خارج هذه الدوامة، وهذه هى أفضل طريقة أستطيع أن أساعدك بها - إذا كنت تفهمين ما أقصده".

نظرت دانا إليه فى حيرة وقالت: "أنا لا أفهم ماذا تقصد بالتحديد".

"بصراحة، ومن أجل مصلحتك، أتمنى أن تتركى هذا الموضوع برمته. وإذا لم تفعلى، فاحترسى لنفسك". وعلى الفور وقف جاك ستون ثم انطلق مسرعًا إلى الخارج.

جلست دانا هنالك، تفكر فيما سمعته للتو: *إذن فلم يكن لدى تايلور وينثروب أى أعداء. ربما أبحث فى هذا الموضوع من زاوية خاطئة، ماذا لو أن تايلور وينثروب لم يكن هو من صنع لنفسه أعداء لا يرحمون؟ ماذا لو أن ذلك الشخص كان أحد أولاده؟ أو زوجته؟*

أخبرت دانا جيف عن لقائها مع الرائد جاك ستون فى فترة الغداء.

قال جيف: "إن ما قاله مثير للاهتمام. لكن ماذا ستفعلين الآن؟".

"أريد أن أتحدث إلى بعض الأشخاص الذين كانوا يعرفون أبناء تايلور وينثروب. لقد كان بول وينثروب مرتبطاً بفتاة تدعى هارييت بيرك، وقد استمرت خطبتهما لما يقرب من عام".

قال جيف: "أذكر أننى قد قرأت عنهما فى صحف المجتمع". ثم تردد قليلا قبل أن يضيف: "عزيزتى، تعلمين أننى أساندك تماماً فى هذا الأمر......".

"بالطبع يا جيف".

"لكن ماذا إذا كنت مخطئة بشأن هذه المسألة؟ إن الحوادث تقع طوال الوقت. كم ستقضين من الوقت فى تولى هذه القضية؟".

قالت دانا: "لن أقضى الكثير من الوقت فى ذلك. سوف أقوم فقط بالقليل من التحريات".

كانت هارييت بيرك تقيم فى شقة أنيقة من طابقين فى القسم الشمالى الغربى من واشنطن، وقد كانت امرأة شقراء نحيلة الجسم، فى الثلاثينات من العمر، ولها ابتسامة جذابة.

قالت دانا: "شكرا لموافقتك على مقابلتى".

"أنا لست متأكدة تماماً من سبب طلبك لمقابلتى يا آنسة إيفانس. لقد قلت إن الأمر يتعلق ببول".

قالت دانا ـ وقد تعمدت اختيار كلماتها بحرص: "نعم، أنا لا أرغب فى التطفل على حياتك الخاصة، لكنكما ـ أنت وبول ـ كنتما مخطوبين وبانتظار إتمام الزفاف، وأنا واثقة أنك تعرفينه أفضل من أى شخص آخر".

"أود أن أعتقد أننى كذلك".

"أود أن أعرف المزيد عنه، وعن الحقيقة".

ظلت هارييت صامتة للحظة، وعندما تحدثت، كان صوتها ناعماً: "لم يكن بول يشبه أى رجل آخر قابلته. كان لديه شغف بالحياة، وكان لطيفاً ومراعيًا لمشاعر الآخرين، وكان مرحاً للغاية، ولم يكن يبالغ فى أخذ حياته بجدية شديدة، وكان يجلب السعادة والمرح لكل من حوله. لقد كنا نخطط للزواج فى أكتوبر". توقفت هارييت للحظة ثم أردفت: "عندما لقى بول مصرعه فى تلك الحادثة، شعرت.... شعرت بأن حياتى قد انتهت". نظرت هارييت إلى دانا وقالت بصوت خافت: "وما زلت أشعر بهذا حتى الآن".

قالت دانا: "أنا فى شدة الأسف. أكره أن أثير هذه النقطة، لكن أتعرفين إن كان لدى بول أى أعداء يكون لديهم سبب يدفعهم لقتله؟".

نظرت هارييت بيرك إلى دانا وقد بدأت الدموع تملأ عينيها، ثم قالت: "يقتل بول؟" اختنق صوتها بالدموع وهى تضيف: "لو أنك كنت تعرفين بول عن قرب، لما سألت هذا السؤال من الأساس".

كانت المقابلة التالية مع ستيف ريكسفورد، وهو رجل إنجليزى أنيق المظهر، فى منتصف العمر، وكان يعمل كبيرا للخدم فى منزل جوليا وينثروب.

"كيف يمكننى مساعدتك يا آنسة إيفانس؟".

"أردت أن أسألك بعض الأسئلة عن جوليا وينثروب".

"أنا رهن إشارتك".

"كم من الوقت ظللت تعمل لديها؟".

"أربع سنوات وتسعة أشهر".

"كيف كانت طباعها، وخصوصاً مع الخدم؟".

ابتسم الرجل مسترجعاً ذكرياته، وقال: "لقد كانت لطيفة للغاية، وكانت سيدة رائعة من جميع الجوانب. أنا...أنا لم أصدق أذنى عندما سمعت خبر الحادث الذى تعرضت له".

"هل كان لدى جوليا وينثروب أى أعداء؟".

تجهم الرجل وقال: "ماذا تقصدين؟".

"هل كانت الآنسة جوليا مرتبطة عاطفياً بشخص ما.... ثم هجرته؟ هل كان هناك من يرغب فى إيذائها أو إيذاء عائلتها؟".

هز ستيف ريكسفورد رأسه ببطء نافياً ذلك وقال: "لم تكن الآنسة جوليا من تلك النوعية من الفتيات، فهى لم تكن لتجرح أى إنسان. كلا، لقد كانت سخية بوقتها وثروتها. وكان الجميع يحبونها".

ظلت دانا تتفرس فى ملامح الرجل للحظة، وأخذت تفكر: *إنه يعنى كل كلمة يقولها، كلهم يعنون ما يقولون. ما الذى أفعله بحق السماء؟ أشعر كأننى دون كيشوت، رغم أنه لا توجد حتى طواحين هواء لكى أحاربها.*

كان مورجان أورموند، مدير متحف جورج تاون للفنون، هو التالى على قائمة مقابلات دانا.

"لقد فهمت أنك تريدين سؤالى عن جارى وينثروب، أليس كذلك؟".

"نعم. كنت أتساءل.....".

قاطعها قائلاً:

"لقد كانت وفاته خسارة رهيبة. لقد خسرت أمتنا أكبر مناصر وداعم للفن".

"سيد أورموند، ألا يوجد قدر كبير من التنافس فى عالم الفنون؟".

"تنافس؟".

"ألا يحدث أحياناً أن يسعى عدد من الأشخاص وراء نفس اللوحة الفنية وينشأ بينهم نوع من....".

"بالطبع، لكن ذلك لم يحدث قط مع السيد جارى وينثروب. لقد كانت لديه مجموعة لوحات فنية خاصة، ومع ذلك فقد كان كريماً للغاية فى تبرعاته للمتاحف. وأنا لا أقصد هذا المتحف فقط، ولكن كل المتاحف فى أنحاء العالم. لقد كان حلمه أن يجعل الفن الراقى لجميع البشر".

"هل سمعت عن أى أعداء له....".

"أعداء لجارى وينثروب؟ أبداً، أبداً".

كانت مقابلة دانا الأخيرة مع روزالند لوبيز، والتى كانت تعمل خادمة شخصية لدى مادلين وينثروب لمدة خمسة عشر عاماً. وصارت تعمل الآن فى شركة لتنظيم الحفلات تملكها هى وزوجها.

قالت دانا: "شكرا على قبولك مقابلتى يا سيدة لوبيز. لقد أردت أن أتحدث إليك بخصوص مادلين وينثروب".

"تلك السيدة المسكينة. لقد.... لقد كانت ألطف شخص عرفته فى حياتى".

فكرت دانا: *لقد بدا الأمر يشبه الأسطوانة المشروخة.*

قالت السيدة لوبيز: "لقد كانت الطريقة البشعة التى ماتت بها مسألة محزنة للغاية".

قالت دانا موافقة: "نعم، هل عملت لديها لوقت طويل؟".

"نعم يا سيدتى".

"هل تعلمين أى شىء ربما تكون السيدة قد قامت به وتسبب فى إهانة أو إيذاء بعض الناس أو جعلهم أعداء لها؟".

نظرت روزالند لوبيز إلى دانا باستغراب وقالت: "أعداء؟ كلا يا سيدتى، لقد كان الجميع يحبونها".

وقررت دانا أن الأمر يبدو كأنه أسطوانة مشروخة بالفعل.

فى طريق العودة للمكتب، أخذت دانا تفكر: *اظن اننى كنت مخطئة. على الرغم من غرابة المصادفة، فلابد أن طريقة موتهم كانت مجرد حوادث عارضة.*

توجهت دانا لمقابلة مات بيكر، فاستقبلتها آبى لازمان.

"مرحبا دانا".

"هل "مات "مستعد لمقابلتى؟".

"نعم، يمكنك الدخول إليه".

نظر مات بيكر إلى دانا وهى تدخل حجرة مكتبه وقال متهكمًا: "كيف حال شيرلوك هولمز اليوم؟".

"على نفس الحال يا صديقى المتهكم. لقد كنت مخطئة. لا توجد أى قصة مثيرة وراء هذا الموضوع".

٥

جاءت مكالمة إيلين، والدة دانا - دون سابق إنذار.

"عزيزتى دانا، لدى خبر مثير للغاية من أجلك".

"ماذا هناك يا أمى ؟"

"سوف أتزوج".

قالت دانا - وقد صدمت لدى سماع الخبر: "ماذا ؟".

"نعم. لقد ذهبت إلى مدينة ويستبورت، بولاية كونيكتيكت، لزيارة صديقة لى، وقد عرفتنى برجل غاية فى اللطف".

"أنا.... أنا سعيدة جداً من أجلك يا أمى. يا له من خبر رائع".

قالت إيلين وهى تضحك: "إنه.... إنه غاية فى الـ.... لا أستطيع وصفه بدقة، لكنه رائع بحق. سوف يروق لك كثيرا".

قالت دانا بحذر: "متى تعرفت عليه يا أمى؟".

"منذ وقت كاف يا عزيزتى، وكلانا مناسب للآخر تماما. كم أنا محظوظة للغاية".

قالت دانا: "هل لديه وظيفة يا أمى؟".

"توقفى عن التصرف كأنك أمى وليس العكس، بالطبع لديه وظيفة. إنه رجل مبيعات ناجح جداً بإحدى شركات التأمين. اسمه بيتر تومكينز، ولديه منزل جميل فى ويستبورت، كم أتوق إلى أن تأتى، أنت وكيمال، للتعرف عليه. هل ستأتيان قريبًا؟".

"بالطبع سوف نأتى".

"إن بيتر متلهف لمقابلتك، ولقد أخبر جميع أصحابه عن مدى شهرتك كمذيعة تليفزيونية. هل أنت واثقة من أنك سوف تتمكنين من الحضور؟".

"نعم". لم تكن دانا تذيع أية نشرات فى إجازة نهاية الأسبوع، ولذا لم يكن هناك مشكلة فى ذهابها. أردفت دانا: "أنا وكيمال نتطلع إلى الحضور بشوق كبير".

أحضرت دانا كيمال من المدرسة، وقالت: "سوف تقابل جدتك. سوف نصبح عائلة حقيقية يا عزيزى".

"أصلى".

ابتسمت دانا، فقد كانت تعرف أن "أصلى" بلغة الجيل الجديد تعنى "رائع".

فى الصباح المبكر من يوم السبت، انطلقت دانا - ومعها كيمال - بالسيارة إلى كونيكتيكت ، وكانت تتطلع إلى رحلة ويستبورت بلهفة شديدة.

قالت دانا - وهى تحاول طمأنة كيمال: "سوف تكون هذه الزيارة مفيدة للجميع. فكل الأجداد والجدات يحتاجون إلى أحفاد لكى يقوموا بتدليلهم. وهذا هو أفضل جانب فى أن يكون للمرء أطفال. إلى جانب أنك سوف تتمكن من الإقامة عندهم لبعض الوقت خلال فترات الإجازات".

قال كيمال بعصبية: "سوف تأتين معى حينها؟".

ضغطت دانا يده برفق وقالت: "سأكون هناك".

كان منزل بيتر تومكينز عبارة عن كوخ قديم رائع المنظر يقع على طريق بليند بروك، ويجرى بجواره جدول صغير.

قال كيمال: "يا له من منزل رائع".

عبثت دانا بخصلات شعر كيمال وقالت: "أنا سعيدة أنه قد أعجبك. سوف نأتى إلى هنا كثيراً".

انفتح الباب الأمامى للكوخ، ووقفت إيلين إيفانس على عتبته. كانت ملامحها لا تزال تحمل آثارا قليلة من الجمال الذى تبقى لديها، وكأنها كانت علامات على ما كانت عليه تلك الملامح فى الماضى، لكن بدا كأن مرارة قد ارتسمت على ملامح الماضى الجميل بفرشاة حادة. لقد انتقل جمالها إلى ابنتها دانا بطريقة بدت أشبه بأسطورة دوريان جراى (الذى كانت صورته المرسومة تشيخ ويظل هو شاباً إلى الأبد). وقد وقف بجوار إيلين رجل لطيف الملامح، فى منتصف العمر، تعلو وجهه ابتسامة عريضة.

اندفعت إيلين إلى الأمام واحتضنت دانا بين ذراعيها وهى تقول: "عزيزتى دانا ! وهذا بالطبع هو كيمال!".

"أمى....".

قال بيتر تومكينز: "إذن فهذه هى دانا إيفانس الشهيرة؟ لقد أخبرت كل عملائى عنك". ثم التفت إلى كيمال وأردف: "وهذا هو الصبى". لاحظ بيتر ذراع كيمال المقطوعة، فقال مخاطباً إيلين: "لماذا لم تخبرينى بأنه معوّق ؟".

تجمد الدم فى عروق دانا ، وخصوصا عندما رأت الصدمة تعلو وجه كيمال.

هز بيتر تومكينز رأسه وقال: "لو كان لديه تأمين فى شركتنا قبل حدوث هذا الأمر، لصار صبيا غنيا الآن"، ثم استدار تجاه الباب وقال: "هيا إلى الداخل. لابد أنكما جائعان للغاية".

قالت دانا باقتضاب: "لم نعد كذلك". ثم التفتت إلى إيلين وقالت: "معذرة يا أمى، لكن يجب أن نعود أنا وكيمال إلى واشنطن".

"أنا آسفة يا دانا. أنا....".

"وكذلك أنا. أتمنى ألا يكون هذا الزواج خطأ كبيراً من جانبك. على أى حال، زفاف سعيد".

"دانا....".

ظلت إيلين تنظر فى حسرة، بينما كان كيمال ودانا يعودان إلى داخل السيارة وانطلقا بسرعة مبتعدين عن المكان.

تطلع بيتر تومكينز باندهاش إلى السيارة المبتعدة وقال: "عجبا ! هل قلت شيئاً ضايقهما ؟".

تنهدت إيلين إيفانس وقالت: "لا شىء يا بيتر.... لا شىء".

ظل كيمال صامتا طوال رحلة العودة إلى المنزل، وكانت دانا تختلس النظرات إليه من وقت لآخر.

"أنا فى شدة الأسف يا عزيزى. بعض الناس مصابون بالجهل الشديد".

قال كيمال بمرارة: "إنه على حق. أنا معوّق".

ردت دانا بغضب: "أنت لست معوقاً. إننا لا نحكم على الناس بعدد الأيادى والأقدام التى يمتلكونها، وإنما يجب أن نحكم عليهم من خلال معرفة من يكونون".

"حقا؟ وماذا أكون أنا ؟".

"أنت من الناجين. وأنا فخورة بك. أتعلم، لقد كان ذلك الرجل المغفل محقاً فى شىء واحد ـ أنا جائعة للغاية. أعتقد أن الأمر لن يهمك كثيرا، لكننى أرى أحد مطاعم ماكدونالد أمامنا".

ابتسم كيمال وقال: "رائع".

بعد أن توجه كيمال إلى سريره، دخلت دانا غرفة المعيشة، وجلست تفكر قليلا، ثم فتحت التلفاز وبدأت تتنقل بين قنوات الأخبار. كانت جميع المحطات تتابع آخر المستجدات فى قضية مقتل جارى وينثروب.

"..... على أمل أن العثور على الشاحنة المسروقة قد يوفر بعض الأدلة من أجل التعرف على شخصية الجناة....".

".....وقد أثبت تقرير المقذوفات أن الرصاصتين قد أطلقتا من مسدس طراز بيريتا، ويقوم رجال التحقيقات الآن بتفقد متاجر بيع الأسلحة من أجل....".

"..... ولقد أثبتت جريمة القتل الوحشية التى تعرض لها جارى وينثروب فى المنطقة الراقية بشمال غرب واشنطن أنه لا أحد.....".

كان هناك شىء فى أغوار عقل دانا ـ يغيظها بشدة. ولقد تطلب الأمر ساعات حتى تستغرق فى النوم. وعندما استيقظت دانا فى الصباح، أدركت فجأة ما كان يضايقها بالأمس. *لقد كانت الأموال والمجوهرات مكشوفة أمام القتلة، فلماذا لم يحاولوا سرقتها؟*

نهضت دانا وأعدت لنفسها قدحا من القهوة، بينما كانت تراجع الأسئلة التى طرحت على قائد الشرطة بيرنيت وإجاباته عليه:

هل لديكم قائمة باللوحات؟

نعم، لدينا. وهى لوحات شهيرة للغاية، ويتم الآن توزيع قائمة بأسماء اللوحات على المتاحف، وتجار التحف، وجامعى اللوحات الفنية. وفى اللحظة التى ستظهر فيها إحدى تلك اللوحات، سينكشف لغز القضية.

فكرت دانا: *لابد أن القتلة قد علموا أن بيع اللوحات لن يكون مسألة هينة، مما قد يعنى أن عملية السرقة قد تم التخطيط لها من جانب جامع لوحات ثرى يرغب فى الاحتفاظ بتلك اللوحات لنفسه.*

لكن ما الذى يدفع شخصاً كهذا لأن يضع نفسه تحت رحمة مجرمين خطيرين؟

عندما استيقظ كيمال صباح يوم الاثنين، أعدت له دانا طعام الإفطار وأوصلته إلى المدرسة.

"أتمنى لك يوماً سعيداً يا عزيزى".

"إلى اللقاء يا دانا".

انتظرت دانا حتى رأت كيمال يدخل من الباب الرئيسى للمدرسة، ثم توجهت إلى قسم الشرطة فى شارع إنديانا.

كان الثلج يهطل مجددا، وكانت هناك رياح شرسة تطيح بكل ما يعترض طريقها.

كان التحرى فونيكس ويلسون ـ المسئول عن التحقيق عن جريمة قتل جارى وينثروب ـ رجلا محنكا، كارها للبشر، وكان بوجهه بعض الندوب التى تظهر ما الذى أوصله لهذه الحالة.

رفع الرجل عينيه عندما دلفت دانا إلى حجرة مكتبه.

فقال مزمجراً: "لا مقابلات صحفية. عندما تتوفر أى معلومات جديدة بخصوص جريمة قتل جارى وينثروب، فسوف تعلمين بها ـ أنت وبقية رجال الإعلام ـ من خلال المؤتمر الصحفى".

قالت دانا: "أنا لم آت لأسألك عن هذا الأمر".

نظر إليها الرجل بتشكك وقال: "أوه، حقاً؟".

"نعم. إن اهتمامى منصب على اللوحات التى سُرقت. أظن أن لديك قائمة بها، أليس كذلك ؟".

"وماذا لو كنت كذلك ؟".

"هل يمكنك أن تعطينى نسخة منها ؟".

تساءل التحرى ويلسون بارتياب: "لماذا؟ ما الذى يدور بتفكيرك؟".

"أود أن أرى اللوحات التى سرقها اللصوص، إذ ربما أخصص لهذا الموضوع جزءاً من النشرة المذاعة على الهواء".

ظل التحرى ويلسون يتفرس فى ملامح دانا للحظة، ثم قال: "هذه فكرة جيدة. كلما زادت شهرة تلك اللوحات، قلت فرصة اللصوص فى بيعها". ثم نهض من وراء مكتبه وأردف: "لقد سرقوا اثنتى عشرة لوحة وتركوا لوحات كثيرة أخرى. أظن أنهم كانوا أكثر كسلا من أن يحملوا كل اللوحات، وخصوصا أنه قد صار من الصعب العثور على مساعدة جيدة من الآخرين فى هذه الأيام. سوف آتيك بنسخة من تقرير المسروقات".

عاد الرجل بعد دقائق معدودة وهو يحمل فى يده نسختين مصورتين، ثم أعطاهما إلى دانا قائلا: "هذه نسخة من قائمة اللوحات التى سرقت، وهذه نسخة من القائمة الأخرى".

قالت دانا وهى تنظر إليه باستغراب: "أى قائمة أخرى ؟".

"قائمة بكل اللوحات التى كان جارى وينثروب يملكها ـ بما فيها اللوحات التى تركها اللصوص خلفهم".

"شكراً جزيلاً. أنا ممتنة لك كثيراً".

وفى الرواق بالخارج، تفحصت دانا كلتا القائمتين. وكان ما تراه بعينيها أمرًا محيراً. خرجت دانا إلى الهواء البارد بالخارج ثم توجهت إلى صالة كريستى ـ أشهر صالة مزادات بالعالم. كان انهمار الثلج قد ازداد، وكانت حشود المتسوقين تسرع الخطى لكى ينتهوا من شراء هدايا عيد الميلاد ويعودوا إلى منازلهم ومكاتبهم الدافئة.

عندما وصلت دانا إلى صالة كريستى، تعرف عليها المدير فى الحال، فأسرع يرحب بها قائلا: "يا له من شرف كبير يا آنسة إيفانس، ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟".

قالت دانا: "لدىّ قائمتان تحويان مجموعة من اللوحات، وسأكون ممتنة لو أخبرنى أحد الخبراء بقيمة تلك اللوحات".

"بالطبع. سيكون ذلك من دواعى سرورنا. تفضلى معى إذا سمحت.....".

بعد ساعتين كانت دانا فى حجرة مكتب مات بيكر.

بدأت دانا حديثها قائلة: "هناك شىء غريب يحدث".

"إننا لن نعود إلى قصة نظرية المؤامرة مجدداً، أليس كذلك؟".

سلّمت دانا القائمة الطويلة إلى مات بيكر، قائلة: "أخبرنى أنت. هذه القائمة تحوى كل اللوحات الفنية التى كان جارى وينثروب يمتلكها، ولقد قمت بتثمين تلك اللوحات لدى صالة عرض كريستى".

تفحص مات بيكر القائمة بسرعة، ثم قال: "أوه، إننى أرى لوحات لرسامين مشاهير هنا: فان جوخ، هالس، ماتيسى، مونيت، بيكاسو، مانيت". رفع مات عينيه عن القائمة وأردف: "إذن؟".

قالت دانا وهى تناول مات القائمة القصيرة التى تحتوى على أسماء اللوحات المسروقة: "والآن انظر إلى هذه القائمة".

قرأ مات أسماء الرسامين الذين سرقت لوحاتهم بصوت مرتفع: "كاميلى بيسارو، مارى لورينسين، بول كليه، ماوريس يوتريلو، هنرى ليباسك. حسنا، ما هو قصدك ؟".

قالت دانا ببطء: "الكثير من اللوحات التى تحويها القائمة الشاملة تساوى عشرة ملايين دولار للوحة الواحدة". توقفت دانا للحظة، ثم أردفت: "أما معظم اللوحات التى سرقت فلا يزيد ثمن إحداها على مائتى ألف دولار أو أقل من ذلك".

غمز مات بيكر بعينه وقال: "هل أخذ اللصوص اللوحات الأقل قيمة وثمناً؟".

مالت دانا إلى الأمام وهى ترد: "هذا صحيح. مات، لو أنهم كانوا لصوصاً محترفين، لكانوا قد سرقوا الأموال والمجوهرات التى كانت ملقاة هنا وهناك. إن الطريقة التى تمت بها الجريمة جعلتنا نفترض أن شخصاً قد استأجر هؤلاء اللصوص لسرقة اللوحات الأعلى قيمة والأغلى ثمناً، لكن طبقا لتلك القائمة، لم يكن هؤلاء اللصوص يعرفون أى شىء عن الفن. لماذا تم استئجارهم إذن؟ إن جارى وينثروب لم يكن مسلحا، فلماذا أطلقوا عليه النار؟".

"هل تقصدين أن عملية السرقة كانت مجرد غطاء، وأن الدافع الحقيقى للاقتحام المنزل كان قتل جارى وينثروب ؟"

"هذا هو التفسير الوحيد الذى خطر بعقلى".

ازدرد مات لعابه وقال: "دعينا نفحص هذه الفرضية. لنفترض أن تايلور وينثروب كان له عدو، وأنه قد تعرض للقتل - فلماذا يرغب أى شخص فى محو عائلته من الوجود؟".

قالت دانا: "لا أدرى، لكنى لن أرتاح حتى أكتشف الحقيقة".

كان الدكتور أرماند دويتش واحداً من أشهر الأطباء النفسيين فى واشنطن، وكان رجلا مهيب الملامح، فى السبعينات من العمر، تعلو وجهه جبهة عريضة، وله عينان زرقاوان ثاقبتان. رفع الرجل نظره إلى أعلى عندما دلفت دانا إلى داخل حجرته.

"آنسة إيفانس؟".

"نعم. أقدر قبولك رؤيتى يا سيدى الطبيب. إن ما أريد مقابلتك بشأنه هو أمر فى غاية الأهمية".

"وما هو ذلك الأمر المهم إلى هذه الدرجة؟".

"أظن أنك قرأت عن حالات الوفاة التى حدثت فى عائلة وينثروب، أليس كذلك ؟".

"بالطبع. لقد كان وقوع كل هذه الحوادث فى عائلة واحدة أمراً مأساويا للغاية".

قالت دانا: "وماذا لو أنها لم تكن حوادث؟".

"ماذا؟ ما الذى تقولينه؟".

"أقول إن هناك احتمالاً أن تكون كلها جرائم قتل".

"كل أفراد عائلة وينثروب تعرضوا للقتل؟ يبدو هذا أمرا خياليا يا آنسة إيفانس...أمراً صعب التصديق".

"لكنه محتمل".

"وما الذى يجعلك تظنين أنهم قد يكونون ضحايا لجرائم قتل؟".

قالت دانا: "إنه.... إنه مجرد حدس".

"فهمت. مجرد حدس". استرخى الدكتور دويتش فى مقعده، وهو يدرس ملامحها جيداً، ثم قال: "لقد شاهدت التقارير التى كنت تنقلينها من سراييفو، وأستطيع أن أقول إنك مراسلة ممتازة".

"شكراً لك".

مال الدكتور دويتش إلى الأمام مستندا على مرفقيه، وقد تعلقت عيناه الزرقاوان بعينى دانا، ثم قال: "إذن، فقد كنت تعيشين فى وسط حرب بشعة منذ فترة ليست بالبعيدة، أليس كذلك؟".

"نعم".

"وكنت تنقلين أخباراً عن نساء يغتصبن، ورجال يقتلون، وأطفال رضع يدفنون أحياء.....".

كانت دانا تنصت إلى كلماته - بتيقظ شديد.

"من الواضح أنك كنت تحت ضغوط شديدة".

قالت دانا: "نعم".

"كم مر على عودتك من هناك - خمسة أو ستة شهور؟".

قالت دانا: "ثلاثة أشهر".

أومأ الرجل برأسه وقال بنبرة اقتناع: "ليس لديك وقت كاف حتى تعاودى التأقلم مع الحياة المدنية، أليس كذلك؟ ولابد أنك

تصابين بكوابيس ترين فيها كل جرائم القتل البشعة التى عاينتها فى الحقيقة، والآن صار عقلك الباطن يتخيل....".

قاطعته دانا قائلة: "دكتور، أنا لست مصابة بجنون الارتياب. أنا لا أمتلك أدلة مؤكدة، ولكن لدى أسباب تجعلنى أؤمن بأن وفاة أفراد عائلة وينثروب لم تكن قضاءً وقدرًا. ولقد جئت لمقابلتك لأننى كنت أرجو أن تساعدنى".

"أساعدك؟ بأية طريقة؟".

"أحتاج إلى دافع. ما هو الدافع الذى قد يجعل شخصاً يرغب فى القضاء على عائلة بأسرها؟".

نظر الدكتور دويتش إلى دانا ونقر بأصابعه فوق سطح المكتب، ثم قال: "هناك بالطبع مقدمات لمثل هذا النوع من الهجوم العنيف. مسألة ثأر.... عملية انتقام. فى إيطاليا، عُرف عن عصابات المافيا أنها كانت تقتل عائلات بأكملها. أو ربما يكون للموضوع علاقة بالمخدرات. وقد يكون ما حدث هو نوع من الانتقام لمأساة تسببت فيها العائلة. أو ربما يكون القاتل شخصا مهووسا لا يمتلك أى دافع عقلانى لكى....".

قالت دانا: "أنا لا أظن أن هذه هى الحالة هنا".

"إذن، هناك بالطبع أحد أقدم الدوافع فى التاريخ - المال".

المال. لقد فكرت دانا فى ذلك بالفعل.

كان والتر كالكين - الشريك الأكبر بشركة كالكين آند تايلور آند أندرسون القانونية - هو محامى عائلة وينثروب منذ ما يزيد على خمس وعشرين سنة. كان كالكين رجلا مسنا ومقعدا نتيجة إصابته بمرض التهاب المفاصل. لكن بينما كان جسده واهياً، كان عقله ما زال يعمل بكفاءة شديدة.

تطلع الرجل إلى دانا للحظة، ثم قال: "لقد أخبرت سكرتيرتى بأنك تريدين التحدث إلىّ بخصوص أملاك عائلة وينثروب، أهذا صحيح ؟".

"نعم".

تنهد الرجل وقال: "إن ما حدث لتلك العائلة الرائعة أمر لا يصدق....لا يصدق على الإطلاق".

قالت دانا: "لقد علمت أنك كنت تتولى معاملاتهم القانونية والمالية".

"نعم".

"سيد كالكين، أكان هناك أى شىء غير عادى فى تلك المعاملات خلال العام الماضى؟".

كان الرجل ينظر إلى دانا بفضول، ثم قال: "غير عادى من أى ناحية؟".

قالت دانا بحذر: "أعلم أن هذا الأمر محرج، لكن....أكنت ستدرى إذا كان أى فرد من أفراد العائلة يتعرض لعملية ابتزاز؟".

ساد الصمت للحظة، ثم قال كالكين: "أتقصدين هل كنت لأعرف إذا كانوا يدفعون مبالغ كبيرة من المال إلى شخص محدد بشكل منتظم ؟".

"نعم".

"نعم، أعتقد ذلك".

قالت دانا بإلحاح: "وهل كان هناك أى شىء من هذا النوع؟".

"مطلقاً. أعتقد أنك تفترضين وجود نوع من السلوك غير القانونى؟ لكن يجب أن أخبرك أن هذا الافتراض سخيف لدرجة لا توصف".

قالت دانا: "لكنهم قد ماتوا جميعاً، ولابد أن ممتلكاتهم تساوى المليارات. وسوف أقدر صنيعك بشدة إذا أخبرتنى من سيرث تلك الأموال".

تطلعت دانا إلى المحامى وهو يفتح علبة تمتلئ بالأقراص، ويخرج واحداً منها، ثم يبتلعه برشفة من الماء، ثم قال: "آنسة إيفانس، نحن لا نتحدث أبدا عن شئون عملائنا". تردد الرجل

للحظة ثم أردف: "لكنى لا أرى ضرراً فى إخبارك، لأن هناك مؤتمراً صحفياً سوف يعقد غدا لتوضيح هذه المسألة".

تذكرت دانا كلمات الدكتور دويتش: *وهناك بالطبع أحد أقدم الدوافع فى التاريخ. المال.*

نظر والتركالكين إلى دانا وقال: "بوفاة جارى وينثروب، آخر فرد من أفراد عائلة وينثروب، فسوف.....".

قالت دانا وهى تحبس أنفاسها: "فسوف ماذا؟".

"فسوف تئول ثروة عائلة وينثروب بالكامل إلى الجمعيات الخيرية".

٦

انهمك طاقم العمل فى الاستعداد لبث نشرة أخبار الفترة المسائية.

كانت دانا تجلس خلف طاولة المذيعين بالاستوديو، تراجع التعديلات الأخيرة على نشرة الأخبار، وذلك بعد أن تمت دراسة كل الأخبار التى وردت طوال اليوم عبر أجهزة الاتصال وقنوات اللاسلكى الخاصة برجال الشرطة واختيار المناسب منها لإذاعته.

وجلس كل من جيف كونورز وريتشارد ميلتون بجوار دانا، وراء طاولة المذيعين. وبدأت أنستاسيا مان العد التنازلى، وأنهت الأرقام الأخيرة ٣... ٢... ١... بإشارة من إصبعها السبابة، وعلى الفور تألق الضوء الأحمر الخاص بكاميرا التصوير.

انطلق صوت مذيع النشرة قائلاً بنبرة قوية: "هذه نشرة أخبار الحادية عشرة مساء من محطة (دبليو. تى. إن)، معكم دانا إيفانس" ثم ابتسمت لعدسة الكاميرا وقالت: "وريتشارد ميلتون". تطلع ميلتون إلى عدسة الكاميرا وأومأ برأسه قائلاً: "ومعنا جيف

كونورز للتعليق على أخبار الرياضة ومارفين جرير لتقديم نشرة الأحوال الجوية. والآن نبدأ نشرة أخبار الحادية عشرة".

نظرت دانا إلى عدسة الكاميرا وقالت: "مساء الخير، أنا دانا إيفانس".

وابتسم ريتشارد ميلتون وقال: "وأنا ريتشارد ميلتون".

بدأت دانا تقرأ الأخبار من فوق شاشة التلقين: "لدينا نبأ عاجل. انتهت فى فترة مبكرة من مساء الليلة عملية مطاردة قام بها رجال الشرطة فى أعقاب حادث سطو على أحد متاجر المشروبات".

"ابدأ عرض الشريط رقم ١".

تألقت الشاشة بصورة تعرض مشهدا داخل كابينة طائرة مروحية، وفى غرفة التحكم الخاصة بالمروحية التابعة لشبكة (دبليو. تى. إن)، جلس نورمان برونسون، الطيار السابق بالبحرية الأمريكية، وجلست بجواره آليس باركر وقد تغيرت زاوية كاميرا التصوير، والتقطت مشهداً على الأرض يصور ثلاث سيارات شرطة تحيط بسيارة سيدان مرتطمة بإحدى الأشجار.

قالت آليس باركر: "بدأت المطاردة عندما اقتحم رجلان متجر هالى ليكور بشارع بنسلفانيا آفينو وحاولا السطو على خزينة المتجر، فقاومهما الصرّاف وضغط زر الإنذار ليستدعى الشرطة. وعلى الفور هرب اللصان من موقع الحادث، لكن سيارات الشرطة طاردتهما لمسافة أربعة أميال حتى اصطدمت سيارتهما بإحدى الأشجار".

تم تصوير عملية المطاردة بواسطة مروحية المحطة. نظرت دانا إلى المشهد وقالت لنفسها: *إن أفضل ما فعله مات بيكر فى حياته هو أنه قد أقنع إليوت بشراء هذه المروحية. إنها تصنع فارقاً كبيرًا فى التغطيات التى نقوم بها.*

كان هناك ثلاثة أخبار أخرى، ثم أشار المخرج بالتوقف لاستراحة إعلانية، فقالت دانا: "سنعود إليكم بعد هذا الفاصل الإعلانى القصير".

ثم بدأت الإعلانات التجارية.

التفت ريتشارد ميلتون إلى دانا وقال: "هل نظرت إلى الخارج؟ إن الجو قارس البرودة".

ضحكت دانا وقالت: "علمت ذلك. إن مذيع النشرة الجوية المسكين سيتلقى الكثير من رسائل التوبيخ من الجماهير".

عاد ضوء الكاميرا الأحمر للتألق من جديد، وظلت شاشة جهاز التلقين سوداء للحظة، ثم بدأت الكلمات تظهر فوقها، وبدأت دانا قراءة النشرة: "فى ليلة رأس السنة أود أن.....". ثم توقفت، مذهولة، وهى تنظر إلى بقية الكلمات التى كانت تقول: "..... *نتزوج. سوف يكون لدينا دائما سبب مزدوج للاحتفال بليلة رأس السنة*".

كان جيف يقف بجوار شاشة التلقين - وقد اتسعت ابتسامته.

نظرت دانا إلى عدسة الكاميرا وقالت بارتباك: "سوف.... سوف نتوقف مرة أخرى لاستراحة إعلانية قصيرة".

ثم انطفأ الضوء الأحمر.

وقفت دانا وقالت: "جيف!".

ثم تحرك كلاهما ناحية الآخر وتعانقا.

سأل جيف: "إذن، ما هو ردك؟".

احتضنته دانا بقوة وهمست: "موافقة".

وعلى الفور انطلقت صيحات الفرح من أفواه جميع الموجودين بالاستوديو.

عندما انتهى بث نشرة الأخبار وصارا بمفردهما، قال جيف: "ماذا تتمنين يا حبيبتى؟ حفل زفاف كبير، حفل صغير، أم حفل متوسط؟".

لقد بدأت دانا تفكر فى حفل زفافها منذ أن كانت طفلة صغيرة، وكانت تتخيل نفسها فى ثوب زفاف من الحرير الأبيض الجميل، له ذيل طويل للغاية. وفى الأفلام التى شاهدتها، كانت هناك دائما تلك الإثارة المجنونة التى تصاحب الاستعداد للزفاف..... إعداد قائمة المدعوين.... اختيار متعهد الحفلات.... اختيار وصيفات العروس....حجز دار المناسبات..... سوف تكون كل صديقاتها هناك، وكذلك والدتها، كانت تعلم أن ذلك اليوم سيكون أروع أيام حياتها، والآن صار ذلك حقيقة.

قال جيف: "دانا....؟" لقد كان ينتظر إجابتها.

لكن دانا كانت غارقة فى أفكارها: *لو أننى أقمت حفل زفاف كبيرًا، فلابد أن أدعو أمى وزوجها. أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك بكيمال ومشاعره.*

قالت دانا: "دعنا نهرب معاً".

أومأ جيف برأسه، وقال باندهاش: "إذا كان ذلك هو ما تريدينه، فهو ما أريده أيضاً".

كان كيمال فى قمة السعادة عندما سمع الأخبار، وقال: "أتقصدين أن جيف سوف يأتى للعيش معنا هنا؟".

"هذا صحيح، سوف نعيش جميعا معاً، وسوف يصير لديك عائلة حقيقية يا عزيزى". جلست دانا على طرف سرير كيمال لمدة ساعة تالية، وهى تناقش معه بسعادة مستقبل عائلتهم الجديدة. سوف يعيش ثلاثتهم معاً، ويقضون إجازاتهم معاً، وسوف يظلون معاً. هذه هى الكلمة السحرية.

• • •

عندما استغرق كيمال فى النوم، اتجهت دانا إلى حجرة نومها وأدارت جهاز الكمبيوتر وهى تفكر: لنبحث عن *الشقق*....

الشقق. سوف نحتاج إلى حجرتى نوم، حمامين، حجرة معيشة، مطبخ، صالة طعام، وربما حجرة مكتب، وحجرة دراسة. لن يكون العثور على شقة بهذه المواصفات عسيراً جدا. وأخذت دانا تفكر فى *منزل جارى وينثروب الذى يقبع خاويا، وحينئذ بدأ عقلها يشرد: يا ترى، ماذا حدث حقاً فى تلك الليلة؟ ومن الذى أغلق جهاز الإنذار؟ وإذا لم يكن هناك آثار اقتحام، فكيف دخل اللصوص إلى المنزل؟*
وبشكل شبه تلقائى، نقرت بأصابعها على لوحة المفاتيح وكتبت "وينثروب" وهى تفكر: *ما الذى أصابنى بحق السماء؟* وعلى الفور رأت دانا نفس المعلومات المألوفة التى رأتها من قبل.

إقليمى ... الولايات المتحدة ... واشنطن دى سى ... حكومة ... سياسة ... الوكالة الفيدرالية للأبحاث.

• تايلور وينثروب ـ عمل سفيرا للولايات المتحدة فى روسيا وقاد مفاوضات تجارية لتوقيع اتفاقية تجارية مهمة مع إيطاليا...

• تايلور وينثروب ـ الملياردير العصامى تايلور وينثروب كرّس حياته لخدمة وطنه ...

• تايلور وينثروب ـ عائلة وينثروب تنشئ حسابات خيرية بالبنوك لمساعدة المدارس، والمكتبات، وبرامج مساعدة الشباب فى الأحياء الفقيرة ...

كان هناك خمسة وأربعون موقعا إلكترونياً مخصصة لعائلة وينثروب. وكانت دانا على وشك تغيير موضوع البحث إلى العقارات والشقق عندما التقطت عيناها عنواناً عشوائياً.

• تايلور وينثروب ـ دعوى قضائية. رفعت جوان سينسى، السكرتيرة السابقة للسيد تايلور وينثروب دعوى قضائية ضده، ثم قامت بسحبها فى وقت لاحق.

قرأت دانا الخبر مجدداً، وهى تتساءل: *أى نوع من القضايا؟* تجولت بين العديد من مواقع عائلة وينثروب، لكن لم يكن هناك مزيد من المعلومات عن أى دعاوى قضائية، ثم كتبت دانا اسم جوان سينسى فى خانة البحث، فلم ترد لها أى نتائج.

"أهذا خط آمن؟".
"نعم".
"أريد تقريراً عن المواقع الإلكترونية التى يقوم *الهدف* بتصفحها".
"سوف نهتم بالأمر على الفور".

فى الصباح التالى، وعندما وصلت دانا إلى مكتبها بعد أن أوصلت كيمال إلى المدرسة، أخذت تبحث فى دليل هاتف مدينة واشنطن. لا يوجد أى هاتف باسم جوان سينسى. فجربت دليل هاتف ولاية ميرلاند ... ثم ولاية فيرجينيا ... لا شىء، *لعلها انتقلت إلى ولاية بعيدة،* هكذا قررت دانا.
دلف توم هوكينز ـ معد النشرة المسائية ـ إلى حجرة مكتب دانا وقال بسعادة: "لقد تفوقنا على المحطات المنافسة مجدداً ليلة أمس".
قالت دانا: "عظيم"، ثم شردت أفكارها للحظة، وأخيرا قالت: "توم، هل تعرف أحدا فى شركة الهاتف؟".
"بالتأكيد. هل تريدين تركيب هاتف جديد؟".
"كلا، أريد أن أعرف إن كان لشخص ما رقم غير مسجل. هل تظن أنك تستطيع تحرى ذلك الأمر؟".
"ما اسم ذلك الشخص؟".
"جوان سينسى".
قطب توم جبينه وقال: "لماذا يبدو هذا الاسم مألوفاً؟".

"لأنها أقامت دعوى قضائية ضد تايلور وينثروب".

"آه، نعم. لقد تذكرت الآن. لقد كان ذلك منذ سنة مضت، عندما كنت فى يوغسلافيا. ولقد ظننت أن هناك قصة مثيرة خلف الموضوع، لكن القضية انتهت بسرعة ودون جلبة تذكر. لعلها تعيش الآن فى إحدى الدول الأوروبية، لكنى سأحاول اكتشاف الأمر".

بعد ربع ساعة انطلق صوت أوليفيا واتكينز عبر الهاتف: "توم هوكينز يطلبك عبر الهاتف".

قالت دانا: "توم؟".

قال توم: "إن جوان سينسى ما زالت تعيش فى واشنطن، ولدىّ رقم هاتفها غير المسجل - إذا كنت لا تزالين تريدينه".

قالت دانا - وهى تلتقط قلمًا: "رائع، إلىّ بالرقم".

"٢٦٩٠ - ٥٥٥".

"شكراً لك".

"الشكر ثمن زهيد. أظن أننى سأقبل دعوة غداء".

"لك ما تريد".

انفتح باب المكتب ودلف إلى الداخل كل من دين أورليتش، وروبرت فينويك، وماريا توبسو - وكان ثلاثتهم من المؤلفين الذين يعملون فى أخبار التلفاز.

قال روبرت فينويك: "ستكون النشرة المسائية عبارة عن سلسلة من الحوادث الدموية. لدينا حادثا قطار، وتحطم طائرة، وانهيار صخرى كبير".

بدأ الأربعة يطالعون ويحللون عناوين الأخبار الواردة. وعندما انتهى الاجتماع بعد ساعتين، التقطت دانا الورقة التى كتبت فيها رقم جوان سينسى واتصلت بالرقم.

أجابت امرأة على الاتصال: "منزل آنسة سينسى".

"هل يمكننى التحدث إلى الآنسة سينسى؟ أنا دانا إيفانس".

قالت المرأة: "سوف أرى إن كانت موجودة، لحظة واحدة من فضلك".

انتظرت دانا للحظات، وأخيراً انطلق صوت امرأة أخرى - وكان صوتاً خافتاً ومتردداً: "مرحباً....".

"الآنسة جوان سينسى؟".

"نعم".

"أنا دانا إيفانس، وكنت أتساءل إن كان....".

"أتقصدين أنك دانا إيفانس - المذيعة الشهيرة؟".

"نـ.... نعم".

"أوه ! أنا أشاهد النشرة التى تذيعينها كل ليلة، وأنا من أشد المعجبات بك".

قالت دانا: "شكرا لك على هذا الإطراء، ولكننى أتساءل إن كان من الممكن أن أحظى ببضع دقائق من وقتك يا آنسة سينسى. أود أن أتحدث إليك فى أمر ما".

"أحقا تريدين ذلك؟"هكذا ردت المرأة - وقد حملت نبرات صوتها تعبير عن اندهاش سعيد.

"نعم. هل يمكننا أن نتقابل فى مكان ما؟".

"بالطبع. هل تودين القدوم إلى منزلى؟".

"لا مانع لدىّ، متى سيكون الوقت مناسباً لك؟".

ترددت المرأة قليلا ثم قالت: "فى أى وقت، أنا موجودة بالمنزل طوال النهار".

"ماذا عن ظهيرة الغد... لنقل مثلاً الساعة الثانية؟".

قالت جوان سينسى: "مناسب جداً"، ثم أعطت العنوان لدانا.

قالت دانا: سوف أراك غدا"، ثم وضعت سماعة الهاتف وهى تفكر: *لماذا أستمر فى ملاحقة هذه القضية؟ حسناً، سيكون ذلك آخر ما أقوم به.*

فى تمام الثانية من ظهيرة اليوم التالى، قادت دانا سيارتها إلى مدخل المبنى الشاهق الذى تقيم جوانا سينسى بأحد طوابقه، والذى يقع فى شارع برينس ستريت. كان هناك بواب يرتدى زياً رسمياً ويقف أمام مدخل المبنى وقد نظرت دانا إلى فخامة تصميم المبنى وأخذت تفكر: *كيف يمكن لسكرتيرة أن تتحمل نفقات الإقامة فى مكان كهذا؟* أوقفت دانا سيارتها ودلفت إلى بهو المبنى. وكان هناك موظف استقبال يجلس خلف مكتبه.

"هل يمكنني مساعدتك؟".

"لدىّ موعد لمقابلة الآنسة جوان سينسى. أنا دانا إيفانس".

"نعم، آنسة إيفانس. إنها بانتظارك. فقط استقلى المصعد إلى الشقق العلوية. سوف تجدينها بالشقة رقم ١".

الشقق العلوية؟

عندما وصلت دانا إلى الطابق الأخير، خرجت من المصعد ودقت جرس باب الشقة رقم ١. فُتح الباب بواسطة خادمة ترتدى زيا رسميا.

"آنسة إيفانس؟".

"نعم".

"تفضلى بالدخول".

كانت جوان سينسى تعيش فى شقة بها اثنتا عشرة غرفة، ولها شرفة شاسعة تطل على منظر جميل للمدينة، وقد قادت الخادمة دانا عبر رواق طويل انتهى بقاعة استقبال واسعة مطلية باللون الأبيض ومزخرفة بشكل جميل. وهناك جلست امرأة صغيرة الحجم، نحيلة القوام، على أريكة مريحة، لكنها أسرعت بالنهوض عندما دلفت دانا إلى الداخل.

كانت جوان سينسى تمثل مفاجأة بكل المقاييس. لم تكن دانا تعرف ماذا يجب أن تتوقع، لكن المرأة التى قامت لتحيتها كان آخر ما يمكن لعقلها توقعه. لقد كانت جوان سينسى امرأة ضئيلة

عادية الملامح، لها عينان بنيتان غائمتان تخفيهما وراء نظارتها السميكة. وعندما تحدثت، خرج صوتها خجولاً لا يكاد يُسمع.

"إنها لسعادة كبيرة أن أقابلك شخصيًا يا آنسة إيفانس".

قالت دانا، وهى تجلس بجوار جوان سينسى فوق أريكة بيضاء واسعة بالقرب من الشرفة: "شكرا على مقابلتك لى".

قالت جوان: "لقد كنت على وشك تناول بعض الشاى، فهل تودين مشاركتي؟".

"شكرا لك".

التفتت جوانا إلى الخادمة وقالت بنبرة حملت الكثير من الرجاء والقليل جدا من الأمر: "جريتا، هلا أحضرت لنا بعض الشاى؟".

"حسنا يا سيدتى".

"شكرا لك يا جريتا".

كان هناك إحساس بعدم واقعية ما يحدث يراودها، مما جعل دانا تفكر: *إن شخصية جوان سينسى وهذه الشقة العلوية الفخمة لا يتناغمان على الإطلاق. كيف يمكنها أن تتحمل نفقات الإقامة فى مكان كهذا؟ أى نوع من الترضية قدمه لها تايلور وينثروب؟ وأى نوع من القضايا تلك التى أقامتها ضده؟*

استيقظت دانا من شرودها على صوت جوان التى كانت تقول بدماثة: "..... ولا يفوتنى مطلقاً مشاهدة النشرة التى تذيعينها، أعتقد أنك مذيعة رائعة".

"شكراً لك".

"أتذكر عندما كنت تنقلين أخبار الحرب من سراييفو والقنابل المدمرة تتساقط من حولك، وصوت المدافع الرشاشة يدوى فى أرجاء المكان. لقد كنت دائماً أخشى أن يصيبك مكروه هناك".

"أصارحك القول، كنت أنا الأخرى أخشى ذلك".

"لابد أنها كانت تجربة بشعة".

"نعم، كانت كذلك بشكل ما".

عادت جريتا وهى تحمل صينية وضع فوقها إبريق من الشاى وبعض الكعك، وعندما اقتربت من الأريكة، وضعت الصينية على الطاولة أمام المرأتين.

قالت جوان سينسى: "سوف أصب الشاى".

أخذت دانا تشاهدها وهى تصب الشاى فى الأقداح.

"أتريدين بعض الكعك؟".

"كلا، شكراً لك".

ناولتها جوان سينسى قدحاً من الشاى، ثم صبت لنفسها قدحاً آخر وهى تقول: "كما قلت سابقاً، أنا سعيدة جدا بمقابلتك، لكنى.... لكنى لا أستطيع أن أتخيل ما تريدين أن تتحدثى إلىّ بشأنه".

"أردت أن أتحدث إليك بخصوص تايلور وينثروب".

انتفضت جوان فجأة، وتساقطت قطرات من الشاى فى حجرها، وصار وجهها شاحباً شحوب الموتى.

قالت دانا: "هل أنت بخير؟".

جففت جوان تنورتها بمنديل وقالت: "نعم، أنا...أنا بخير. أنا.... أنا لم أكن أعرف أنك تريدين.....". ثم تلاشى صوتها ولم تكمل.

تغير جو المكان فجأة، فقالت دانا: "لقد كنت سكرتيرة تايلور وينثروب، أليس كذلك؟".

ردت جوان سينسى بحذر: "نعم، لكنى تركت السيد وينثروب منذ عام مضى، وأخشى أننى لن أستطيع مساعدتك بشىء" وكانت المرأة تكاد ترتجف وهى تنطق بتلك الكلمات.

قالت دانا ـ بنبرة مهدئة: "لقد سمعت أشياء رائعة عن تايلور وينثروب، وكنت أتساءل إن كان لديك ما تضيفينه؟".

بدت جوان أكثر ارتياحاً وهى تجيب: "أوه، بالطبع أستطيع، لقد كان السيد وينثروب رجلا عظيما".

"كم طالت مدة خدمتك لديه؟".

"تقريباً ثلاث سنوات".

ابتسمت دانا وقالت: "لابد أنها كانت تجربة رائعة".

قالت جوانا ـ وقد صارت نبرتها أكثر استرخاءً: "نعم، لقد كانت كذلك يا آنسة إيفانس".

"لكنك أقمت دعوى قضائية ضده".

عاد الخوف يطل من عينى جوان وهى تجيب: "كلا.... أقصد نعم. لكنها كانت غلطة ـ مجرد خطأ ارتكبته".

"أى نوع من الأخطاء تقصدين؟".

ازدردت جوان ريقها بصعوبة وقالت: "لقد....لقد أسأت فهم عبارة قالها السيد وينثروب لأحدهم، مما جعلنى أتصرف بتعجل وحماقة، وما زلت أشعر بالخجل من نفسى".

"لقد رفعت قضية ضده، لكنك تراجعت قبل أن يمثل تايلور وينثروب أمام القاضي؟".

"كلا. لقد قام.... أقصد لقد قمنا بتسوية القضية. لقد كانت مسألة بسيطة".

قلبت دانا نظرها فى أرجاء الشقة العلوية وقالت: "فهمت. هل يمكنك أن تخبرينى بنوع التسوية التى توصلتما إليها؟".

قالت جوان سينسى: "كلا، أخشى أننى لن أستطيع. إنها مسألة سرية للغاية".

تساءلت دانا عن السبب الذى جعل هذه المرأة الضعيفة تقيم دعوى ضد شخص مهيب مثل تايلور وينثروب، وما الذى يجعلها مذعورة إلى هذا الحد لمجرد ذكر الموضوع. ترى ما الذى تخشاه حقاً؟

خيم الصمت على المكان للحظات طوال، وظلت جوان سينسى تراقب دانا، مما جعل دانا تشعر بأن المرأة تريد أن تخبرها بشىء.

"آنسة سينسى....".

هبت جوان واقفة وقالت: "أنا آسفة لأننى لا أستطيع أن أفيدك بشىء.... إذا لم يكن هناك شىء آخر يا آنسة إيفانس....".

قالت دانا: "أنا أتفهم موقفك".

لكن لسان حالها كان يقول: *أتمنى لو كنت قد فهمت بالفعل.*

وضع الشريط داخل جهاز التسجيل وضغط على زر البدء.

- لقد...لقد أسأت فهم عبارة قالها السيد وينثروب لأحدهم، مما جعلنى أتصرف بتعجل وحماقة، وما زلت أشعر بالخجل من نفسى.

- لقد رفعت قضية ضده، لكنك تراجعت قبل أن يمثل تايلور وينثروب أمام القاضى؟

- كلا. لقد قام.... أقصد لقد قمنا بتسوية القضية. لقد كانت مسألة بسيطة.

- فهمت. هل يمكنك أن تخبرينى بنوع التسوية التى توصلتما إليها؟

- كلا، أخشى أننى لن أستطيع. إنها مسألة سرية للغاية.

- آنسة سينسى....

- أنا آسفة لأننى لن أستطيع أن أفيدك بشىء.... إذا لم يكن هناك شىء آخر يا آنسة إيفانس....

- أنا أتفهم موقفك.

انتهى الشريط.

وبدأت المطاردة...

رتبت دانا موعداً مع سمسار عقارات لكى يعرض عليها بعض الشقق المعروضة للإيجار، لكن الموعد لم يكن سوى مضيعة لساعات الصباح. فقد قامت دانا وسمسار العقارات بتغطية مدينتى جورج تاون ودوبونت سيركل، ومقاطعة آدامس مورجان. كانت الشقق إما صغيرة للغاية، أو كبيرة جدًا، أو باهظة الثمن، وعندما حل وقت الظهيرة، صارت دانا مستعدة للاستسلام.

قال سمسار العقارات بلهجة مطمئنة: "لا تقلقى، سوف نجد الشقة التى تبحثين عنها".

قالت دانا: "أتمنى أن يحدث ذلك قريبًا".

لم تستطع دانا أن تُخرج جوان سينسى من عقلها. ما الذى كانت تملكه ضد تايلور وينثروب بحيث جعله يشترى سكوتها بشقة علوية فخمة وربما ما هو أكثر من ذلك؟ ظلت دانا تفكر: *لقد أرادت أن تخبرنى بشىء ما، أنا واثقة من ذلك. يجب أن أتحدث إليها مرة أخرى.*

اتصلت دانا بهاتف شقة جوان سينسى، وكانت جريتا هى من أجاب: "مساء الخير".

"جريتا، أنا دانا إيفانس. أود أن أتحدث إلى الآنسة سينسى من فضلك".

"عذراً، لكن الآنسة سينسى ترفض تلقى أى مكالمات".

"حسناً، هلا أخبرتها بأن دانا إيفانس هى المتصلة وأننى أحتاج إلى....".

"أنا آسفة يا آنسة إيفانس، لكن الآنسة سينسى غير موجودة حاليًا" ثم انقطع الاتصال.

فى صباح اليوم التالى أوصلت دانا، كيمال إلى المدرسة، بينما كانت خيوط من أشعة الشمس الباهتة تحاول اختراق ذلك

الغلاف الثلجى الذى أحاط بالسماء. وفوق كل زاوية فى شوارع المدينة، وقف متطوعو الجمعيات الخيرية ـ يرتدون ملابس بابا نويل ويدقون الأجراس ليجمعوا التبرعات.

أخذت دانا تفكر: لابد أن أعثر على شقة مناسبة لثلاثتنا قبل ليلة رأس السنة.

عندما وصلت دانا إلى الاستوديو، أمضت فترة الصباح فى اجتماع مع طاقم نشرة الأخبار، يناقشون أى الأخبار سيعرضون والمواقع التى كان عليهم تصويرها. كانت هناك قصة عن جريمة قتل وحشية لم تحل، مما جعل دانا تعاود التفكير فى عائلة وينثروب.

واتصلت دانا بهاتف جوان سينسى مجدداً.

"مساء الخير".

"جريتا، يجب أن أتحدث إلى الآنسة سينسى بشكل ضرورى. أخبريها أن دانا إيفانس....".

"إنها ترفض التحدث إليك يا آنسة إيفانس"، ثم انقطع الخط.

تساءلت دانا: *ما الذى يحدث؟*

توجهت دانا لمقابلة مات بيكر، فقابلتها آبى لازمان محيية إياها:

"مبروك ! لقد علمت أن موعد الزفاف قد تحدد".

ابتسمت دانا وقالت: "نعم".

تنهدت آبى وقالت: "يا له من طلب زواج رومانسى".

"هذه هى طبيعة جيف".

"دانا، إن كاتبة عمود "المحرومين من الحب" تقول إنه يجب عليك ـ بعد الزفاف ـ أن تخرجى وتبتاعى بعض المعلبات من المتجر وتضعيها فى صندوق سيارتك".

"ولماذا أفعل ذلك بحق السماء.....؟".

"إنها تقول إنك قد تحتاجين فى يوم ما إلى بعض المرح بعيداً عن قيود الزواج، وربما تعودين متأخرة إلى المنزل ذات يوم. وعندما يسألك جيف أين كنت، فما عليك إلا أن تريه حقائب المعلبات وتقولين: "كنت أتسوق، وعندها....".

"شكراً لك يا عزيزتى آبى، هل مات موجود؟".

"سوف أخبره بأنك هنا".

بعد لحظات، كانت دانا داخل حجرة مكتب مات بيكر.

"اجلسى يا دانا، لدى أخبار جيدة. لقد اعتلينا قمة الترتيب فى تقييم نيلسينز للعروض الإخبارية، وهزمنا المنافسين مجدداً هزيمة نكراء ليلة الأمس".

"رائع. مات، لقد تحدثت إلى سكرتيرة سابقة لدى تايلور وينثروب، وهي....".

ابتسم مات وقال: "أنتم يا مواليد برج العذراء لا تتخلون عن حماسكم أبداً، أليس كذلك؟ لقد أخبرتنى بأنك سوف....".

"أعلم ما قلته، لكن أنصت إلىّ قليلا، عندما كانت هذه المرأة تعمل لدى تايلور وينثروب، أقامت ضده قضية. لكن الأمر لم يصل للمحكمة لأنها توصلت إلى تسوية معه، وهى تعيش الآن فى شقة علوية فاخرة ما كانت لتستطيع تحمل إيجارها من راتب سكرتيرة، مما يدل على أنها حصلت على تسوية كبيرة للغاية. وعندما ذكرت اسم تايلور وينثروب، أصيبت هذه المرأة بالرعب.... الرعب الشديد. وبدأت تتصرف كما لو أنها تخشى على حياتها".

قال مات بيكر بصبر: "هل قالت إنها تشعر بأن حياتها فى خطر؟".

"كلا".

"هل قالت إنها تخشى تايلور وينثروب؟".

"كلا، لكن....".

"إذن فحسب ما تعرفينه، ربما كانت تخشى من رفيق يؤذيها أو حتى من لصوص يختبئون تحت فراشها. أنت لا تمتلكين أى خيط للاستمرار في هذه القضية، أليس كذلك؟".

قالت دانا: "حسناً، أنا...."لكنها رأت نفاد الصبر باديا على ملامحه، فأردفت: "ليس لدىّ أى دليل مادى".

"حسناً. بخصوص تصنيف نيلسينز...".

كانت جوان سينسى تشاهد النشرة المسائية على شبكة (دبليو. تى. إن) حيث كانت دانا تقول: "....وفى أخبارنا المحلية، انخفض معدل الجرائم فى الولايات بنسبة ٢٧ ٪ خلال الشهور الاثنى عشر الماضية، وذلك حسب آخر التقارير التى وردت إلينا، وكان أكبر معدل انخفاض قد تم رصده في مدن لوس انجلوس، سان فرانسيسكو، وديترويت....".

كانت جوان سينسى تدرس ملامح وجه دانا جيداً، وتنظر داخل عينيها، محاولة أن تتوصل إلى قرار. شاهدت جوان النشرة المسائية بالكامل، وعندما انتهت النشرة، كانت جوان قد توصلت إلى قرار حاسم.

٧

عندما دخلت دانا إلى مكتبها فى صباح الاثنين، قالت أوليفيا: "جاءك ثلاث مكالمات من امرأة رفضت أن تخبرنى باسمها".

"هل تركت رقم هاتفها؟".

"كلا، لقد قالت إنها ستتصل بك مجدداً".

بعد نصف ساعة تقريباً، قالت أوليفيا: "إن المرأة المجهولة على الخط. أتريدين التحدث إليها؟".

قالت دانا: "حسنا، صلينى بها". والتقطت سماعة الهاتف وقالت: "مرحباً، أنا دانا إيفانس، من الـ...".

"أنا جوان سينسي".

تسارعت ضربات قلب دانا، لكنها ردت قائلة: "مرحبا آنسة سينسى".

بدت جوان سينسى عصبية وهى تقول: "هل ما زلت ترغبين فى التحدث إلىّ؟".

"نعم، بالتأكيد".

"حسناً، اتفقنا".

"يمكننى الحضور إلى شقتك خلال....".

تجلى الذعر واضحاً فى نبرة صوتها وهى ترد : "كلا! يجب أن نتقابل فى مكان آخر. أظن أننى.... أننى مراقبة".

"كما تشائين. أين تريدين أن نتقابل إذن ؟".

"فى قسم الطيور بحديقة الحيوان التى تقع بالمتنزه، هل يمكنك الحضور إلى هناك خلال ساعة ؟".

"سوف أكون هناك".

كان المتنزه يكاد يخلو من الزائرين، حيث تسببت رياح ديسمبر المتجمدة، التى اجتاحت المدينة، فى إبقاء حشود الزائرين المعتادين بعيدا عن المتنزه. وقفت دانا أمام أقفاص الطيور، ترتجف من البرد القارس وهى تنتظر وصول جوان سينسى، وكانت دانا قد وصلت إلى المكان منذ ساعة تقريبا، فأخذت تقول لنفسها : *سوف أنتظرها لمدة ربع ساعة أخرى.*

وبعد ربع ساعة، عادت دانا تقول : *سوف أنتظر نصف ساعة أخرى، وبعدها سأذهب.* وبعد نصف ساعة تالية، قالت : *اللعنة! لقد غيرت رأيها.*

عادت دانا إلى مكتبها، مرتجفة ومبتلة، وسألت أوليفيا بنبرة مفعمة بالأمل : "هل جاءتنى أى مكالمات؟".

"ست مكالمات، وتفاصيلها مكتوبة فى ورقة على مكتبك".

نظرت دانا إلى قائمة المكالمات، فلم تر رقم جوان سينسى بين الأرقام المتصلة وقد اتصلت دانا بهاتف جوان سينسي، وظلت تنصت للجرس وهو يرن لعشر مرات قبل أن تضع السماعة. *لعلها سوف تغير رأيها مجدداً.* حاولت دانا الاتصال بجوان مرتين أخريين، لكن لم يجب أحد على الهاتف. بدأت دانا تفكر فى الذهاب إلى شقة جوان مجددا، لكن الفكرة لم ترق لها فى النهاية، وأخيراً قررت : *سوف أنتظر حتى تأتى إلىّ بنفسها.*

ولم يرد أى اتصال من جوان سينسى بعد ذلك.

فى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى، كانت دانا تشاهد النشرة الصباحية وهى ترتدى ملابسها. ".... ومن الواضح أن الوضع فى الشيشان يزداد سوءًا، حيث تم العثور على جثث اثنى عشر جنديا روسيًا آخرين. وعلى الرغم من التأكيدات التى قدمتها الحكومة الروسية بأن الثوار الشيشان قد تعرضوا لهزائم شديدة، فإن القتال لا يزال مستمرا، وبقوة... وفى الأخبار المحلية، لقيت امرأة حتفها بعد أن سقطت من شقتها التى تقع بالطابق العلوى لمبنى يتكون من ثلاثة عشر طابقا، والجدير بالذكر أن الضحية، وتدعى جوان سينسي، كانت سكرتيرة سابقة لدى السفير تايلور وينثروب، هذا، ولا يزال رجال الشرطة يحققون فى ملابسات الحادث".

وقفت دانا مكانها، وقد أصابتها الصدمة بالشلل.

"مات، أتذكر المرأة التى أخبرتك بأننى قد ذهبت لرؤيتها.... جوان سينسي، السكرتيرة السابقة لدى تايلور وينثروب؟".

"نعم. ماذا عنها؟".

"لقد كان هناك خبر بشأنها فى نشرة الأخبار الصباحية. لقد لقيت حتفها".

"ماذا؟".

"اتصلت بى صباح أمس، وحددت موعداً لمقابلتى، وقالت إن لديها شيئاً مهما تريد أن تخبرنى به. ولقد انتظرتها فى حديقة الحيوان لأكثر من ساعة، لكنها لم تحضر".

كان مات يحدق النظر إلى دانا وهى تتحدث.

"عندما تحدثت إليها هاتفيا، قالت إنها تظن أنها تتعرض للمراقبة".

جلس مات بيكر فى مقعده، وظل يحك ذقنه بيده، ثم قال: "يا إلهى! ما الذى يكمن وراء هذه القضية اللعينة؟".

"لا أدرى. أريد أن أتحدث إلى خادمة جوان سينسي".

"دانا...".

"نعم ؟"

"كونى على حذر. واحترسى لنفسك بشدة".

عندما دلفت دانا إلى بهو المبنى السكنى، كان هناك حارس مختلف عن المرة السابقة.

"هل يمكننى مساعدتك؟".

"أنا دانا إيفانس المذيعة، ولقد جئت بخصوص حادث مصرع الآنسة سينسي. لقد كانت مأساة مروعة".

ظهر الحزن على وجه الحارس وقال : "نعم، إنها كذلك، لقد كانت سيدة رائعة، وكانت تتسم بهدوء شديد، ولا تهتم سوى بشئونها الخاصة".

سألت دانا بحذر : "أكان يأتيها الكثير من الزوار؟".

"كلا، على الإطلاق. لقد كانت منعزلة للغاية".

"هل كنت تعمل بالأمس عندما..." ـــ ونطقت دانا بقية العبارة بسرعة ـــ"*عندما وقعت الحادثة؟*".

"كلا يا سيدتى".

"إذن فأنت لا تدرى ما إذا كان معها أحد حينها أم لا؟".

"كلا يا سيدتي".

"لكن كان هناك حارس آخر، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم. دينس. لقد استجوبه رجال الشرطة، وقال لهم إنه كان يحضر بعض الطلبات من الخارج عندما سقطت الآنسة سينسى المسكينة".

"أود أن أتحدث إلى جريتا ـ خادمة الآنسة سينسى".

"أخشى أن ذلك أمر مستحيل".

"مستحيل؟ لماذا؟".

"لأنها قد غادرت المكان".

"إلى أين ذهبت؟".

"قالت إنها ستعود إلى موطنها، لقد كانت منزعجة للغاية".

"وأين يكون موطنها هذا؟".

هز الحارس رأسه نفيًا وقال: "ليس لدىَ أدنى فكرة".

"هل يوجد أحد بالشقة الآن؟".

"كلا يا سيدتى".

فكرت دانا بسرعة وقالت : "إن رئيسى فى العمل يريدنى أن أقوم بتحقيق تليفزيونى عن مصرع الآنسة سينسى لشبكة (دبليو. تى. إن)، وكنت أتساءل إن كان من الممكن أن أرى الشقة مجددا؟ لقد كنت هنا منذ عدة أيام مضت".

فكر الحارس للحظة ثم هز كتفيه فى عدم اكتراث وقال : "لست أرى مانعا من ذلك، لكن يجب أن أصعد معك إلى أعلى".

قالت دانا : "لا مانع لدىّ".

واستقلا المصعد إلى الشقق العلوية فى صمت، وعندما وصلا إلى الطابق الثالث عشر، أخرج الحارس مفتاحا عموميا وفتح الباب المؤدى إلى الشقة رقم ١.

دلفت دانا إلى الداخل. كانت الشقة على نفس الحالة التى رأتها عليها، فيما عدا أن جوان سينسى لم تكن هناك.

"هل أردت أن ترى شيئا محددا يا آنسة إيفانس؟".

قالت دانا ـ كذبا: "كلا. لقد أردت فقط أن أنعش ذاكرتى".

سارت دانا على طول البهو المؤدى إلى حجرة المعيشة، ثم توجهت إلى الشرفة.

قال الحارس: "هذا هو الموضع الذى سقطت منه السيدة المسكينة".

دخلت دانا الشرفة الخارجية الواسعة وأخذت تسير على طول حافتها، كان هناك سور يبلغ ارتفاعه أربعة أقدام يحيط

بالشرفة تماما، ولم تر دانا أى طريقة محتملة لسقوط شخص ما مصادفة من فوق هذا السور.

نظرت دانا إلى الشارع بالأسفل وهو يموج بالسيارات التى تزاحمت فى وقت أعياد الميلاد، وفكرت : *من نزعت من قلبه الرحمة لكى يفعل شيئا كهذا؟* ثم ارتعدت وهى تتخيل كيف بدا المشهد بعينى جوان سينسى.

قال الحارس ـ وقد وقف بجانبها : "هل أنت بخير؟".

أخذت دانا نفساً عميقاً وأجابت : "نعم، بخير. شكراً لسؤالك".

"هل أردت رؤية شيء آخر؟".

"كلا، لقد رأيت ما يكفى".

كانت صالة الانتظار بقسم شرطة وسط المدينة تعج بالمجرمين، والسكارى، والعاهرات، والسائحين اليائسين الذين اختفت محافظهم بشكل غامض.

قالت دانا مخاطبة ضابط الاستقبال : "لقد حضرت لمقابلة التحرى ماركوس آبرامز".

"ثالث مكتب إلى اليمين".

قالت دانا : "شكراً لك"، ثم سارت على طول الرواق.

كان باب حجرة التحرى آبرامز مفتوحا.

"أيها التحرى آبرامز....".

كان ماركوس آبرامز يقف بجوار خزانة الملفات، وكان رجلاً ضخما ذا كرش وعينين مرهقتين، نظر الرجل إلى دانا وقال: "نعم؟"، ثم أردف ـ بعد أن تعرف عليها : "ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك؟".

"لقد علمت أنك المسئول عن التحقيق فى *حادث* جوان سينسي" ـ وللمرة الثانية تضع دانا تشديدا على كلمة "حادث".

"هذا صحيح".

"هل يمكنك أن تخبرنى بأية معلومات عن الحادث؟".

سار الرجل إلى مكتبه وهو يحمل كومة من الأوراق وجلس على مقعده قائلا : "ليس هناك الكثير ليقال، إن الأمر لن يخرج عن كونه حادثاً أو انتحاراً، تفضلى بالجلوس".

جلست دانا فوق أحد المقاعد وهى تقول : "أكان معها أحد عندما وقع الأمر ؟".

"الخادمة فقط. ولقد كانت بالمطبخ عندما وقع الحادث، لكنها قالت إنه لم يكن هناك أحد بالمنزل غيرهما".

تساءلت دانا : "هل لديك أى فكرة أين أستطيع أن أجد تلك الخادمة؟".

فكر التحرى فى الأمر للحظة، ثم قال : "سوف تسجلين معها لقاءً لإذاعته بنشرة المساء، أليس كذلك؟".

ابتسمت دانا فى وجهه وقالت : "هذا صحيح".

عاد التحرى آبرامز إلى خزانة الملفات وأخذ يقلب فى بعض الأوراق، ثم أخرج بطاقة وقال : "إليك العنوان. جريتا ميلر ؛ ١١٨٠ شارع كونيكتيكت آفينو. أيكفى هذا؟".

بعد عشرين دقيقة، كانت دانا تقود سيارتها على طول شارع كونيكتيكت آفينو، متطلعة إلى أرقام المنازل : ١١٧٠.... ١١٧٢.... ١١٧٤.... ١١٧٦.... ١١٧٨....

لكن رقم ١١٨٠ كان عبارة عن ساحة انتظار سيارات.

قال جيف متسائلاً: "أتعتقدين حقاً أن تلك المرأة المدعوة جوان سينسى قد أُلقيت من شرفتها ؟".

"جيف، إن المرء لا يتصل بأحد ويحدد معه موعداً لمقابلة مهمة، ثم يقدم على الانتحار. أراد بعضهم أن يمنعها من إخبارى بشيء ما. يا له من أمر محبط. إنه أشبه بقصة كلب الصيد الذى سقط فى البئر، ولم يسمعه أحد وهو ينبح، ولا رآه أحد وهو يسقط".

قال جيف : "لقد صار الأمر مخيفاً. أنا لست متأكداً من ضرورة متابعتك لهذه القضية".

"لا أستطيع أن أتوقف الآن. يجب أن أعرف الحقيقة".

"إذا كنت محقة يا دانا، فهذا يعنى أن ستة أشخاص قد تم قتلهم".

ابتلعت دانا ريقها وقالت : "أعرف ذلك".

كانت دانا تقول لمات بيكر: "... ولقد أعطت الخادمة عنواناً مزيفاً لرجال الشرطة ثم اختفت تماما. عندما كنت أتحدث إلى جوان سينسى، بدت عليها العصبية، لكنها لم تبد ممن قد يقدمون على الانتحار. لقد دفعها أحدهم من فوق سور الشرفة".

"لكننا لا نمتلك أى دليل".

"أعرف ذلك، لكنى أعلم أننى على حق. عندما قابلتها، كانت جوان سينسى تتصرف بشكل طبيعى حتى اللحظة التى ذكرت فيها اسم تايلور وينثروب، وعندها ظهر عليها الذعر. وكانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها صدعاً فى الأسطورة الرائعة التى بناها تايلور وينثروب. لم يكن رجل مثل تايلور وينثروب ليرشو سكرتيرته بهذا الشكل ما لم تكن تملك شيئا خطيرا ضده. لابد أنها كانت مسألة ابتزاز، لكن هناك شيئاً غريبا يتعلق بهذه القضية. مات، هل تعرف شخصاً كان يعمل مع تايلور وينثروب وحدثت بينهما مشاكل ـ شخصاً لا يخشى أن يتحدث؟".

ظل مات بيكر يفكر للحظات، ثم قال : "ربما يجب أن تتحدثى إلى روجر هودسون، لقد كان زعيم الأغلبية بمجلس الشيوخ قبل أن يتقاعد، وشارك تايلور وينثروب العمل في لجنة أو اثنتين من لجان مجلس الشيوخ. لعله يعرف شيئاً، وهو بالتأكيد رجل لا يخشى أحداً".

"هل يمكنك أن تحدد لى موعداً لمقابلته؟".

"سأرى ما يمكننى عمله".

فى ساعة لاحقة، اتصل مات بيكر بهاتف دانا : "لديك موعد لمقابلة روجر هودسون ظهر الخميس القادم بمنزله فى مدينة جورج تاون".

"شكراً لك يا مات. إننى أقدر صنيعك".

"يجب أن أحذرك يا دانا....".

"تحذرنى من ماذا ؟".

"إن هودسون رجل صعب المراس".

"سأحاول ألا أقترب أكثر من اللازم".

• • •

كان مات بيكر على وشك أن يغادر مكتبه، عندما دخل إيليوت كروموبل.

قال إيليوت : "أريد أن أتحدث إليك بشأن دانا".

"أهناك مشكلة؟".

"كلا، ولا أريد أن تكون هناك مشاكل. إن الأمر يتعلق بالتحريات التى تقوم بها عن تايلور وينثروب...".

"حسناً".

"إنها تحدث جلبة بلا داع، وأظن أنها تضيع وقتها. لقد كنت أعرف تايلور وينثروب وعائلته. لقد كانوا جميعاً أشخاصاً رائعين".

قال مات بيكر : "جيد. إذن لن يكون هناك ضرر فى استمرار دانا بتحرى القضية".

نظر إيليوت كروموبل إلى مات بيكر للحظة، ثم أومأ برأسه وقال: "أبلغنى بكل جديد".

"هل هذا خط آمن؟".

"نعم يا سيدى".

"حسن. نحن نعتمد بشدة على المعلومات الواردة من شبكة (دبليو. تي. إن). هل أنت متأكد من أنها معلومات موثوق منها؟".

"دون شك، إنها معلومات قادمة من برج كبار التنفيذيين رأساً".

٨

فى صباح الأربعاء، وبينما كانت دانا تعد وجبة الإفطار، سمعت أصواتا مرتفعة بالخارج، نظرت دانا إلى خارج النافذة، فرأت لدهشتها شاحنة نقل تقف أمام المبنى، وقد انهمك بعض الرجال فى نقل بعض الأثاث إليها.

تساءلت دانا : *من يا ترى سينتقل من المبنى؟* فلقد كانت جميع شقق المبنى مستأجرة وكان جميع السكان لديهم عقود إيجار طويلة الأجل.

كانت دانا تضع الإفطار على الطاولة عندما سمعت صوت طرقات على باب شقتها. ولما فتحت الباب، وجدت دوروثى وارتون.

قالت دوروثى بحماس : "دانا، لدى بعض الأخبار لك. سوف ننتقل ـ أنا وهوارد ـ إلى روما اليوم".

حدقت دانا النظر إليها فى اندهاش. *"روما؟ اليوم؟"*

قالت دوروثى : "أليست أخبارًا لا تصدق؟ لقد حضر رجل لمقابلة هوارد فى الأسبوع الماضى فى سرية تامة، ولقد طلب منى هواردُ ألا أخبر أحدا بالأمر. حسنا، اتصل ذلك الرجل ليلة

الأمس وعرض على هوارد وظيفة فى إحدى الشركات بايطاليا وبراتب يعادل ثلاثة أضعاف راتبه الحالى". وبدت دوروثى متهللة وهى تقص الأمر على دانا.

قالت دانا : "حسنا، إنه .... إنه أمر رائع. سوف نفتقدكم بشدة".

"وسوف نفتقدكم نحن أيضاً".

وصل هوارد إلى الباب وقال : "أظن أن دوروثى قد أخبرتك بمسألة انتقالنا إلى روما؟".

"نعم. أنا سعيدة من أجلكما. لكنى كنت أعتقد أنكما مستقران هنا للأبد، وفجأة .....".

ظل هوارد يتحدث وكأنه لم يسمع ما قالته : "لا أستطيع أن أصدق ما حدث. لقد كانت مفاجأة لم أتوقعها قط. وسوف أعمل فى شركة عظيمة أيضاً - إيتاليانو ريبرستينو. إنها أحد أكبر التكتلات الاقتصادية فى إيطاليا، ولديهم نشاط فرعى متعلق بترميم الآثار. أنا لا أدرى كيف سمعوا عنى، لكنهم أرسلوا مندوبا بالطائرة لكى يتفاوض معى على العمل لأجلهم. هناك الكثير من الآثار التى تحتاج إلى ترميم فى روما، إنهم دفعوا حتى باقى إيجار السنة لهذه الشقة، وكذلك استرددنا المقدم الذى دفعناه فى الشقة. وشرطهم الوحيد هو أن نتواجد فى روما غدا، وهذا يعنى أن علينا أن نخلى الشقة منذ اليوم".

قالت دانا بتردد : "ألا ترون ذلك أمرًا غريبًا؟".

"أظن أنهم فى عجلة من أمرهم".

"هل تحتاجان إلى مساعدة فى حزم حقائبكما؟".

هزت دوروثى رأسها نفياً وقالت : "كلا. لقد سهرنا طول الليل فى إعدادها. سوف نتبرع بمعظم أغراضنا للجمعيات الخيرية ، حيث إننا سنتمكن - من خلال راتب هوارد الجديد - من شراء أشياء أفضل بكثير".

ضحكت دانا وقالت: "ابقى على اتصال بى يا دوروثى".

وبعد ساعة، غادرت عائلة وارتون شقتهما وانطلقا فى طريقهما إلى روما.

عندما وصلت دانا إلى مكتبها، قالت لأوليفيا : "هلا تحريت لى عن إحدى الشركات؟".

"بالتأكيد".

"اسمها شركة إيتاليانو ريبرستينو، وأعتقد أن مقرها الرئيسى فى روما".

"حسنا".

بعد نصف ساعة، سلمت أوليفيا ورقة إلى دانا وهى تقول : "إليك المعلومات المطلوبة. إنها واحدة من كبرى الشركات فى أوروبا".

شعرت دانا بإحساس من الارتياح العميق، فقالت : "حسنا. أنا سعيدة لمعرفة ذلك".

قالت أوليفيا : "بالمناسبة، إنها ليست شركة خاصة".

"ماذا؟".

"كلا. إنها مملوكة للحكومة الإيطالية".

عندما أحضرت دانا، كيمال من المدرسة فى ظهيرة ذلك اليوم، كان هناك رجل فى منتصف العمر، يرتدى نظارة طبية، ينقل متعلقاته إلى شقة عائلة وارتون.

• • •

بدأ يوم الخميس - يوم مقابلة دانا مع روجر هودسون - أسوأ بداية ممكنة.

فى الاجتماع التليفزيونى الأول، قال روبرت فينويك : "يبدو أننا سنعانى من مشاكل فى إعداد نشرة الأخبار المسائية".

قالت دانا : "أخبرنى بالأمر".

"أتـذكرين طـاقم التـصوير الـذى أرسـلناه إلى أيرلنـدا ؟ كنـا سنستخدم الفـيلم الـذى صوروه هنـاك فـى نـشرة المساء، ألـيس كذلك؟".

"وماذا فى ذلك ؟".

"لقد تم القبض عليهم، وصادرت السلطات كل معداتهم".

"هل أنت جاد فيما تقول؟".

"أنا لا أمزح بخصوص الأيرلنديين مطلقاً". وناول روبرت دانا قصاصة ورقيـة وهـو يقـول : "هـذه هـى القصة الرئيـسية التـى سنذيعها عن مدير بنك واشنطن المتهم بالاحتيال".

قالت دانا : "إنها قصة جيدة، وهى تغطية حصرية لنا".

"لقد أصدرت الإدارة القانونيـة بالمحطـة توصية بعـدم بـث القصة".

"ماذا؟".

"قالوا إن المتهم قد يرفع علينا قضية تشهير".

قالت دانا بمرارة : "يا له من أمر رائع".

"أنا لم أنته بعد. أتذكرين الشاهد فى قضية القتل والذى كـان من المفروض أن نجرى معه حواراً على الهواء هذه الليلة...؟".

"ماذا بشأنه هو الآخر؟".

"لقد غير رأيه ولن يحضر".

تأففت دانا بامتعاض. كل هـذه المشاكل والـساعة لم تتجـاوز العاشرة صباحا، لم يعد لدانا شىء تتطلع إليه فى هذا اليوم سوى مقابلتها مع روجر هودسون.

• • •

عندما عادت دانا إلى حجرة مكتبهـا بعـد انتهـاء الاجتمـاع، قالت أوليفيا : "إنها الحادية عشرة يا آنـسة إيفـانس. وفـى ظـل هذا الطقس الـسيئ، أظـن أن عليـك أن تتحركـى الآن ـ إذا أردت الوصول إلى منزل السيد هودسون فى الموعد المحدد".

"شكراً يـا أوليفيـا. سوف أعـود خـلال ساعتين أو ثـلاث".

نظرت دانا خارج النافذة، حيث كان الثلج قد بدأ ينهمر مجددا. ارتدت دانا معطفها ووضعت وشاحا حـول عنقهـا، ثـم تحركـت نحو الباب، لكن قبل أن تصل إليه، دق جرس الهاتف.

نادت أوليفيا : "آنسة إيفانس...".

التفتت دانا عائدة.

"هناك مكالمة لك على الخط رقم ٣".

قالت دانا : "ليس الآن. يجب أن أغادر على الفور".

"إنه شخص من مدرسة كيمال".

قالت دانا : "ماذا ؟"ثم هرعت نحو مكتبها وجـذبت سماعـة الهاتف قائلة : "مرحباً؟".

"آنسة إيفانس؟".

"نعم".

"أنا توماس هنرى".

"نعم يا سيدى هنرى، هل كيمال على ما يرام؟".

"أنا لا أدرى حقا كيف أجيب عـن هـذا الـسؤال. أنـا آسـف، لكننى مضطر لإخبارك بأن كيمال قد تم فصله من المدرسة".

تسمرت دانا فى موضعها من وقع الصدمة، وقالت باندهاش: "فُصل ؟ لماذا ؟ ما الذى فعله؟".

"ربما يجـب أن نـناقش الأمـر بـشكل شخـصى. سوف أقـدر حضورك لاصطحابه".

"سيد هنرى .....".

"سوف أشـرح لـك الأمـر عنـدما تحـضرين إلى هنـا يـا آنـسة إيفانس. شكراً لك".

وضعت دانا سماعة الهاتف وهى لا تزال مـصدومة. *تـرى، ما الذى يمكن أن يكون قد حدث؟*

تساءلت أوليفيا : "هل الأمور على ما يرام؟".

قالت دانا وهى تتأفف : "رائع. يا له من ختام لهذا الصباح اللعين !".

"هل يمكننى فعل أى شىء؟".

"صلى من أجلى".

فى وقت سابق من صباح اليوم، عندما أوصلت دانا كيمال إلى المدرسة وودعته ملوحة بيدها ثم انتقلت مبتعدة بالسيارة، كان ريكى آندروود يشاهد ما يحدث.

وبينما كان كيمال يمر بالقرب منه، قال ريكى : "عجباً، إنه بطل الحرب. لابد أن والدتك تشعر بالإحباط الشديد لأن ولدها المتبنى ليس له إلا ذراع واحدة ولا يستطيع أن ينزع عنها ملابسها عندما تعود من العمل مرهقة ....".

كانت حركة كيمال أسرع من أن تلتقطها العين، فقد ارتطمت قدمه بمعدة ريكى بقوة شديدة، وعندما صرخ ريكى وانحنى إلى الأمام، انطلقت ركبة كيمال اليسرى بسرعة الصاروخ إلى أنفه فحولته إلى كتلة من العظام المكسورة والدماء المتطايرة.

انحنى كيمال فوق الجسد المتكور على الأرض وقال : "فى المرة القادمة، سوف أقتلك".

قادت دانا سيارتها بأقصى سرعة ممكنة إلى مدرسة تيودور روزفلت الإعدادية، وهى تتساءل عما يمكن أن يكون قد حدث، وتطمئن نفسها قائلة : *مهما كان ما حدث، لابد أن أقنع السيد هنرى بإبقاء كيمال بالمدرسة.*

كان توماس هنرى ينتظر دانا فى حجرة مكتبه، وكان كيمال يجلس على مقعد مواجه له. وعندما دلفت دانا إلى الغرفة، راودها إحساس بأن المقابلة ستكون نسخة مكررة من سابقتها.

"آنسة إيفانس".

قالت دانا: "ماذا حدث؟".

"لقد كسر ابنك أنف وعظام وجنة أحد الأولاد، مما استدعى نقله بعربة الإسعاف إلى مستشفى الطوارئ".

نظرت إليه دانا فى دهشة وكأنها لا تصدق، وقالت : "كيف ـ كيف يمكن أن يحدث شىء كهذا ؟ إن كيمال لا يمتلك سوى ذراع واحدة".

قال توماس هنرى باقتضاب : "نعم، لكنه يمتلك ساقين، ولقد كسر أنف ذلك الصبى بركبته".

كان كيمال يتطلع إلى السقف متأملاً.

فاستدارت دانا إليه وقالت : "كيمال، كيف تجرؤ على فعل شىء كهذا ؟".

نظر كيمال إلى أسفل وقال : "لقد كان أمراً هيناً".

قال توماس هنرى : "أترين ما أعنيه يا آنسة إيفانس. إن سلوكه بالكامل هو .... أنا ....أنا لا أستطيع أن أجد له وصفا. أخشى أننى لم أعد أستطيع تحمل سلوك كيمال، وأقترح عليك أن تجدى له مدرسة تكون أكثر ملاءمة له".

قالت دانا بجدية: "سيد هنرى، إن كيمال لا يفتعل الشجار مع أحد. وأنا واثقة من أنه إذا خاض شجاراً مع أحد، فلابد أن لديه سبباً قوياً لذلك. أنت لا تستطيع ....".

قال السيد هنرى بحزم : "لقد توصلنا إلى قرار نهائى يا آنسة إيفانس". أدركت دانا أن نبرة صوته تحمل قدرا كبيرا من التصميم وأن قراره لا رجعة فيه.

أخذت دانا نفساً عميقاً وقالت : "حسنًا، سوف نبحث عن مدرسة أكثر تفهما. هيا يا كيمال".

وقف كيمال، وحدق النظر إلى السيد هنرى فى غضب، ثم تبع دانا إلى خارج المكتب. وسارا تجاه حاجز الطريق فى صمت. نظرت دانا إلى ساعتها، وأدركت أنها قد تأخرت على موعد مقابلتها، وأنه لا يوجد مكان يمكن أن تترك فيه كيمال، فقالت لنفسها : *سوف اضطر لاصطحابه معى.*

عندما وصلا إلى السيارة، قالت دانا : "حسناً يا كيمال. ماذا حدث؟".

ما كان كيمال أبداً ليخبرها بما قاله ريكى آندروود، فاكتفى بأن رد قائلا : "أنا آسف يا دانا. لقد كانت غلطتى أنا".

ففكرت دانا : *يا له من أمر رائع.*

كانت ضيعة هودسون تقع على مساحة خمسة أفدنة فى منطقة منعزلة بمدينة جورج تاون. وكان المنزل ـ الذى لا يمكن رؤيته من الشارع ـ عبارة عن قصر فيكتورى الطراز، يقع على تبة عالية، ويرتفع لثلاثة طوابق. كانت واجهة القصر مطلية باللون الأبيض، وله ممر سير طويل ينتهى عند المدخل الأمامى.

أوقفت دانا سيارتها أمام مدخل البيت، ونظرت إلى كيمال قائلة: "سوف تأتى معى".

"لماذا ؟"

"لأن الجو بارد بالخارج. هيا".

توجهت دانا إلى الباب الأمامى، وتبعها كيمال على مضض.

التفتت دانا إليه وقالت : "كيمال، لقد أتيت إلى هنا لإجراء مقابلة مهمة للغاية، وأريد منك أن تكون هادئا ومهذبا. اتفقنا؟".

"اتفقنا".

دقت دانا جرس الباب، فانفتح الباب كاشفاً عن شخص عملاق، لطيف الملامح، يرتدى زى رئيس الخدم. قال الرجل على الفور : "الآنسة إيفانس؟".

"نعم".

"أنا سيزار. السيد هودسون بانتظارك". نظر الرجل إلى كيمال، ثم عاد ينظر إلى دانا مجددا وهو يقول : "هل تسمحان لى بأخذ معطفيكما ؟"وبعد لحظة، كان سيزار يعلق المعطفين فى

خزانة ملابس الضيوف بالصالة الأمامية. ظل كيمال يحدق النظر إلى سيزار، والذى بدا كيمال أشبه بالقزم إلى جواره.

قال كيمال : "كم يبلغ طولك؟".

قالت دانا : "كيمال، لا تكن وقحا".

"أوه، لا عليك يا آنسة إيفانس. أنا معتاد على هذا السؤال".

تساءل كيمال : "هل أنت أطول من لاعب السلة مايكل جوردون؟".

ابتسم كبير الخدم وقال : "أخشى أننى كذلك، فأنا أبلغ مترين وستة عشر سنتيمتراً. تفضلا من هنا إذا سمحتما".

كان مدخل المنزل شاسعاً، وكان يقود إلى ردهة طويلة مفروشة بالخشب الصلب، وتمتلئ بالطاولات الرخامية، وكانت الرفوف الحائطية تزدان بالتحف الصينية والتماثيل الأثرية المصنوعة من الزجاج الفاخر.

تبعت دانا وكيمال رئيس الخدم عبر الرواق الطويل ثم هبطا درجة واحدة إلى غرفة معيشة طليت حوائطها باللون الأصفر الباهت وزينت بالمشغولات الخشبية البيضاء. كانت الغرفة مفروشة بالأرائك المريحة، والطاولات ذات الطراز الملكى، والمقاعد الإنجليزية ذات المسندين، وقد كسيت بالحرير الأصفر الباهت.

كان السيناتور روجر هودسون وزوجته، باميلا، يجلسان خلف طاولة مخصصة للعب النرد، لكنهما وقفا عندما أعلن سيزار عن وصول دانا وكيمال.

كان روجر هودسون رجلاً حاد الملامح، فى أواخر الخمسينات، له عينان رماديتان باردتان، وابتسامة متحفظة، وكانت ملامحه تبث إحساساً غريباً من التحفظ والحذر.

أما باميلا هودسون فكانت امرأة جميلة الملامح وأصغر سناً قليلاً من زوجها. وقد بدت دافئة المشاعر، صريحة ومتواضعة، أما أكثر ما يميزها فكان شعرها الأشقر الضارب إلى البياض،

والذى تسللت إليه شعيرات رمادية لم تتعب باميلا نفسها فى محاولة إخفائها.

قالت دانا ـ معتذرة : "آسفة جداً لتأخرى. أنا دانا إيفانس، وهذا ابنى كيمال".

"أنا روجر هودسون وهذه زوجتى باميلا".

كانت دانا قد تصفحت الإنترنت بحثا عن معلومات عن روجر هودسون، وعلمت أن أباه كان يمتلك شركة صلب صغيرة تسمى هودسون إندستريز، وأن روجر هودسون قد أعاد بناء الشركة وحولها إلى تكتل اقتصادى عالمى. كذلك علمت دانا أن روجر هودسون مليارديرفاحش الثراء، وأنه ظل زعيم الأغلبية بمجلس الشيوخ طوال فترة انتخابه، بل وترأس ـ فى وقت من الأوقات ـ لجنة الإشراف على القوات المسلحة. وقد تقاعد عن ممارسة نشاطاته التجارية وصار مستشاراً سياسياً للبيت الأبيض. منذ خمسة وعشرين عاما، تزوج روجر هودسون من جميلة المجتمعات الراقية، باميلا دونالّى، وقد صار كلاهما شخصية بارزة فى مجتمع مدينة واشنطن، وذا تأثير سياسى لا يستهان به.

قالت دانا : "كيمال، هذا هو السيد هودسون والسيدة حرمه". ثم نظرت إلى روجر وقالت : "أعتذر عن اصطحابى له، لكن ....".

قالت باميلا هودسون : "لا عليك يا عزيزتى. نحن نعرف كل شىء عن كيمال".

نظرت إليها دانا باندهاش وقالت: "أحقاً؟".

"نعم. لقد كتبت الصحافة قصصا كثيرة عنك يا آنسة إيفانس. لقد أنقذت كيمال من سراييفو، وكان ذلك تصرفاً نبيلاً من جانبك".

أما روجر هودسون، فوقف مكانه فى صمت ولم ينطق بشىء.

قالت باميلا هودسون : "ماذا أحضر لكما من شراب؟".

ردت دانا : "لا شىء بالنسبة لى، شكرا لك".

ثم نظرت المرأتان إلى كيمال، فهز كيمال رأسه رفضاً.

"تفضلا بالجلوس". جلس روجر هودسون وزوجته فوق الأريكة، أما دانا وكيمال، فجلسا فى أقرب مقعدين إليهما.

قال روجر هودسون بجفاء : "أنت لست متأكدا من سبب زيارتك يا آنسة إيفانس، لقد طلب منى مات بيكر أن أقابلك. والآن، ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟".

"لقد أردت التحدث إليك بشأن تايلور وينثروب".

تجهم روجر هودسون وأجاب : "وماذا عنه؟".

"بلغنى أنك كنت تعرفه، أهذا صحيح؟".

"نعم. لقد قابلت تايلور وينثروب عندما كان سفيرنا فى روسيا. وفى ذلك الوقت، كنت أترأس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، وذهبت إلى روسيا من أجل تقييم قدراتهم العسكرية. وقد قضى تايلور وينثروب يومين أو ثلاثة فى رفقة لجنتنا".

"وماذا كان رأيك فيه يا سيد هودسون؟".

فكر روجر للحظة ثم قال : "لكى أكون صريحاً معك يا آنسة إيفانس، أجدنى مضطراً لأن أقول إننى لم أكن منبهراً بشدة بكل هذه الجاذبية التى كانت تحيط بالرجل. لكن من الأمانة، علىّ أن أعترف بأننى كنت أعتقد أنه كفء للغاية".

شعر كيمال بالملل، فنظر حوله، ثم وقف، وبدأ يتجول فى الحجرة المجاورة.

قالت دانا : "هل تعلم ما إذا كان السفير تايلور وينثروب قد تورط فى بعض المتاعب عندما كان فى روسيا؟".

تطلع إليها روجر هودسون فى حيرة وقال : "لست واثقاً من أننى أفهم ما تعنين. عن أى نوع من المتاعب تتحدثين؟".

"متاعب... متاعب من النوع الذى قد يصنع له أعداء. أعنى أعداء حقيقيين وخطيرين".

هز روجر هودسون رأسه ببطء نافياً، وقال : "آنسة إيفانس، لو أن شيئا كهذا قد حدث، لم أكن أنا فقط من سيسمع به، بل العالم بأكمله كان سيعرف. لقد كان تايلور وينثروب يعيش حياة عامة جدا. هل لى أن أسأل إلى أين تتجهين بأسئلتك هذه؟".

قالت دانا بارتباك : "لقد اعتقدت أن تايلور وينثروب ربما يكون قد أضر بأحدهم ضرراً بالغاً بحيث صار لدى ذلك الشخص دافعا لكى يقتل تايلور وينثروب وعائلته".

كان روجر هودسون وزوجته يحدقان إلى دانا.

أكملت دانا بسرعة : "أعلم أن الأمر يبدو بعيدا عن التصور، لكن ذلك قد ينطبق على حالات الموت العنيف التى تعرض لها كل أفراد العائلة فى أقل من سنة".

قال روجر هودسون بخشونة : "آنسة إيفانس، لقد عشت بما يكفى لكى أعلم أن كل شىء ممكن، لكن هذا ..... علام تبنين تصورك هذا؟".

"إذا كنت تقصد دليلا ماديا، فليس لدى أى شىء".

قال روجر : "لا يدهشنى ذلك !"وتردد الرجل للحظة قبل أن يقول: "فقد سمعت أن ....."ثم خفت صوته وهو يقول : "لا عليك".

كانت المرأتان تنظران إليه بفضول واضح.

قالت باميلا برقة : "هذا ليس تصرفا عادلاً مع الآنسة إيفانس يا عزيزى. ماذا كنت ستقول؟".

هز الرجل كتفيه بعدم مبالاة، وقال : "لا أظنه شيئاً مهماً"، ثم التفت إلى دانا وأكمل قائلاً: "عندما كنت فى موسكو، كانت هناك شائعة أن تايلور وينثروب متورط فى صفقة خاصة مع الروس. لكنى لا أتعامل مع الشائعات، وأنا واثق أنك لا تفعلين ذلك أيضا يا آنسة إيفانس". كانت نبرة صوته وهو ينطق بتلك العبارة الأخيرة أقرب إلى التوبيخ .

قبل أن تتمكن دانا من الرد، وصل إلى سمعهم صوت تحطم مرتفع صادر من حجرة المكتبة المجاورة لهم.

هبت باميلا هودسون واقفة وهرعت نحو مصدر الصوت، ولحق بها روجر ودانا، ثم توقفوا جميعا عند باب المكتبة. وبداخل المكتبة، كانت مزهرية صينية زرقاء قد سقطت على الأرض وتحطمت إلى عشرات القطع، وكان كيمال يقف بجوارها.

قالت دانا بنبرة مذعورة : "أوه، يا إلهى. أنا فى شدة الأسف. كيمال، لماذا فعلت ذلك؟".

"لقد كانت حادثة".

التفتت دانا تواجه آل هودسون، وقد احمر وجهها من شدة الحرج، ثم قالت : "أنا فى غاية الأسف. سوف أدفع ثمنها بالطبع. أنا .....".

قالت باميلا هودسون بابتسامة لطيفة : "لا تقلقى نفسك بذلك. إن الكلاب بالمنزل تحدث أضراراً أكثر بكثير".

أما روجر هودسون، فقد تجهم وجهه وكان على وشك أن ينطق بشىء، لكن نظرة من عين زوجته أسكتته ثانية.

نظرت دانا إلى بقايا المزهرية، وأخذت تفكر : *ربما كان ثمن هذه المزهرية يساوى قيمة مرتبى لعشر سنوات.*

قالت باميلا هودسون : "هيا بنا نعد إلى غرفة المعيشة".

تبعت دانا آل هودسون وكيمال يسير بجانبها، وغمغمت بغضب : "لا تفارقنى مجددا". وعندما وصلوا إلى غرفة المعيشة، اتخذ الجميع أماكنهم السابقة.

نظر روجر هودسون إلى كيمال وقال : "كيف فقدت ذراعك يا بنى؟".

اندهشت دانا لفظاظة السؤال، لكن كيمال أجاب بهدوء : "بسبب قنبلة".

"فهمت. وماذا حدث لوالديك يا كيمال؟".

"لقد توفيا ـ هما وأختى ـ فى غارة جوية".

قال روجر هودسون بغضب : "لعنة الله على الحروب".

فى تلك اللحظة، دخل سيزار إلى الغرفة وقال : "لقد تم تجهيز الغداء يا سيدتى".

كانت وجبة الغداء شهية للغاية. وقد أحست دانا أن باميلا امرأة دافئة فى مشاعرها وساحرة فى طباعها. أما روجر هودسون، فبدا شخصاً انطوائياً.

قالت باميلا مخاطبة دانا : "ما هو الموضوع الذى تعملين عليه الآن؟".

"نحن نناقش إعداد برنامج جديد سنطلق عليه "خط الجريمة". وسنقوم من خلاله بكشف النقاب عن بعض الأشخاص الذين ارتكبوا جرائم ونجوا من العقاب، وسوف نحاول مساعدة بعض المساجين الأبرياء".

قال روجر هودسون : "إن مدينة واشنطن مكان مناسب لتبدئى منه. فهى مليئة بمدعى الصلاح المزيفين الذين يشغلون مناصب رفيعة وارتكبوا كل أنواع الجرائم التى قد تخطر على بالك ونجوا من العقاب".

قالت باميلا هودسون بفخر : "إن روجر عضو فى عدة لجان لإصلاح الحكومة".

زمجر زوجها قائلاً: "ويا له من عمل عظيم نقوم به ! يبدو أن ذلك الخط الفاصل بين الحق والباطل قد صار أرفع من شعرة. ويجب علينا أن نرسمه أمام أطفالنا فى البيوت، لأنه لم يعد جزءًا من المناهج التى يدرسها التلاميذ فى مدارسنا".

نظرت باميلا إلى دانا وقالت : "بالمناسبة، سوف نقيم ـ أنا وروجر ـ حفل عشاء بسيطاً ليلة السبت المقبل، فهل تودين الحضور ومشاركتنا فى ذلك الحفل؟".

"بالطبع، شكراً لك. إننى أتطلع إلى ذلك".

"هل لديك رفيق؟".

"نعم. جيف كونورز".

قال روجر هودسون : "المعلق الرياضى بمحطتك؟".

"نعم".

قال روجر : "لا بأس به. أنا أشاهد تعليقه على الأحداث الرياضية فى بعض الأحيان، وسوف يسعدنى مقابلته".

ابتسمت دانا وقالت : "أنا واثقة أن جيف سيسعده المجىء إلى حفلكما".

وبينما كانت دانا وكيمال يغادران، جذب روجر دانا جانباً. وقال : "بكل صراحة يا آنسة إيفانس، أنا أعتقد أن نظرية المؤامرة التى نسجتها عن عائلة وينثروب مجرد خيال رسمه عقلك. لكنى، ومن أجل خاطر مات بيكر، مستعد للتحرى هنا وهناك، لعلى أجد شيئًا قد يعززها".

"شكراً لك".

بكل صراحة يا آنسة إيفانس، أنا أعتقد أن نظرية المؤامرة التى نسجتها عن عائلة وينثروب مجرد خيال رسمه عقلك. لكنى، ومن أجل خاطر مات بيكر، مستعد للتحرى هنا وهناك، على أجد شيئًا قد يعززها.

شكراً لك.

انتهى الشريط.

٩

كان طاقم العمل فى برنامج خط الجريمة منهمكين فى اجتماعهم الصباحى، وكانت دانا تجلس فى قاعة الاجتماعات مع نصف دستة من المراسلين والباحثين.

دست أوليفيا رأسها من فتحة الباب وقالت: "السيد بيكر يرغب فى رؤيتك".

"أخبريه بأننى سأكون فى مكتبه بعد دقيقة".

"الرئيس فى انتظارك بالداخل".

"شكرا آبى. تبدين مبتهجة اليوم".

أومأت آبى موافقة وقالت: "لقد تمكنت أخيراً من الحصول على بعض النوم المريح. فلقد كانت ال...."

صاح مات من الداخل: "دانا؟ ادخلى إلى هنا".

قالت آبى: "نستكمل الحديث لاحقا".

دلفت دانا إلى داخل مكتب مات بيكر، واستقبلها مات قائلا: "كيف جرت مقابلتك مع روجر هودسون؟".

"لدىّ إحساس بأنه لم يهتم بالأمر كثيراً، وأظن أنه يعتقد أن نظريتى مجرد فكرة مجنونة".

"لقد أخبرتك بأنه ليس شخصاً ودوداً".

"يتطلب الأمر بعض الوقت حتى يتعود المرء على طبيعته، لكن زوجته امرأة رائعة، ليتك تسمعها وهى تتحدث عن جنون المجتمعات الراقية بواشنطن. إنها تعرف كل شاردة وواردة فى ذلك المجتمع الملىء بالمكائد".

"أعرف ذلك. إنها امرأة رائعة بالفعل".

تقابلت دانا مع إيليوت كرومويل مصادفة فى قاعة الطعام المخصصة للمديرين التنفيذيين بالشبكة.

قال إيليوت كرومويل: "هلا انضممت إلىّ".

قالت دانا وهى تجلس على طاولته: "شكراً لك".

"كيف حال كيمال؟".

ترددت دانا فى الرد للحظة، ثم قالت: "فى هذه الأيام، أظن أن هناك مشكلة".

"ماذا؟ أى نوع من المشكلات تقصدين؟".

"لقد فُصل كيمال من المدرسة".

"لماذا؟".

"لقد تشاجر مع أحد الصبية وتسبب له فى إصابات استلزمت نقله إلى المستشفى".

"هذا يكفى لتعريضه للفصل حقاً".

قالت دانا بنبرة دفاعية: "أنا واثقة من أن كيمال لم يكن من افتعل الشجار، إنه يتعرض للكثير من المضايقات بسبب كونه بذراع واحدة".

قال إيليوت كرومويل: "أعتقد أن الوضع صعب بالنسبة له".

"إنه كذلك بالفعل. أنا أحاول أن أعثر له على ذراع صناعية، لكن يبدو أن المسألة لن تكون هينة".

"فى أى صف يدرس كيمال؟".

"الصف السابع".

ظل إيليوت كروموبل يفكر للحظات، ثم قال: "هل تعرفين مدرسة لينكولن الإعدادية؟".

"أوه، بالطبع. لكنى أعلم أنه من الصعب جدا إلحاق أى تلميذ بها، وأخشى أن درجات كيمال ليست جيدة".

"لدى بعض المعارف هناك، أتريدين أن أتحدث إلى أحدهم؟".

"أنا.... سيكون ذلك لطيفاً ونبيلاً منك".

"سأكون سعيدًا بفعل ذلك".

فى وقت لاحق من نفس اليوم، أرسل إيليوت كروموبل يستدعى دانا إلى مكتبه.

"لدى أخبار جيدة من أجلك، لقد تحدثت إلى مديرة مدرسة لينكولن الإعدادية، وقد وافقت على إلحاق كيمال بالمدرسة لفترة تجريبية. هل يمكنك اصطحابه إلى هناك صباح الغد؟".

تطلب الأمر لحظات حتى استوعبت دانا الخبر، وقالت: "بالطبع. أنا.... أوه، إنه خبر رائع ! أنا سعيدة للغاية. شكرًا جزيلاً لك. إننى حقا أقدر ما فعلته يا إيليوت".

"أريدك أن تعلمى أننى أقدرك كثيرا يا دانا، وأظن أن إحضارك كيمال إلى هذا البلد كان عملاً رائعاً من جانبك، أنت إنسانة مميزة للغاية".

"أنا.... شكرا لك".

عندما غادرت دانا مكتب إيليوت، كان لسان حالها يقول: "لقد كان ذلك يتطلب كثيراً من النفوذ، وكثيراً من العطف".

كانت مدرسة لينكولن الإعدادية عبارة عن مجمع مبان فخم، يتكون من مبنى كبير مصمم على الطراز الإنجليزى التقليدى،

وثلاث مبان ملحقة صغيرة المساحة، وحدائق فيحاء واسعة، وملاعب شاسعة، مشذبة العشب.

قالت دانا - وهما يقفان أمام بوابة المدرسة: "كيمال، هذه أفضل مدرسة فى واشنطن، ويمكنك أن تتعلم الكثير هنا. لكن يجب أن يكون لديك توجه إيجابى بالنسبة للمدرسة. هل تفهم ما أقول؟".

"رائع".

"ويجب أن تتحاشى التورط فى أى مشاجرات".

لم يرد كيمال على عبارتها الأخيرة.

تم إرشاد دانا وكيمال إلى حجرة مكتب روانتا تروت - مديرة المدرسة. كانت روانتا تروت امرأة جذابة الملامح وتتسم بأسلوب ودود.

قالت: "مرحباً بكما". ثم التفتت إلى كيمال وقالت: "لقد سمعت الكثير عنك أيها الشاب الصغير، ونحن جميعاً نتطلع لوجودك معنا بالمدرسة".

انتظرت دانا من كيمال أن يجيب بشىء، وعندما رأته قد التزم الصمت، قالت: "كيمال يتطلع بشغف للدراسة هنا".

"حسناً، أظن أنه سيكون لديك أصدقاء فى غاية اللطف بالمدرسة".

ظل كيمال واقفاً مكانه دون أن يجيب بشىء.

دخلت امرأة عجوز حجرة المكتب. فقالت السيدة تروت: "هذه بيكى. هذا كيمال يا بيكى. لماذا لا تصطحبينه فى جولة بالمكان؟ دعيه يتعرف على بعض المدرسين".

"بالتأكيد، اتبعنى يا كيمال".

تطلع كيمال إلى دانا بنظرات متوسلة، ثم استدار وسار وراء بيكى إلى خارج الحجرة.

بدأت دانا كلامها قائلة: "أود أن أشرح لك وضع كيمال، إنه....".

قالت السيدة تروت: "لا داعى لذلك يا آنسة إيفانس. لقد أخبرنى إيليوت كروموبل عن الوضع وعن خلفية كيمال، وأنا أتفهم أنه قد مر بتجارب مريرة أكبر من قدرة أى طفل على التحمل. ونحن مستعدون لوضع ذلك فى اعتبارنا ونحن نتعامل معه".

قالت دانا: "شكراً لك".

"لدى هنا نسخة من تقرير درجاته فى مدرسة تيودور روزفلت الإعدادية، وسوف نرى إذا كنا نستطيع أن نحقق أفضل مما حققوه".

أومأت دانا وقالت: "إن كيمال صبى شديد الذكاء".

"أنا واثقة من كونه كذلك، فدرجاته فى مادة الرياضيات تثبت هذا الأمر، وسوف نحاول إعطاءه حافزا للتفوق فى بقية المواد الدراسية".

قالت دانا: "إن حقيقة كونه بذراع واحدة تسبب له صدمة شديدة. أتمنى أن نتعاون فى معالجة هذه المشكلة".

أومأت السيدة تروت برأسها فى تفهم وقالت: "بالطبع".

عندما انتهى كيمال من جولته بالمدرسة، وسار بصحبة دانا عائدين إلى السيارة، قالت دانا: "أعتقد أنك سوف تحب هذه المدرسة كثيرا".

لم يجب كيمال وظل على صمته.

"إنها مدرسة رائعة، أليس كذلك؟".

قال كيمال: "إنها مدرسة بشعة".

توقفت دانا فى مكانها وقالت: "لماذا؟".

قال كيمال بصوت مختنق: "إن لديهم ملاعب تنس وساحات لكرة القدم وأنا لا أستطيع...."، ثم سكت وقد امتلأت عيناه بالدموع.

لفت دانا ذراعيها حوله وقالت: "أنا فى شدة الأسف يا عزيزى". ثم قالت تحادث نفسها: *لابد أن أجد حلاً لهذه المشكلة.*

كان حفل العشاء الذى أقيمت بمنزل آل هودسون ليلة السبت حدثا مبهرا حضره مشاهير المجتمع بالملابس الرسمية، وقد امتلأت غرف المنزل الجميلة بعلية القوم وصفوة مجتمع العاصمة واشنطن، بمن فيهم وزير الدفاع، وعدد من أعضاء مجلس الشيوخ، ورئيس البنك المركزى، والسفير الألمانى.

كان روجر وباميلا هودسون يقفان عند الباب عندما وصلت دانا وجيف. وعلى الفور قامت دانا بتقديم جيف إلى آل هودسون.

قال روجر هودسون: "إننى أستمتع بقراءة عمودك الرياضى وتعليقك على الأحداث الرياضية بنشرة الأخبار".

"شكرا لك".

وقالت باميلا: "دعانى أعرفكما ببعض ضيوفنا".

كانت معظم الوجوه مألوفة، وتم تبادل التحية فى إطار ودى، وقد بدا أن معظم الضيوف كانوا إما معجبين بدانا أو بجيف أو بكليهما.

عندما اختلت دانا بجيف للحظات، قالت: "إن قائمة الضيوف بالحفل تبدو وكأنها قد قطعت من كتاب مشاهير أمريكا".

أمسك جيف بيدها وقال: "أنت أشهر شخصية هنا يا عزيزتى".

قالت دانا: "محال. أنا مجرد...".

وقبل أن تكمل دانا عبارتها، رأت الجنرال فيكتور بوستر وبصحبته جاك ستون يتجهان نحوهما.

قالت دانا: "مساء الخير سيدى الجنرال".

نظر إليها الجنرال بوستر وقال بوقاحة: "ما الذى تفعلينه هنا بحق الجحيم؟".

احمر وجه دانا خجلاً.

وأكمل الجنرال صياحه: "هذه سهرة اجتماعية، ولم أكن أعلم أن رجال الإعلام مدعوون إليها".

تطلــع جيــف إلى الجنــرال بوســتر بنظــرات غاضــبة وقال: "رويدك يا هذا ! إن لدينا كل الحق فى....".

لكن الجنرال بوستر تجاهله تماما، وانحنى مقتربا من دانا، قـائلا: "تـذكرى مـا وعـدتك بـه إذا لم تتـوقفى عـن الـسعى وراء المتاعب"، ثم تحرك الرجل مبتعدا.

نظر جيف خلفه فى اندهاش وقال: "يا إلهى ! ما الذى جعله يتصرف هكذا؟".

كان جاك ستون يقف متسمراً فى موضعه، وقـد علـت وجهـه حمرة الخجل، ثم قال: "أنـا.... أنـا آسف للغايـة. إن الجنـرال يتصرف على هذا النحو فى بعض الأحيان. إنه لا يتصرف بلباقة طوال الوقت".

قال جيف ببرود: "أظننا قد لاحظنا ذلك".

•••

كان العشاء نفسه فى غايـة الروعـة، وقـد وضـعت أمـام كـل زوجين قائمة طعام كتبت بخيط يد جميل:

فطيرة روسية مع كافيار فاخر وكريمة الجبن
الخفيف المنقوعة فى شراب الكروم

حساء طائر الطنان المتبل مع قلب نبات
الكمأة الأبيض ونبات الهليون الأخضر

كبد الأوز البسماركى المتبل مع خس بوسطن
وحب الفلفل ومرق توابل الخل

سرطان البحر المقلى على الطريقة الفرنسية والمغطى

بصلصة الجبن الأبيض المنقوعة فى الكروم

شريحة من لحم البقر النيورلندى مع
البطاطس المشوية والخضار المقلى

فطيرة الشوكولاتة المشربة بعصير قشر البرتقال مع
قطع الشوكولاتة المنقوعة فى صلصة النوجا

لقد كانت مأدبة شديدة الفخامة.

وجـدت دانـا ـ لدهـشتها ـ أنهـا قـد منحـت المقعـد المجـاور لروجر هودسون، وقد ظنت أن باميلا هى صاحبة هذا التدبير.

قال روجر: "لقد أخبرتنى بـاميلا بـأن كيمـال قـد أدرج بـين طلاب مدرسة لينكولن الإعدادية".

ابتسمت دانا وقالت: "نعم، لقد دبـر إيليـوت كرومويـل هـذا الأمر. إنه رجل رائع للغاية".

أومأ روجر هودسون وقال: "هكذا سمعت أيضا".

تردد روجر للحظة ثم قال: "ربما لا يعنى ما سـأقوله لـك أى شىء، لكن قبل أن يصبح تايلور وينثـروب سـفيرنا فـى روسـيا، كان قد أخبر بعض أصدقائه المقربين أنه قد صمم على التقاعد مـن الحياة العامة".

قالت دانا بتجهم: "ثم قبل منصب سفير الولايات المتحدة فى روسيا؟".

"نعم".

يا له من أمر غريب!

•

فى طريق العودة إلى المنزل، قـال جيـف متـسائلاً: "مـا الـذى فعلته حتى جعلت الجنرال بوستر يبغضك هكذا؟".

"إنه لا يريدنى أن أحقق فى حالات الوفيات التى حدثت لأفراد عائلة وينثروب".

"ولماذا؟".

"لم يشرح لى موقفه، إنه فقط يصيح ويهدد".

قال جيف ببطء: "إن لدغاته أسوأ بكثير من تهديداته يا دانا، إنه ليس الشخص الذى يرغب المرء فى معاداته".

نظرت دانا إلى جيف بفضول وقالت: "ولماذا؟".

"إنه رئيس وكالة الأبحاث الفيدرالية".

"أعلم ذلك، إنهم يطورون أساليب تكنولوجية لمساعدة الدول النامية على تعلم وسائل الإنتاج الحديث و....".

قال جيف ببرود: "أمازلت تؤمنين بالجنية المسحورة وبابا نويل؟".

تطلعت إليه دانا فى حيرة وقالت: "ما الذى تتحدث عنه بحق السماء؟".

"إن الوكالة مجرد غطاء، والهدف الحقيقى منها هو التجسس على وكالات المخابرات الأجنبية ومراقبة اتصالاتها، يا له من أمر مثير للسخرية. إن الاسم المختصر للوكالة - فراتر - يعنى الأخ باللغة اللاتينية.... والفرق الوحيد هو أن الوكالة تلعب دور الأخ الأكبر - والأخ الأكبر لابد أن يراقب كل إخوته الصغار، إنهم يتصرفون بسرية أكبر من تلك التى تحيط بوكالة الأمن القومى".

قالت دانا بتأمل: "ولقد كان تايلور رئيس الوكالة فى وقت من الأوقات، هذا أمر مثير للاهتمام".

"أود أن أنصحك بأن تبتعدى عن الجنرال بوستر قدر ما تستطيعين".

"إننى أنوى ذلك بالفعل".

"أعلم أن لديك مشكلة مع جليسة الأطفال الليلة يا عزيزتى، فإذا كنت مضطرة للعودة إلى شقتك....".

ارتكنت دانا إليه وقالت: "محال، يمكن لجليسة الأطفال أن تنتظر قليلاً، دعنا نذهب إلى شقتك".

ابتسم جيف وقال: "تخيلت أنك لن تطلبى ذلك أبدا".

كان جيف يعيش فى شقة صغيرة بمبنى مكون من أربعة طوابق بشارع ماديسون ستريت عندما وصلا إلى الشقة، قاد جيف دانا من ذراعها إلى غرفة النوم.

قال جيف: "سوف أسعد كثيرا عندما ننتقل إلى شقة أكبر، فلابد لكيمال أن تكون له غرفته المستقلة. لِمَ لا...؟".

قالت دانا: "لِمَ لا نتوقف عن الكلام؟".

أخذها جيف بين ذراعيه وهو يقول: "فكرة عظيمة".

قال جيف: "أتدرين أن لديك روحا رائعة؟".

قالت دانا: "هذا ما يخبرنى به كل زملائى - بل هو حديث الساعة فى كل مكان".

قال جيف: "هل تعلمين أنك امرأة جريئة؟".

ابتسمت دانا وقالت: "بلا شك".

همست دانا: "أحبك كثيراً".

"وأنا أيضا أحبك يا عزيزتى".

وعندما مد جيف يده مداعبا وجنتها، انطلق رنين هاتف محمول.

قالت دانا: "هاتفك أم هاتفى؟".

ضحك الاثنان ورن الهاتف مجدداً.

قال جيف: "هاتفى، لكن لنتركه يرن".

قالت دانا: "لعلها مكالمة مهمة".

قال جيف: "حسناً"، ثم اعتدل فى ضجر، والتقط هاتفه المحمول قائلا: "مرحبا....". تغيرت نبرة صوته وأكمل يقول: "كلا، لا عليك.... تكلمى.... بالطبع.... أنا واثق أنه لا يوجد ما يستحق القلق، لعله مجرد إجهاد".

طالت المحادثة لمدة خمس دقائق، وفى النهاية قال جيف: "حسنًا.... ترفقى بنفسك.... جيد.... طابت ليلتك يا ريتشيل"، ثم أغلق هاتفه المحمول.

أرادت دانا أن تصرخ قائلة: *اليس وقتاً متأخراً للغاية لكى تتصل فيه رايشيل؟* لكنها اكتفت بقول: "جيف، أهناك خطب ما؟".

"كلا، لقد كانت ريتشيل تفرط فى العمل لاحقاً، وأظن أنها بحاجة إلى الراحة، وسوف تكون على ما يرام". احتضن جيف دانا مجددا وهو يهمس برفق: "والآن أين كنا؟". ثم جذبها إليه فى حنان....وعزفت الطبيعة لحنا من ألحانها الأبدية الساحرة.

نسيت دانا مشكلات عائلة وينثروب وجوان سينسى والجنرالات وجليسات الأطفال وكيمال والمدارس، وصارت الحياة بالنسبة لها احتفالاً عاطفيًا مبهجًا.

وفى وقت لاحق، قالت دانا على مضض: "أخشى أن الوقت قد حان لكى تغادر سندريلا قصر الأمير وتتحول مجدداً إلى خادمة وضيعة".

"ويا لها من خادمة فاتنة ! سوف أجهز عربة الخيول الخاصة بى".

نظرت دانا إليه وقالت: "أظن أنها جاهزة ! ما رأيك فى جولة ثانية فى أرض الأحلام؟".

عندما عادت دانا إلى شقتها، كانت جليسة الأطفال تنتظر على أحر من الجمر لكى تغادر.

قالت المرأة بنبرة اتهام: "إنها الواحدة والنصف".

"أنا في شدة الأسف. لقد انشغلت بمسألة طارئة"، ثم أعطت المرأة مبلغا إضافيًا من المال وقالت: "خذى سيارة أجرة، فالمكان خطر بالخارج فى مثل هذه الساعة. سوف أراك فى ليلة الغد".

قالت المرأة: "آنسة إيفانس، أظن أن عليك أن تعلمى..".

"ماذا؟".

"لقد ظل كيمال يسألنى طوال الليل عن موعد عودتك. إن ذلك الصبى لديه شعور شديد بعدم الأمان".

"شكرًا لك، طابت ليلتك".

دلفت دانا إلى حجرة كيمال، فوجدته لا يزال مستيقظا، يلعب إحدى ألعاب الكمبيوتر.

"مرحبا دانا".

"من المفترض أن تكون نائماً الآن يا صديقى".

"لقد كنت بانتظار عودتك إلى المنزل، هل قضيت وقتاً ممتعاً الليلة؟".

"لقد كانت أمسية بديعة، لكنى افتقدتك بشدة".

أغلق كيمال جهاز الكمبيوتر، وقال: "هل ستخرجين كل ليلة على هذا النحو؟".

فكرت دانا فى الأحاسيس التى يحملها ذلك السؤال وقالت: "سوف أحاول أن أقضى مزيداً من الوقت بصحبتك يا حبيبى".

١٠

تلقت دانا مكالمة هاتفية مفاجئة فى صباح الاثنين.

"دانا إيفانس؟".

"نعم".

"أنا الدكتور جويل هيرشبيرج من مؤسسة تشيلدرين فونديشن لرعاية الأطفال".

أنصتت دانا فى حيرة، ثم قالت: "وماذا تريد؟".

"لقد ذكر لى إيليوت كرومويل أنك تعانين من مشكلة فى تركيب ذراع صناعية لابنك".

ظلت دانا تفكر للحظة، ثم قالت: "نعم، أعتقد أننى قد ذكرت له الأمر".

"لقد أعطانى السيد كرومويل خلفية عن الموقف، ومن حسن الحظ أنه قد تم تأسيس مؤسستنا هذه لمساعدة الأطفال الذين مزقت بلادهم ويلات الحروب، ومما أخبرنى به السيد كرومويل، فإن ولدك بالتبنى تنطبق عليه شروط المؤسسة، وكنت أتساءل إذا كان بإمكانك إحضاره للمؤسسة لكى أقوم بالكشف عليه؟".

"حسناً، أنا.... حسنا، نعم بالطبع"، ثم حددا موعدا فى وقت لاحق من نفس اليوم.

وعندما حضر كيمال من المدرسة، قالت دانا بحماس: "سوف نذهب أنا وأنت لرؤية طبيب بشأن توفير ذراع جديدة لك، هل تود ذلك؟".

فكر كيمال فى الأمر للحظة، ثم قال: "لا أدرى، هى لن تكون ذراعاً حقيقية".

"سنحاول جعلها أقرب ما تكون إلى الذراع الحقيقية. اتفقنا يا صديقى؟".

"رائع".

كان الدكتور جويل هيرشبيرج رجلا جذابا، جاد الملامح، فى أواخر الأربعينات من العمر، ويتميز بسلوك يوحى بالكفاءة.

عندما تبادل الرجل التحية مع دانا وكيمال، قالت دانا: "دكتور، أريد من البداية أن أوضح بصراحة أننا يجب أن نصل إلى اتفاق مالى؛ لأننى قد أُخبرت من قبل أنه نظرا لكون كيمال مازال فى طور النمو، فإنه لابد من تركيب ذراع جديدة له كل عدة....".

قاطع الدكتور هيرشبيرج استرسالها قائلا: "كما أخبرتك عبر الهاتف يا آنسة إيفانس، فإن مؤسسة شيلدرين فونديشن قد أنشئت خصيصاً من أجل رعاية أطفال البلاد التى تعانى من ويلات الحروب، ولهذا فسون نتكفل بالمصروفات تماما".

شعرت دانا بحالة من الارتياح، فقالت: "هذا أمر رائع"، ثم أخذت تردد دعاءً صامتاً: *باركك الله يا إيليوت كرومويل.*

التفت الدكتور هيرشبيرج إلى كيمال مجدداً وقال: "والآن، دعنا نلقى نظرة عليك أيها الشاب الصغير".

بعد ثلاثين دقيقة، قال الدكتور هيرشبيرج مخاطبا دانا: "أظن أنه باستطاعتنا توفير ذراع أشبه ما تكون بالذراع

الأصلية". ثم جذب الطبيب رسماً توضيحيا فوق الحائط، وأردف: "لدينا نوعان من الأذرع الصناعية، الأول يعمل بالكهربية العضلية - وهو أحدث الاكتشافات الطبية - والثانى يعمل باستخدام كابل كهربى. وكما ترين هنا، فإن الذراع الذى يعتمد على كهربية العضلات مصنوع من البلاستيك ومغطى بقفاز يشبه شكل اليد البشرية". ثم أردف الطبيب وهو يخاطب كيمال مبتسما: "إنها تبدو أشبه بالذراع الأصلية تماما".

تساءل كيمال: "هل تتحرك؟".

قال الدكتور هيرشبيرج: "كيمال، هل تفكر أبداً فى تحريك يدك؟ أقصد اليد التى لم تعد موجودة فى موضعها؟".

قال كيمال: "نعم".

مال الدكتور هيرشبيرج إلى الأمام وقال: "حسناً، فى أى لحظة تفكر فيها بتحريك تلك اليد الوهمية، فإن العضلات التى كانت معتادة على تحريك اليد سوف تنقبض وتصدر إشارة كهربية عضلية. بعبارة أخرى، سوف تصبح قادراً على فتح وغلق يدك بمجرد التفكير فى ذلك".

تهلل وجه كيمال وقال: "هل سأستطيع ذلك؟ كيف.... كيف سأضع الذراع وأقوم بخلعها؟".

"إن الأمر بسيط جدا يا كيمال. كل ما عليك فعله هو أن تستنشق بقوة وأنت تضع الذراع، وذلك لأنها تعمل بشفط الهواء. سيكون هناك غطاء رقيق من النايلون يغطى الذراع، ولذلك لن يمكنك أن تسبح بها، لكن سيكون بإمكانك أن تفعل أى شيء آخر تريده. إنها أشبه ما تكون بالحذاء؛ تقوم بخلعها بالليل ثم ترتديها فى الصباح".

تساءلت دانا: "وكم تزن؟".

"ما بين ست أوقيات إلى رطل".

التفتت دانا إلى كيمال وقالت: "ما رأيك يا صديقى؟ هل نجرب هذه الذراع؟".

كان كيمال يحاول أن يخفى حماسه وهو يقول: "هل ستبدو حقيقية؟".

ابتسم الدكتور هيرشبيرج وقال: "سوف تبدو حقيقية".

"يبدو هذا أمرًا رائعا".

"لقد تعلمت أن تصبح أعسر منذ أن فقدت ذراعك اليمنى، ولذلك سيكون عليك أن تنسى الاعتماد الكامل على يدك اليسرى، وسوف يتطلب ذلك وقتا يا كيمال. يمكننا تركيب الذراع على الفور، لكن سيكون عليك أن تذهب إلى معالج نفسى لمدة من الوقت لكى تتعلم كيف تجعل تلك الذراع جزءا من جسدك، وكيف تتحكم فى الإشارات الكهربية العضلية".

أخذ كيمال نفسا عميقا وقال: "رائع".

احتضنت دانا كيمال بقوة: "سيكون أمراً رائعاً". ثم قالت وهى تجاهد الدموع التى كانت تتساقط على وجنتيها.

تطلع الدكتور هيرشبيرج إليهما للحظة، ثم قال مبتسماً: "هيا ننطلق إلى العمل".

عندما عادت دانا إلى الاستوديو، توجهت إلى مكتب إيليوت كرومويل.

"إيليوت، لقد عدنا للتو من عيادة الدكتور هيرشبيرج".

"عظيم، أرجو أن يتمكن من مساعدة كيمال".

"يبدو أنه يستطيع ذلك. أنا لا أستطيع أن أخبرك عن مدى تقديرى لما فعلته من أجل كيمال".

"لا يوجد داع لكل هذا التقدير. أنا سعيد لكونى تمكنت من مساعدتكما. فقط دعينى أعلم بسير الأمور".

قالت دانا: "سوف أفعل"، ثم أردفت سرا: *بارك الله*.

"زهور!" دلفت أوليفيا إلى مكتب دانا وهي تحمل باقة كبيرة من الزهور.

صاحت دانا بابتهاج: "إنها زهور جميلة للغاية".

وفتحت المظروف وقرأت بطاقة الإهداء: *عزيزتي الآنسة إيفانس، إن تهديدات صاحبنا أسوأ من لدغاته.استمتعي بالزهور.جاك ستون.*

ظلت دانا تدرس البطاقة للحظة، ثم تمتمت: *يا له من أمر مثير! لقد قال جيف إن لدغاته أسوأ من تهديداته، فأي الرجلين على حق فيما زعمه؟* شعرت دانا أن جاك ستون يكره عمله، ويكره رئيسه أيضاً، ولهذا قالت لنفسها: *سوف أتذكر هذه المعلومة.*

اتصلت دانا بجاك ستون في مكتبه بالوكالة الفيدرالية للأبحاث.

"سيد ستون؟ لقد أردت فقط أن أشكرك على الزهور الجميلة......".

"هل أنت في مكتبك؟".

"نعم.أنا....".

"سوف أتصل بك بعد لحظة"، ثم انقطع الخط.

وبعد ثلاث دقائق، اتصل جاك ستون.

"آنسة إيفانس، سيكون من الأفضل لكلينا ألا يعلم صديقنا المشترك أننا نتحدث إلى أحدنا الآخر.لقد حاولت أن أغير موقفه، لكنه رجل شديد العناد.سوف أعطيك رقم هاتفي الشخصي المحمول في حالة ما إذا احتجت إلي ـ وأقصد احتجت إليّ بشدة ـ وسوف تتمكنين من خلاله من الاتصال بي في أي وقت".

قالت دانا: "شكراً لك"، ثم بدأت تكتب الرقم.

"آنسة إيفانس....".

"نعم".

"لا شيء، فقط توخي الحذر".

عندما وصل جاك ستون إلى مكتبه في صباح ذلك اليوم، كان الجنرال بوستر بانتظاره.

"جاك، لديّ إحساس أن تلك العاهرة، دانا إيفانس، مثيرة للمتاعب.أريدك أن تبدأ في إعداد ملف عنها، وأطلعني على كل المستجدات".

"سوف أتولى ذلك يا سيدي"، هكذا أجاب جاك وهو يتمتم سرا: *رغم أنه لن توجد أي مستجدات.*ثم أرسل زهورا أخرى إلى دانا على الفور.

كان جيف ودانا يجلسان داخل قاعة طعام التنفيذيين بالمحطة التليفزيونية يتحدثان عن ذراع كيمال الصناعية.

قالت دانا: "إنني في غاية السعادة يا عزيزي.سوف يصنع ذلك فارقا كبيرا في حياة كيمال، فلقد كان يميل للشجار لإحساسه بأنه أقل شأنا من بقية الأولاد، لكن تلك الذراع سوف تغير هذا الإحساس تمامًا".

قال جيف: "لابد أنه يطير فرحا، فذلك ما أشعر به".

قالت دانا: "والمدهش أن مؤسسة شيلدرين فونديشن سوف تتكفل بكل المصاريف.إذا استطعنا أن....".

رن جرس هاتف جيف المحمول، فقال جيف: "عذرا يا حبيبتي"، ثم ضغط زر التحدث وبدأ يتكلم مع المتصل: "مرحبا.... أوه...."، ثم ألقى نظرة خاطفة تجاه دانا وأردف: "كلا.... لا عليك.... أكملي....".

جلست دانا في مقعدها وهي تحاول جاهدة ألا تنصت لما يقوله.

"نعم.... فهمت.... حسناً.... على الأرجح أنها مسألة بسيطة، لكن من الأفضل أن تستشيري الطبيب.أين أنت الآن؟ البرازيل؟ هناك بعض الأطباء المهرة هناك.بالطبع.... أنا أتفهم الأمر.... كلا....".بدا كأن المكالمة سوف تستمر إلى الأبد،

وأخيرًا قال جيف: "احترسي لنفسك، وداعا". ثم وضع الهاتف فوق الطاولة.

قالت دانا: "أكانت هذه ريتشيل؟".

"نعم، إنها تعاني من بعض المتاعب البدنية، مما جعلها تلغي التصوير في مدينة ريو.لم يسبق لها أن فعلت شيئًا كهذا من قبل".

"لماذا تتصل بك يا جيف؟".

"لأنه لا يوجد شخص آخر يا عزيزتي.إنها هناك بمفردها".

"وداعاً يا جيف".

أغلقت ريتشيل هاتفها على مضض، وكأنها لا ترغب للمكالمة أن تنتهي، ثم نظرت إلى خارج النافذة، متطلعة إلى قمة جبل شوجرلوف التي لاحت على البعد، وشاطئ إبانيما بيتش في الأسفل. وأخيرا سارت إلى داخل غرفة نومها، وألقت بجسدها فوق الفراش، منهكة القوى، وقد بدأ شريط أحداث اليوم يدور في تشوش داخل عقلها.كان اليوم قد بدأ على ما يرام، حيث كان مقررا لها أن تصور إعلانا تجاريا لصالح شركة أمريكان إكسبريس، وكان التصوير فوق رمال الشاطئ.

وفي حوالي الظهيرة تقريبا، قال مدير التصوير: "لقد كانت اللقطات الأخيرة رائعة يا ريتشيل، لكن دعينا نلتقط صورة أخرى".

كانت راتشيل على وشك أن تقول "نعم" لكنها سمعت نفسها فجأة تقول: "كلا، أنا آسفة.لا أستطيع".

نظر إليها المدير في اندهاش وقال: "ماذا؟".

"أنا متعبة للغاية، وسيكون عليك أن تأذن لي بالانصراف".

ثم استدارت وانطلقت هاربة إلى الفندق، ومرت عبر رواقه الأمامي، ثم صعدت إلى حجرتها الآمنة.كانت ترتجف وتشعر

بالغثيان وكانت جبهتها تشتعل سخونة، مما جعلها تتساءل: *ماذا أصابني؟*

أمسكت بسماعة الهاتف واتصلت بجيف. وقد كان سماع صوته كفيلاً بأن يشعرها بالتحسن.*باركه الرب.لقد كان دائماً موجوداً من أجلي، وكأنه حبل النجاة الذي ينقذني طوال الوقت.*وعندما انتهت محادثتها مع جيف، رقدت ريتشيل فوق فراشها ـ تفكر: *كم قضينا أوقاتاً جميلة معاً، وكان جيف دائماً مصدراً للمرح، وكنا نستمتع بفعل نفس الأشياء، وكنا نحب أن نتشارك في كل شيء. كيف أمكنني أن أتخلى عنه؟* ثم ذكّرت نفسها بالطريقة التي انتهى بها زواجهما.

لقد بدأ الأمر بمكالمة هاتفية.

"ريتشيل ستيفنس؟".

"نعم".

"السيد رودريك مارشال على الخط".*وكان رودريك مارشال هو أحد أهم المخرجين في هوليوود.*

وبعد لحظة، انساب صوته عبر الهاتف: "الآنسة ستيفنس؟".

"نعم".

"أنا رودريك مارشال. أتعلمين من أكون؟".

وكانت ريتشيل قد شاهدت العديد من أفلامه، فأجابت: "بالطبع أعرفك جيداً يا سيد مارشال".

"لقد كنت أطالع بعضاً من صورك.وأحتاج إليك هنا في استوديوهات فوكس.أتودين الحضور إلى هوليوود لأداء اختبار تمثيل؟".

ترددت ريتشيل في الأمر للحظة، ثم قالت: "لا أدري.أقصد أنني لا أدري إن كنت أجيد التمثيل.أنا لم أقم أبدا بـ.....".

"لا تقلقي.سوف أتولى ذلك، وسوف نتكفل بكل المصروفات بالطبع. كما أنني سأجرى اختبار التمثيل بنفسي.متى تستطيعين الوصول إلى هنا؟".

فكرت ريتشيل فى جدول أعمالها وقالت: "خلال ثلاثة أسابيع".

"جيد، سوف يتولى الأستوديو الترتيبات".

عندما أغلقت ريتشيل سماعة الهاتف، أدركت أنها لم تستشر جيف، لكنها قالت لنفسها: *لا أظنه سيمانع، فنحن نادراً ما نرى بعضنا البعض على أى حال.*

كرر جيف: "هوليوود؟".

"سيكون ذلك أمراً رائعاً يا جيف".

أومأ جيف موافقاً وقال: "حسناً، اذهبي.من المحتمل أن تجرى الأمور بنجاح عظيم".

"هل يمكنك أن تأتى معي؟".

"حبيبتي، سوف نلعب مباراة فى كليفلاند يوم الاثنين، وبعدها سنطير إلى واشنطن ومن بعدها إلى شيكاغو، وسوف يتبقى لدينا مباريات كثيرة فى جدول الدورى، وأظن أن لاعبى الفريق سوف يلاحظون أن أحد الهدافين الأساسيين فى الفريق غير موجود".

حاولت ريتشيل أن تبدو نبرتها طبيعية وهى تقول: "هذا مؤسف للغاية.يبدو أن خطى حياتينا لا يتقابلان كثيرا، أليس كذلك يا جيف؟".

"ليس بشكل كاف".

كانت ريتشيل على وشك أن تقول شيئاً آخر، لكنها قالت لنفسها: *ليس هذا هو الوقت المناسب.*

كان فى استقبال ريتشيل فى مطار لوس انجلوس أحد موظفى استوديوهات فوكس، وكان يقود سيارة ليموزين فارهة.

قال الموظف: "اسمى هنرى فورد"، ثم ضحك وهو يضيف: "وليست هناك صلة بيني وبين هنرى فورد ـ مؤسس شركة سيارات فورد.وأصدقائى يدعونني هانك".

انطلقت الليموزين في شوارع المدينة. وفى الطريق، قدم هانك لريتشيل تعليقاً متواصلاً عن المدينة ومعالمها.

"أهذه أول مرة تحضرين إلى هوليوود يا آنسة ستيفنس؟".

"كلا، لقد حضرت إلى هنا مرات عديدة، وكانت آخر مرة زرت فيها المدينة منذ عامين مضيا".

"حسناً، لقد تغيرت المدينة كثيراً. فهى الآن أكبر وأفضل، ولو أنك ممن يستهويهم الفتنة والسحر، فسوف تحبين المدينة بالتأكيد".

تمتمت ريتشيل فى عقلها: *بل إنى أعيش وأتنفس من أجل الفتنة والسحر!*

"لقد حجز لك الاستوديو غرفة فى فندق شاتو مارمونت، وهو المكان الذى ينزل فيه كل المشاهير عندما يزورون المدينة".

تظاهرت ريتشيل بالانبهار وقالت: "حقا؟".

"أوه، نعم.لقد لقى جون بيلوشى حتفه هناك، كما تعلمين، بعد جرعة زائدة من المخدرات".

"يا إلهى!".

"ولقد اعتاد كبار الممثلين النزول بالفندق، ومنهم كلارك جيبل، بول نيومان، مارلين مونرو...."وتوالت قائمة الأسماء دون انقطاع، رغم أن ريتشيل كانت قد توقفت عن الإنصات تماماً.

كان فندق شاتو مارمونت يقع فى شمال ضاحية صن سيت ستراپ، وقد بدا أشبه بقصر من تلك القصور التى يقيمونها فى مواقع تصوير الأفلام.

قال هنرى فورد: "سوف أمر لاصطحابك إلى الأستوديو فى تمام الثانية، وهناك سوف تقابلين رودريك مارشال".

"سأكون مستعدة فى الموعد".

بعد ساعتين، كانت ريتشيل تجلس داخل مكتب رودريك مارشال، كان رودريك مارشال رجلا فى أواخر الأربعينات، قصيراً ومكتنزاً، ويتفجر بالحيوية والنشاط.

قال: "سوف تشعرين بالسعادة لكونك قد حضرت إلى هنا، فلسوف أصنع منك نجمة كبيرة.سوف نصور اختبار التمثيل الخاص بك غدا، وسوف أجعل إحدى مساعداتى تصطحبك إلى خزانات ملابس الاستوديو لانتقاء رداء مناسب وجميل من أجلك، وسوف تؤدين مشهداً تمثيلياً من فيلم *نهاية الحلم* - أحد أعظم الأفلام التى أنتجها الاستوديو.فى السابعة من صباح الغد ستقومين بعمل الماكياج وتسريحة الشعر. أظن أن هذه الأمور ليست جديدة عليك، أليس كذلك؟".

ردت ريتشيل بشكل آلى: "بالتأكيد".

"هل حضرت بمفردك يا ريتشيل؟".

"نعم".

"لم لا نتناول العشاء معاً هذه الليلة؟".

فكرت ريتشيل فى الأمر للحظة، ثم قالت: "حسناً".

"سوف أمر لاصطحابك فى الثامنة مساء".

تحولت دعوة العشاء إلى جولة مسائية مجنونة فى أنحاء المدينة.

قال رودريك مارشال مخاطبا ريتشيل: "إذا كنت تعرفين إلى أين يجب أن تذهبى.... وكان بإمكانك دخول مثل هذه الأماكن،

فسوف تدركين أن لوس أنجلوس تمتلك بعضاً من أفضل الملاهى الليلية فى العالم".

بدأت الجولة المسائية من ستاندرد، وهو فندق ملحق به مطعم شهير، ومقره شارع صن سيت بوليفارد.وبينما كانا يمران من أمام مكتب الاستقبال، توقفت ريتشيل لتحدق إلى شىء جذب انتباهها بشدة. فبجانب مكتب الاستقبال، وخلف نافذة زجاجية، كانت هناك عارضة تقف عارية تماما، وكأنها تمثل لوحة إنسانية حية.

قال رودريك: "أليست لوحة جميلة؟".

قالت ريتشيل: "فى غاية الروعة".

ظلا ينتقلان بين عدة نواد صاخبة ومزدحمة. وعند نهاية السهرة، كان الإرهاق قد بلغ من ريتشيل مبلغه.

أوصلها رودريك مارشال إلى الفندق، وقال مودعا: "لتحظى بنوم هادئ، فإن غدا هو اليوم الذى سيغير حياتك تماما".

فى تمام السابعة صباحاً، كانت ريتشيل فى غرفة الماكياج.نظر إليها بوب فان دوسين، خبير الماكياج، فى استحسان وقال: "أليس من الإسراف أن يدفعوا لى لتجميل امرأة رائعة الحسن مثلك؟".

ضحكت ريتشيل.

"أنت لا تحتاجين إلى الكثير من الماكياج، فلقد تكفلت الطبيعة بذلك".

"شكراً لك".

عندما صارت ريتشيل مستعدة، ساعدتها إحدى متخصصات الملابس على ارتداء الفستان الذى اختارته ريتشيل فى ظهيرة الأمس، ثم اصطحبها أحد المخرجين المساعدين إلى استوديو صوت ضخم.

كان رودريك مارشال وبقية طاقم التصوير بانتظارها. ظل المخرج يتطلع إلى ريتشيل للحظة ثم قال: "ممتاز. سوف نقوم باختبار من جزأين يا ريتشيل. سوف تجلسين أولا فى هذا المقعد المريح. سأطرح عليك بعض الأسئلة وأنا أقف خلف كاميرا التصوير. فقط، كونى على طبيعتك".

"حسناً، وماذا عن الجزء الآخر؟".

"المشهد التمثيلى القصير الذى ذكرته لك".

جلست ريتشيل وضبط المصور عدسات الكاميرا باتجاهها، ثم قال رودريك مارشال - من خلف الكاميرا: "هل أنت مستعدة؟".

"نعم".

"حسنا. استرخى فقط. سوف تكونين رائعة. كاميرا... ابدأ التصوير... صباح الخير".

"صباح الخير".

"علمت أنك عارضة أزياء".

ابتسمت ريتشيل وقالت: "نعم".

"وكيف بدأت هذه المهنة؟".

"كنت فى الخامسة عشرة، عندما رآنى صاحب وكالة لعارضات الأزياء بصحبة والدتى داخل أحد المطاعم، فذهب وتحدث مع والدتى، وبعد عدة أيام، أصبحت عارضة أزياء".

استمرت المقابلة المصورة لخمس عشرة دقيقة سهلة، ظهر خلالها ذكاء ريتشيل واتزانها.

"أوقف التصوير! رائع!" أعطى رودريك مارشال لريتشيل سيناريو مشهد تمثيلى قصير وقال: "سوف نأخذ استراحة. اقرئى هذا جيدا، وعندما تستعدين، أخبرينى، وسوف نقوم بتصويره. أنت نجمة بالفطرة يا ريتشيل".

قرأت ريتشيل المشهد، وكان يتعلق بزوجة تطلب الطلاق من زوجها، ثم أعادت قراءته مجددا.

وقالت: "أنا مستعدة".

تم تقديم ريتشيل إلى كيفين ويبستر، الممثل الذى كان سيؤدى دور الزوج أمامها - وكان شابًا وسيمًا فى بداية مشواره السينمائى بهوليوود.

قال رودريك مارشال: "حسنًا. دعونا نصور هذا المشهد. كاميرا. تصوير".

نظرت ريتشيل إلى كيفين ويبستر وقالت: "لقد تحدثت إلى محامى طلاق هذا الصباح يا كليف".

"لقد سمعت بذلك. أما كان يجب أن تتحدثى معى أولاً؟".

"لقد تحدثت إليك عن ذلك بالفعل. لقد ظللت أتحدث إليك بشأن هذا الأمر طوال العام الماضى. لم يعد ما بيننا زواجا، لكنك لا تنصت أبداً يا جيف".

قال رودريك: "أوقف التصوير. إن اسمه كليف يا ريتشيل".

قالت ريتشيل، وهى تشعر بالحرج: "أعتذر بشدة".

"دعونا نبدأ مرة أخرى".

كانت ريتشيل تفكر: *إن هذا المشهد يتعلق بى وبجيف. لم يعد ما بيننا زواجاً، وكيف يمكن له أن يكون؟ إننا نعيش حياتين مختلفتين تماما، ونادراً ما يرى أحدنا الآخر. إن كلينا يقابل أشخاصاً جذابين، لكننا لا نستطيع الدخول فى علاقة عاطفية بسبب عقد لم يعد يعنى أى شيء.*

"ريتشيل!".

"آسفة".

وبدأ المشهد مجدداً.

عندما انتهت ريتشيل من تصوير مشهد الاختبار، كانت قد توصلت إلى قرارين حاسمين: أولهما، أنها لا تنتمى حقا إلى هوليوود. وثانيهما، أنها تريد الطلاق...

• • •

والآن، وهى ترقد فوق السرير فى مدينة ريو، وتشعر بالألم والإجهاد، أخذت ريتشيل تفكر: *لقد ارتكبت خطأ ما كان يجب على أن أطلب الطلاق من جيف.*

عندما خرج كيمال من مدرسته يوم الثلاثاء، اصطحبته دانا إلى إخصائى التأهيل الذى كان يشرف على تهيئة كيمال لاستخدام ذراعه الجديدة. كانت الذراع الجديدة تبدو أشبه بالحقيقية وكانت تعمل جيداً، لكن كان من الصعب على كيمال أن يتعود عليها، سواء من الناحية الفسيولوجية أم النفسية.

كان اختصاصى التأهيل قد شرح الحالة لدانا قائلاً: "سوف يشعر كأنه مربوط إلى شىء غريب عنه. ومهمتنا هى أن نجعله يتقبل تلك الذراع كجزء من جسده. يجب عليه أن يتعود على كونه يمتلك ذراعين مجدداً. سوف تتطلب مرحلة التدريب والتأهيل ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر، ويجب أن أحذرك أن كيمال قد يمر بفترات عصيبة خلال مرحلة التدريب".

قالت دانا بنبرة مطمئنة: "يمكننى التعامل مع الأمر".

لكن الأمر لم يكن بالسهولة التى ظنتها دانا. ففى صباح اليوم التالى، خرج كيمال من حجرته بدون ذراعه الصناعية، وهو يقول: "أنا جاهز للمدرسة".

نظرت إليه دانا باندهاش وقالت: "أين ذراعك يا كيمال؟".

رفع كيمال يده اليسرى إلى أعلى وقال: "ها هى ذى".

"أنت تعلم ما أقصده. أين ذراعك الصناعية؟".

"إنها بشعة المنظر، ولن أضعها بعد الآن".

"سوف تتعود عليها يا عزيزى. أعدك بذلك. عليك أن تعطى الأمر فرصة لكى ينجح، وسوف أساعدك على....".

"لا أحد يستطيع مساعدتى، أنا كسيح لعين....".

ذهبت دانا لمقابلة التحرى ماركوس آبرامز مجددا. وعندما دلفت دانا إلى حجرة مكتبه، كان آبرامز يجلس خلف مكتبه، وقد انهمك فى كتابة بعض التقارير، لكنه سرعان ما رفع نظره إلى أعلى فى عبوس واضح.

وقال: "أتعلمين ما هو أشد شىء أكرهه فى هذه الوظيفة؟"، أشار إلى كومة الأوراق التى امتلأ بها مكتبه وأردف: "هذه التقارير. كم أود أن أكون الآن فى الشارع، أمارس هوايتى المحببة فى إطلاق النار على المجرمين. أوه، لقد نسيت، أنت مراسلة تليفزيونية، أليس كذلك؟ لا تنقلى عنى ما قلته للتو".

"فات أوان التراجع".

"ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك اليوم يا آنسة إيفانس؟".

"لقد جئت أسألك عن قضية الآنسة جوان سينسى. هل تم تشريح الجثة؟".

قال آبرامز - وهو يخرج بعض الأوراق من درج مكتبه: "مجرد تشريح شكلى".

"أكان هناك أى شىء يثير الشك فى تقرير التشريح؟".

شاهدت دانا التحرى آبرامز وهو يتفحص التقرير بعينيه، قبل أن يقول: "لم يكن هناك آثار كحوليات....أو مخدرات..... أو..."، ثم رفع الرجل نظره إلى أعلى وأردف: "يبدو أن السيدة كانت تشعر بالاكتئاب وقررت أن تنهى حياتها. أهذا كل ما جئت لتسألى عنه؟".

قالت دانا: "نعم".

كانت المحطة التالية هى مكتب التحرى فونيكس ويلسون.

"صباح الخير أيها التحرى ويلسون".

"أى رياح أتت بك إلى مكتبى المتواضع؟".

"كنت أتساءل إن كان هناك أى مستجدات فى قضية مقتل جارى وينثروب".

تنهد التحرى ويلسون وحك جانب أنفه قائلا: "لا أى شيء.كنت أظن أن إحدى اللوحات سوف تظهر خلال هذه الفترة، هذا ما كنا نعول عليه".

أرادت دانا أن تقول: *ما كنت لأعتمد على ظهور إحدى اللوحات، لو أننى فى موضعك*، لكنها أمسكت بلسانها، وأخيرا قالت: "أهناك أى خيوط تسعون خلفها؟".

"لا شيء. لقد فر الجناة بلا أثر.لا يوجد الكثير من حالات سرقة اللوحات الفنية، لكن الأسلوب تقريبا لا يتغير فى كل قضايا سرقة التحف، وهذا ما يثير الدهشة فى هذه القضية".

"يثير الدهشة؟".

"نعم.فهذه القضية مختلفة".

"مختلفة.... كيف؟".

"إن لصوص التحف لا يقتلون الأشخاص غير المسلحين، ولم يكن هناك من سبب يجعل هؤلاء اللصوص يطلقون النار على جارى وينثروب بهذه الوحشية". وتوقف للحظة ثم أردف: "هل لديك اهتمام خاص بتلك القضية؟".

قالت دانا - كاذبة: "كلا، على الإطلاق.مجرد فضول، فأنا...".

قال التحرى ويلسون: "حسنًا. ابقى على اتصال".

عند نهاية أحد الاجتماعات بمكتب الجنرال بوستر فى مقر الوكالة الفيدرالية للأبحاث، التفت الجنرال إلى جاك ستون وقال: "ما هى آخر أخبار دانا إيفانس؟".

"إنها مستمرة فى طرح الأسئلة هنا وهناك، لكنى أعتقد أنه لا خوف منها، فهى لن تصل إلى أى شيء".

"أنا لا يعجبنى تلصصها هنا وهناك.ارفع درجة التعامل معها إلى المستوى الثالث".

"متى تريد أن نبدأ ذلك؟".

"بالأمس".

كانت دانا منهمكة فى إعداد النشرة التالية، عندما دلف مات بيكر إلى حجرة مكتبها وألقى بجسده فوق أقرب مقعد صادفه.

قالت مات: "لقد تلقيت توا مكالمة هاتفية بخصوصك".

قالت دانا مازحة: "يبدو أن المعجبين بى لا ينالون كفايتهم منى، أليس كذلك؟".

"لكن هذا المعجب قد نال كفايته بالتأكيد".

"هكذا؟".

"لقد كانت المكالمة من الوكالة الفيدرالية للأبحاث، وهم يطلبون منك إيقاف تحقيقاتك بشأن تايلور وينثروب - ليس طلبًا رسميًا بالطبع، بل هو ما يطلقون عليه اقتراحا وديًا، ويبدو أنهم يريدون منك الاهتمام بشئونك الخاصة وعدم التدخل فيما لا يعنيك".

قالت دانا وهى تنظر إلى مات: "إنه اقتراح غريب، أليس كذلك؟ إنه يجعل المرء يتساءل عن الدافع إلى ذلك، ألا تتفق معى فى ذلك؟ على العموم، أنا لن أتراجع عن تحقيقاتى لمجرد أن وكالة حكومية قد طلبت منى ذلك.لقد بدأت قضية آل وينثروب فى آسبن، حيث لقى تايلور وينثروب وزوجته مصرعهما فى حريق، ولهذا سوف أذهب إلى هناك أولا. وإذا كانت هناك قصة مثيرة وراء مصرعهما، فسوف تكون أفضل بداية لبرنامج خط الجريمة".

"كم تحتاجين من الوقت؟".

"لن يستغرق الأمر أكثر من يوم أو يومين على الأكثر".

"انطلقى إذن".

١١

كانت أقل حركة تقوم بها ريتشيل تتطلب منها مجهوداً شاقاً، بل إن انتقالها من حجرة إلى أخرى بشقتها في فلوريدا كان أمرا مجهداً للغاية. لم يكن بإمكانها أن تتذكر متى كانت في مثل هذه الحالة من الإرهاق؛ ولهذا ظلت تفكر : *من الأرجح أننى مصابة بفيروس أنفلونزا من نوع غريب لقد كان جيف محقا، يجب أن أذهب إلى طبيب. وربما كنت بحاجة إلى حمام ماء ساخن حتى أسترخى....*

وبينما كانت ريتشيل مسترخية داخل الماء الساخن المنعش فى حوض الاستحمام، مدت يدها إلى صدرها وأحست بوجود ورم.

كانت ردة فعلها الأولى هى الصدمة، ثم الإنكار: *إنه لا شيء. ليس ورماً سرطانياً بالتأكيد، أنا لا أدخن، وأؤدى التمارين الرياضية بانتظام، وأراعى جسدى جيداً. كما لم يكن هناك حالات سرطان فى عائلتى. أنا بخير. سوف أجعل الطبيب يفحصنى، لكنه ليس ورماً سرطانياً.*

خرجت ريتشيل من حوض الاستحمام، وجففت جسدها، ثم أجرت مكالمة هاتفية.

"وكالة بيتى ريتشمان للعارضات".

"أود أن أتحدث إلى بيتى ريتشمان، من فضلك أخبريها أن ريتشيل ستيفنس تطلب التحدث إليها".

بعد لحظة، انطلق صوت بيتى ريتشمان عبر الهاتف: "ريتشيل! كم هو رائع أن أسمع صوتك. هل أنت بخير؟".

"بالطبع أنا بخير. لماذا تسألين؟".

"حسناً، لقد اختصرت رحلة التصوير فى ريو، وظننت أنك ربما تكونين....".

ضحكت ريتشيل وقالت : "كلا، كلا. لقد كنت مرهقة فقط يا بيتى. الآن أنا متلهفة للعودة إلى العمل مجددا".

"هذه أخبار عظيمة. فلقد كان الجميع يحاولون حجزك لجلسات تصوير".

"حسناً، أنا مستعدة. ماذا لديك فى جدول الأعمال؟".

"انتظرى لحظة".

عاد صوت بيتى ريتشمان إلى الهاتف بعد دقيقة : "جلسة التصوير التالية ستكون فى آروبا، وسوف تبدأ فى الأسبوع التالى، وسوف يعطيك هذا وقتا كبيرا للتحضير والراحة. لقد كانوا يطلبونك بالاسم".

"كم أحب آروبا. احجزى لى تلك الجلسة".

"هى لك. أنا سعيدة أنك تشعرين بتحسن".

"أنا بحالة رائعة".

"سوف أرسل لك التفاصيل".

فى الثانية من ظهيرة اليوم التالى، كان لدى ريتشيل موعد مع الدكتور جراهام إلجين.

"مساء الخير يا دكتور إلجين".

"ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك؟".

"لدى كيس دهنى صغير فى ثديى الأيمن وأريد....".

"أوه، هل ذهبت لاستشارة طبيب؟".

"كلا، لكنى أعلم ما هو. إنه مجرد كيس دهنى، فأنا أعرف جسدى جيدا. أريد منك أن تستخدم الجراحة الميكروسكوبية لاستئصاله". ابتسمت ريتشيل ثم أردفت : "أنا عارضة أزياء، ولا يمكننى أن أتحمل وجود ندوب فى جسدى، ولهذا لا أريد للجراحة أن تترك سوى أثر بسيط أستطيع إخفاءه بأدوات التجميل. سوف أسافر إلى آروبا فى الأسبوع القادم، فهل من الممكن أن يتم إجراء الجراحة غدا أو بعد غد؟".

كان الدكتور إلجين يتطلع إليها باهتمام، فقد بدت المرأة فى ظل الموقف الذى تجابهه، هادئة بشكلٍ غير طبيعى، وأخيراً قال الدكتور إلجين : "دعينى أفحصك أولا، وبعدها نجرى فحص أنسجة. وعلى العموم يمكننا إجراء الجراحة خلال هذا الأسبوع، إذا كان ذلك ضروريًا".

تهللت أسارير ريتشيل وقالت : "رائع".

وقف الدكتور إلجين وهو يقول : "هلا ذهبنا لغرفة الفحص؟ سوف أجعل المرضة تحضر لك رداء الفحص".

بعد ربع ساعة، وفى حضور المرضة، كان الدكتور إلجين يتفحص الورم فى ثدى ريتشيل.

"لقد قلت لك يا دكتور، إنه مجرد كيس دهنى".

"حسناً، لكى أتأكد يا آنسة ستيفنس، لابد أن أجرى فحص أنسجة. يمكننى أن أقوم بذلك هنا".

حاولت ريتشيل ألا تجفل عندما أدخل الدكتور إلجين إبرة رفيعة داخل جانب ثديها ليسحب نسيجاً منه.

"لقد انتهينا. لم يكن ذلك صعبا للغاية، أليس كذلك؟".

"كلا. متى سنعرف.....؟".

"سوف أرسل هذه العينة إلى المعمل، وسوف أتمكن من الحصول على التقرير الأولى لفحص الخلايا فى صباح الغد".

ابتسمت ريتشيل وقالت: "حسناً. سوف أذهب إلى المنزل لحزم حقائبى استعدادا للسفر إلى آروبا".

كان أول ما فعلته ريتشيل عندما وصلت إلى شقتها أن أخرجت حقيبتى ملابس ووضعتهما فوق الفراش، ثم توجهت إلى خزانة ملابسها وبدأت فى انتقاء الملابس التى ستأخذها معها فى رحلتها.

دلفت جانيت رودس، المسئولة عن تنظيف الشقة، إلى حجرة نومها.

"آنسة إيفانس، هل ستسافرين مجددا؟".

"نعم".

"والى أين ستذهبين هذه المرة؟".

"آروبا".

"وأين تقع؟".

"إنها جزيرة جميلة فى البحر الكاريبى، فى شمال فنزويلا. إنها أشبه بجنة على الأرض، حيث الشواطئ الرائعة، والفنادق الفخمة، والطعام الاستوائى اللذيذ".

"تبدو مكاناً رائعاً".

"بالمناسبة يا جيانيت، أثناء غيابى، أريدك أن تحضرى ثلاث مرات أسبوعياً لتنظيف الشقة".

"بالطبع يا سيدتى".

فى التاسعة من صباح اليوم التالى، رن جرس الهاتف.

"آنسة ستيفنس؟".

"نعم".

"أنا الدكتور إلجين".

"مرحبا يا دكتور. هلا حددت موعداً لإجراء عملية الاستئصال؟".

"آنسة ستيفنس، لقد تلقيت توًا تقرير فحص الخلايا، وأود منك الحضور إلى عيادتى حتى نستطيع....".

"كلا. أريد أن أعرف نتيجة الفحص الآن يا دكتور".

بدا الدكتور إلجين متردداً قليلاً، قبل أن يقول: "أنا لا أحب أن أتحدث فى هذه الأمور عبر الهاتف، لكنى أخشى أن التقرير الأولى لفحص الأنسجة يظهر أن لديك سرطانًا".

كان جيف منهمكاً فى كتابة عموده الرياضى عندما رن جرس الهاتف، فالتقط سماعة الهاتف وقال: "مرحباً...".

"جيف...." كان صوت ريتشيل، وكانت تبكى.

"ريتشيل، أهذا أنت؟ ماذا أصابك؟ ماذا حدث؟".

"أنا.... أنا مصابة بسرطان فى الثدى".

"آوه، يا الهى ! ما خطورة الحالة؟".

"لا أدرى بعد. لابد أن أجرى أشعة مقطعية على الثدى. جيف، لا يمكننى أن أواجه هذا الأمر بمفردى. أعلم أننى أطلب منك الكثير، لكن هل يمكنك الحضور إلى هنا؟".

"ريتشيل، أنا.... أخشى أننى لن....".

قالت ريتشيل: "فقط ليوم واحد. فقط حتى.... حتى أعرف خطورة الحالة"، ثم انفجرت فى البكاء مجددا.

كان جيف فى حيرة شديدة، وأخيراً قال: "ريتشيل.... سوف أحاول، وسوف أتصل بك لاحقا".

عندما عادت دانا من اجتماع تحضيرى، قالت لسكرتيرتها: "أوليفيا، احجزى لى على الطائرة الصباحية

المتجهة إلى آسبن بولاية كولورادو، واحجزى لى غرفة فى أحد الفنادق، آه، وأريد سيارة مستأجرة أيضاً".

"حسناً. السيد كونورز ينتظر داخل مكتبك".

"شكراً". دلفت دانا إلى الداخل، فرأت جيف يقف أمام النافذة، ناظراً إلى الخارج فى شرود، فقالت: "مرحبا يا عزيزى".

التفت جيف قائلاً: "مرحباً، دانا".

كان هناك تعبير غريب مرسوم على ملامح وجهه، فنظرت إليه دانا بقلق، ثم قالت: "هل أنت بخير؟".

رد جيف بجدية: "هذا السؤال له إجابتان: نعم ولا".

قالت دانا: "اجلس"، ثم اتخذت مقعدا مقابلا له وأردفت: "ما الخطب؟".

أطلق جيف زفيراً قوياً وقال: "ريتشيل مصابة بسرطان الثدى".

شعرت دانا بصدمة بسيطة، وقالت: "أنا.... أنا فى شدة الأسف. هل ستكون بخير؟".

"لقد اتصلت بى هذا الصباح، وقالت إن الأطباء سوف يعلمونها بمدى خطورة الحالة. إنها فزعة للغاية، وتريد منى أن أذهب إلى فلوريدا لكى أساعدها على مواجهة نتيجة الفحوصات، لكنى أردت أن أتحدث إليك أولا".

تحركت دانا نحو جيف ووضعت ذراعيها حوله وهى تقول: "بالطبع لابد أن تذهب"، ثم تذكرت ذلك الغداء الذى تناولته مع ريتشيل واكتشفت من خلاله أنها امرأة رائعة للغاية.

قال جيف: "سأعود خلال يوم أو يومين".

توجه جيف إلى مكتب مات بيكر.

"لدى مسألة طارئة يا مات، ولابد أن أغادر لعدة أيام".

"هل أنت بخير يا جيف؟".

"نعم، الأمر يخص ريتشيل".

"زوجتك السابقة؟".

أومأ جيف وهو يقول : "لقد علمت للتو أنها مصابة بالسرطان".

"أنا آسف للغاية".

"على أى حال، فهى تحتاج إلى بعض الدعم المعنوى. ولهذا أريد أن أسافر إلى فلوريدا فى ظهيرة اليوم".

"اذهب على الفور، وسوف أطلب من مورى فالشتين أن يحل محلك. أخبرنى بمستجدات الأمر".

"سأفعل. شكراً يا مات".

وبعد ساعتين، كان جيف يستقل إحدى الطائرات المتوجهة إلى ميامى.

كان كيمال هو أكبر مشكلة مباشرة تواجهها دانا، ولهذا أخذت تفكر : *لا يمكننى أن أسافر إلى آسبن دون أن أجد شخصا يكون موضع ثقة ليراعى كيمال، لكن من يمكنه أن يتولى التنظيف والغسيل ويراعى أكبر صبى مشاكس فى العالم؟*

اتصلت دانا بباميلا هودسون : "أنا فى شدة الأسف لإزعاجك يا باميلا، لكنى مضطرة لمغادرة المدينة لبعض الوقت، وأحتاج إلى شخص لكى يبقى بصحبة كيمال، فهل تعرفين جليسة أطفال جيدة لديها صبر لا ينفد؟".

ساد الصمت للحظة، ثم قالت باميلا : "لقد تصادف أننى أعرف امرأة بهذه المواصفات - اسمها مارى روين دالى؛ لقد كانت تعمل لدينا منذ سنوات، وهى كنز ثمين. دعينى أعثر عليها وأجعلها تتصل بك".

قالت دانا : "شكراً لك".

بعد ساعة، أتى صوت أوليفيا عبر جهاز الاتصال الداخلى : "هناك امرأة تدعى مارى دالى تتصل بك عبر الهاتف يا دانا".

التقطت دانا سماعة الهاتف وقالت : "السيدة دالى؟".

"نعم، أنا مارى دالى". كان لذلك الصوت الدافئ لكنة ايرلندية مميزة. أردفت المرأة تقول : "لقد أخبرتنى السيدة هودسون بأنك قد تحتاجين إلى شخص ليتولى رعاية ابنك".

قالت دانا : "هذا صحيح. أنا مضطرة لمغادرة المدينة ليوم أو يومين، وكنت أتساءل إن كان بإمكانك الحضور إلى شقتى فى وقت مبكر من صباح الغد - لنقل فى السابعة - حتى يمكننا مناقشة الأمر؟".

"بالتأكيد سوف أحضر، من حسن الحظ أننى متفرغة هذه الأيام".

أعطت دانا العنوان للسيدة دالى.

قالت السيدة دالى : "سأكون هناك يا آنسة إيفانس".

وصلت مارى دالى إلى شقة دانا فى السابعة تماماً من صباح اليوم التالى، وقد بدت امرأة فى الخمسينات ، قصيرة القامة، مكتنزة الحجم، ذات طباع مرحة وابتسامة متألقة. صافحت المرأة يد دانا وهى تقول:

"أنا سعيدة جداً بمقابلتك يا آنسة إيفانس، فأنا أشاهدك على شاشة التلفاز كلما أمكننى ذلك".

"شكرا لك".

"وأين الصبى الذى حدثتنى عنه؟".

نادت دانا : "كيمال".

بعد لحظة، خرج كيمال من غرفته، ثم نظر إلى السيدة دالى، وبدا كأن التعبير المرسوم على وجهه يقول : *يا لها من امرأة غريبة الشكل!*

ابتسمت السيدة دالى وقالت : "اسمك كيمال، أليس كذلك؟ أنا لم أقابل أحداً يحمل هذا الاسم من قبل، تبدو صبياً مشاكساً للغاية"، ثم توجهت إليه وهى تردف : "لابد أن تخبرنى بكل الوجبات المفضلة لديك، فأنا طباخة عظيمة. سوف نقضى وقتاً ممتعاً معاً يا كيمال".

تمتمت دانا سراً: *كم أتمنى ذلك*، ثم قالت : "أخشى أن تكون الشقة صغيرة الحجم، ولهذا فإن ترتيبات النوم سوف....".

ابتسمت السيدة دالى وقالت : "لا تقلقى نفسك بهذا، فسوف تؤدى الأريكة المطوية الغرض".

أطلقت دانا زفرة ارتياح، ونظرت إلى ساعتها، ثم قالت : "لِمَ لا تصاحبيننى فى توصيل كيمال إلى المدرسة؟ ويمكنك أن تأتى لاصطحابه فى الثانية إلا الربع".

"حسنًا".

التفت كيمال ناحية دانا وقال: "سوف تعودين إلىّ يا دانا، أليس كذلك؟".

لفت دانا ذراعيها حوله وقالت: "بالطبع سوف أعود إليك يا عزيزى".

"متى؟".

قالت دانا: "سوف أعود خلال بضعة أيام"، ثم همست لنفسها: *"ومعى بعض الأجوبة"*.

عندما وصلت دانا إلى الاستوديو، وجدت رزمة صغيرة ملفوفة بشكل جميل. نظرت إليها بفضول، ثم فتحتها، فوجدت بداخلها قلماً ذهبياً جميلا، وبجواره بطاقة كتب فوقها: "عزيزتنا دانا، نتمنى لك رحلة آمنة". وكانت البطاقة موقعة باسم *"طاقم العمل"*.

وضعت دانا القلم فى حقيبة يدها وهى تتمتم : *يا له من تصرف نبيل منهم !*

فى نفس الوقت الذى صعدت فيه دانا إلى الطائرة، قام رجل يرتدى ملابس العمال بطرق باب الشقة التى كان يسكن بها آل وارتون، فانفتح الباب ونظر إليه الساكن الجديد، ثم أومأ برأسه وأغلق الباب. تحرك الرجل إلى باب شقة دانا ورن الجرس.

فتحت السيدة دالى الباب ثم قالت : "ماذا تريد؟".

"لقد أرسلتنى الآنسة إيفانس لإصلاح جهاز التلفاز".

"حسناً، تفضل".

ظلت السيدة دالى تراقب الرجل وهو يتجه إلى جهاز التلفاز ويبدأ العمل.

١٢

كانت ريتشيل ستيفنس تقف فى انتظار جيف بمطار ميامى الدولى عندما هبطت طائرته فى أرض المطار.

تمتم جيف سرًا: *يا إلهى، إنها تبدو فى غاية الجمال. لا أصدق أنها مريضة.*

ألقت ريتشيل بذراعيها حوله وهى تقول: "أوه، جيف! شكرًا لك على حضورك".

"تبدين فى غاية الجمال". هكذا قال جيف مطمئنًا، ثم سارا معا إلى السيارة الليموزين التى كانت بانتظارهما.

قال جيف: "سوف تثبت النتائج أنك لا تعانين من شىء خطير. تذكرى كلماتى هذه!".

"بالتأكيد".

وفى الطريق إلى شقة ريتشيل، قالت متسائلة: "وكيف حال دانا؟ ".

تردد جيف فى الجواب، فلم يكن يريد أن يبالغ فى وصف سعادته نظرا للحالة التى تمر بها ريتشيل، ولهذا قال باقتضاب: "بخير".

"أنت محظوظ لأن فى حياتك امرأة مثلها. هل علمت أن لدىّ جلسة تصوير فى آروبا فى الأسبوع القادم؟".

"آروبا؟".

أردفت ريتشيل: "نعم. هل تعلم لماذا قبلت هذه المهمة؟ لأننا قضينا شهر العسل هناك. ماذا كان اسم الفندق الذى نزلنا به حينها؟ ".

"ذى أورنجستيد ".

"لقد كان فندقًا رائعًا، أليس كذلك؟ وماذا كان اسم ذلك الجبل الذى تسلقناه؟ ".

"ذا هويبيرج".

ابتسمت ريتشيل وقالت برقة: "أنت لم تنس، أليس كذلك؟".

"الناس عادة لا ينسون شهر عسلهم يا ريتشيل ".

وضعت ريتشيل يدها فوق ذراع جيف وقالت: "لقد كان شهرًا من النعيم، أليس كذلك؟ لم أر فى حياتى رمال شواطئ بيضاء رائعة بهذا الشكل".

ابتسم جيف وقال: "وكنت تخشين أن تصيب السمرة جسدك، فلففت جسدك كله حتى صرت أشبه بالمومياء الفرعونية".

ساد الصمت بينهما للحظة، ثم قالت ريتشيل: "ذلك من أكثر الأشياء التى أندم عليها يا جيف".

نظر إليها جيف، وهو لا يفهم ماذا تقصد، ثم قال: "ماذا تعنين؟".

"كوننا لم نحظ بـ .... لا تشغل بالك". نظرت إليه ريتشيل وقالت بصوت خافت: "لقد أحببت وجودى معك فى آروبا".

قال جيف محاولاً تغيير الموضوع: "إنه مكان عظيم، وبه الكثير من الأنشطة؛ كصيد السمك، وركوب الزوارق الشراعية، والغطس، ولعب التنس والجولف ....".

"والتى لم يكن لدينا وقت لنمارس أيًّا منها، أليس كذلك؟".

قال جيف ضاحكاً: "كلا".

"سوف أجرى أشعة مقطعية على الثدى فى صباح الغد، ولا أريد أن أكون بمفردى عندما يقومون بذلك. فهلا أتيت معى؟ ".

"بالطبع يا ريتشيل".

عندما وصلا إلى شقة ريتشيل، حمل جيف حقائبه إلى حجرة المعيشة الواسعة، وأخذ يتطلع إلى المكان من حوله قائلا: "لطيف.... لطيف للغاية ". لفت ريتشيل ذراعيها حوله وقالت: "شكرا لك يا جيف ".

وكان بإمكانه أن يشعر بجسدها وهو يرتجف.

تم إجراء الأشعة المقطعية فى مركز تاور للأشعة بوسط مدينة ميامى، وقد انتظر جيف بصالة الاستراحة، بينما اصطحبت إحدى الممرضات ريتشيل إلى غرفة جانبية لترتدى رداء الكشف، ثم رافقتها إلى حجرة الكشف بأشعة إكس.

قالت الممرضة: "سوف تستغرق المسألة ما يقرب من ربع ساعة يا آنسة ستيفنس، هل أنت مستعدة؟".

"نعم، متى سأحصل على النتائج؟".

"لابد أن يقوم اختصاصى الأورام بإبلاغك بالنتائج، ومن المفترض أن يحصل عليها فى الغد".

الغد.

كان اختصاصى الأورام يدعى سكوت يونج، وقد دلف جيف وريتشيل إلى حجرة مكتبه وجلسا.

نظر الطبيب إلى ريتشيل للحظة ثم قال: "أخشى أننى أحمل لك أنباء سيئة يا آنسة ستيفنس".

قبضت ريتشيل على يد جيف بقوة وهى تقول: "ماذا؟".

"إن نتائج فحص الأنسجة والأشعة المقطعية تثبت أن لديك ورمًا سرطانيًا متأصلاً".

شحب وجه ريتشيل شحوب الموتى وهى تقول: "ماذا .... ماذا يعنى هذا؟".

"أخشى أنه يعنى أنك بحاجة إلى استئصال الثدى".

"كلا ! "خرجت الكلمة من فم ريتشيل غريزيًا، قبل أن تردف: "لا يمكنك أن تفعل ذلك .... أقصد لابد أن هناك وسيلة أخرى".

قال الدكتور يونج برقة: "أخشى أن الورم قد تغلغل بشدة داخل الأنسجة".

صمتت ريتشيل للحظة، ثم قالت: "لا يمكننى أن أجرى الجراحة على الفور، من المفترض أن أقوم بجلسة تصوير فى آروبا فى الأسبوع القادم، يمكننى أن أجريها بعد ذلك".

كان جيف يدرس التعبير القلق الذى ارتسم على وجه الطبيب، ثم قال: "متى تقترح أن نجرى الجراحة يا دكتور يونج؟ ".

التفت الطبيب إلى جيف وقال: "فى أسرع وقت ممكن".

نظر جيف إلى ريتشيل. كانت ريتشيل تحاول جاهدة ألا تبكى، وعندما تحدثت، خرج صوتها مرتجفا: "أود أن أستشير طبيبًا آخر".

"بالطبع".

قال الدكتور آرون كاميرون: "أخشى أننى قد توصلت إلى نفس الرأى الذى أخبركما به الدكتور يونج. ولهذا فأنا أوصى بإجراء عملية استئصال".

حاولت ريتشيل أن تحتفظ بصوتها متزنا وهى تقول: "شكرا لك يا دكتور"، ثم أمسكت بيد جيف وضغطتها بقوة وهى تردف: "أظن أنه لا مفر من الأمر، أليس كذلك؟".

كان الدكتور يونج بانتظارهما.

قالت ريتشيل: "يبدو أنك على حق. أنا فقط لا أستطيع أن....

"توقفت ريتشيل وساد الصمت للحظات طويلة حزينة، وأخيرًا قالت بصوت هامس: "حسنًا. إذا كنت واثقا أنه .... أنه أمر ضرورى".

قال الدكتور يونج: "سوف نجعلك مرتاحة على قدر المستطاع. وقبل أن أجرى الجراحة، سوف أحضر لك جراح تجميل لكى يناقش معك إجراء جراحة تجميلية لإعادة تشكيل الثدى. فبإمكاننا أن نصنع معجزات هذه الأيام".

وضع جيف ذراعه حول ريتشيل حينما انخرطت فى بكاء شديد.

لم تكن هناك رحلات مباشرة من مدينة واشنطن إلى آسبن. لذا استقلت دانا طائرة شركة دلتا إيرلاينز إلى دينفر، وهناك استقلت طائرة شركة يونيتد إكسبريس. ولاحقا، لم تعد تذكر أى شىء عن رحلة الطيران، حيث انشغل عقلها بأفكار عن ريتشيل وعن العذاب الذى لابد أنها تخوضه الآن. ولهذا تقول: *أنا سعيدة لأن وجود جيف هناك سوف يخفف عنها الأمر.* وكما كانت دانا تشعر بالقلق حيال كيمال، وكانت تقول لنفسها: *ماذا لو تركت السيدة دالى الشقة قبل أن أعود؟ يجب أن ....*

انساب صوت مضيفة الطائرة عبر مكبرات الصوت: "سوف تهبط الطائرة فى آسبن خلال بضع دقائق. رجاء ربط أحزمة المقاعد والتأكد من إرجاع المقعد إلى الوضع العمودى".

وبدأت دانا تركز على المهمة الغامضة التى تنتظرها.

دلف إيليوت كرومويل إلى حجرة مكتب مات بيكر وهو يقول: "بلغنى أن دانا لن تذيع النشرة الليلة!".

"هذا صحيح .لقد سافرت إلى آسبن".

"لمتابعة نظريتها حول مصرع تايلور وينثروب؟".

"نعم".

"أريدك أن تبلغنى بأية مستجدات".

"بالتأكيد"، هكذا رد مات وهو يشاهد إيليوت كرومويل يغادر مكتبه، ثم قال لنفسه: *إنه مهتم كثيرا بشئون دانا.*

عندما غادرت دانا الطائرة، توجهت على الفور إلى مكتب تأجير السيارات. وداخل صالة المطار، كان الدكتور كارل رامسى يصيح فى وجه الموظف الذى يجلس خلف الشباك: "لكننى قمت بحجز سيارة منذ أسبوع مضى".

قال الموظف بنبرة اعتذار: "أعلم ذلك يا دكتور رامسى، لكن أخشى أنه قد حدث نوع من اللبس، وليس لدينا أى سيارات متاحة، على أى حال، هناك حافلة المطار، أو يمكننى أن أطلب سيارة أجرة من أجل....".

قال الدكتور: "لا تتعب نفسك". ثم اندفع إلى الخارج.

دلفت دانا إلى صالة الانتظار بالمطار، ثم سارت إلى مكتب تأجير السيارات، وقالت لموظف التسجيل: "لدىّ حجز باسم دانا إيفانس".

ابتسم الموظف وقال: "نعم، آنسة إيفانس. لقد كنا نتوقع وصولك". وأعطاها الموظف استمارة لتوقعها، وناولها سلسلة من المفاتيح قائلا: "إنها سيارة ليكساس بيضاء، وسوف تجدينها فى ساحة الانتظار رقم واحد".

"شكرًا لك. هل يمكنك أن تخبرنى كيف أصل إلى فندق ليتل نيل؟".

"لن تجدى صعوبة فى العثور عليه، فهو يقع فى وسط المدينة تمامًا، فى ٦٧٥ شارع إيست دورانت آفينو، أنا واثق بأن الإقامة بالفندق سوف تروق لك".

قالت دانا: "شكرا لك".

ظل الموظف يتطلع إليها وهى تخرج من الباب، ثم تمتم متعجبا: *ما الذى يحدث بحق السماء؟.*

كان فندق ليتل نيل مبنيًا على طراز شاليه فخم، فى أحضان سفوح جبال آسبن الساحرة، وكانت بردهته مدفأة تمتد من الأرضية حتى السقف، تحترق بها كتل الخشب طوال الشتاء، ونوافذ عريضة تطل على سلسلة جبال روكى المغطاة بالثلوج. وكان الضيوف يجلسون باسترخاء فوق الأرائك والمقاعد كبيرة الحجم، مرتدين ملابس التزلج الكاملة. نظرت دانا فى أرجاء المكان وأخذت تفكر: *سوف يحب جيف هذا المكان. ربما يجب أن نقضى إجازة هنا...*

عندما انتهت دانا من تسجيل الحجز، قالت لموظف الاستقبال: "هل تعرف أين يقع منزل تايلور وينثروب؟".

نظر إليها الموظف باستغراب وقال: "منزل تايلور وينثروب؟ لم يعد للمنزل وجود، لقد احترق عن آخره".

قالت دانا: "أعرف ذلك. لقد أردت فقط أن أرى ....".

"لا يوجد هناك سوى أكوام من الركام. لكن إذا أردت أن تريه، فعليك التوجه شرقا إلى وادى كونوندروم كريك، على بعد ستة أميال من هنا".

قالت دانا: "شكرًا لك. هلا طلبت من أحدهم نقل حقائبى إلى غرفتى من فضلك؟".

"بالتأكيد يا آنسة إيفانس".

وتوجهت دانا إلى السيارة مجددًا.

كان موقع منزل تايلور وينثروب، فى وادى كونوندروم كريك، محاطا بأراضى الغابات المحلية. وقد كان المنزل عبارة عن مسكن من طابق واحد، مبنى بخليط من الطوب اللبن والطوب الأحمر، فى موقع جميل معزول عن الأعين، وكانت به بركة

كبيرة تمتلئ بحيوان القندس وجدول صغير يجرى داخل الأراضى المحيطة به. كان المنظر بديعًا، وفى وسط كل هذا الجمال، وفيما يشبه الندبة الغائرة، كانت هناك البقايا المحترقة لذلك المنزل الذى لقى فيه اثنان من البشر مصرعهما.

تجولت دانا فى أرجاء المكان، وهى تتخيل ما كان يوجد به من قبل. من الواضح أنه كان منزلاً شاسعًا من طابق واحد، ولابد أنه كان يحتوى على الكثير من الأبواب والنوافذ فى طابقه الأرضى الوحيد.

ومع ذلك، لم يتمكن آل وينثروب من الفرار من خلال أى من تلك الأبواب أو النوافذ، ولهذا تمتمت دانا: *أظن أنه من الأفضل أن أزور إدارة المطافئ.*

• • •

عندما دلفت دانا إلى داخل محطة الإطفاء، اقترب منها أحد الرجال فى الثلاثينات من العمر، وكان طويلاً، أسمر البشرة، رياضى البنية، مما جعل دانا تتمتم: *لعله يعيش فوق منحدرات التزلج.*

"هل يمكننى مساعدتك؟".

قالت دانا: "لقد قرأت عن حادث احتراق منزل تايلور وينثروب، وكنت أشعر بالفضول تجاه الأمر".

"نعم، لقد كان ذلك منذ عام مضى، ولعله أسوأ حادث مأساوى شهدته هذه المدينة".

"فى أى وقت من اليوم نشب الحريق؟".

لو أن الرجل قد ظن سؤالها غريبًا، فهو لم يظهر ذلك على الإطلاق، بل قال بهدوء: "لقد نشب الحريق فى منتصف الليل، ولقد تلقينا اتصال الاستغاثة فى الثالثة صباحا، ووصلت عربات الإطفاء إلى هناك فى تمام الثالثة والربع. لكن كان الأوان قد فات. لقد كان المنزل يحترق كشعلة ملتهبة، ولم نعرف بوجود أحد

بالداخل حتى انتهينا من إخماد الحريق، ووجدنا جثتين بداخل المنزل .صدقينى، لقد كانت لحظة تفطر القلوب".

"ألديك أى فكرة عن سبب نشوب الحريق؟".

أومأ الرجل برأسه وقال: "آوه، نعم. لقد كان بسبب عطل كهربى".

"أى نوع من الأعطال الكهربية؟"

"لا ندرى تحديدًا، لكن قبل يوم من الحريق، اتصل أحدهم من المنزل يستدعى كهربائيًا لإصلاح العطل".

"لكنك لا تعلم ماذا كان ذلك العطل تحديداً؟".

"أعتقد أنه كان هناك عطل بنظام الإنذار ضد الحريق".

حاولت دانا أن تطرح سؤالها التالى بطريقة عابرة، فقالت: "وذلك الكهربائى الذى ذهب لإصلاح العطل ... هل تعرف اسمه؟".

"كلا، لكن أظن أن الشرطة لديها اسمه".

"شكرا لك".

نظر الرجل إلى دانا بفضول وقال: "ولماذا تهتمين بهذه المسألة؟".

قالت دانا بلهجة جادة: "إننى أكتب مقالا عن الحرائق التى شبت فى منتجعات التزلج الموجودة فى أرجاء البلاد".

كانت إدارة شرطة آسبن عبارة عن مبنى من طابق واحد، مشيد بالطوب الأحمر، ويقع على بعد بضعة مربعات سكنية من الفندق الذى تنزل به دانا.

رفع ضابط الاستقبال نظره إلى أعلى وقال متعجبا: "ألست دانا إيفانس، مذيعة التلفاز؟".

"نعم".

"أنا النقيب تيرنر. ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك يا آنسة إيفانس؟".

"لدى فضول تجاه ذلك الحريق الذى قضى على حياة تايلور وينثروب وزوجته".

"يا إلهى، لقد كانت مأساة مروعة. إن سكان المدينة لا يزالون فى حالة صدمة".

"يمكننى تفهم ذلك".

"نعم. من المؤسف أن رجال الإطفاء لم يتمكنوا من إنقاذهما ".

"لقد علمت أن الحريق قد نشب نتيجة لعطل كهربى، أهذا صحيح؟".

"نعم، هذا صحيح".

"أمن الممكن أن يكون حريقًا متعمدًا؟".

تجهم النقيب تيرنر وهو يقول: "حريق متعمد؟ كلا، كلا. لقد نشب الحريق نتيجة لخلل كهربى".

"أود أن أتحدث إلى الكهربائى الذى ذهب لإصلاح العطل الكهربى قبل يوم من نشوب الحريق. هل لديك اسمه؟".

"أنا واثق من وجوده بالملفات الخاصة بالحادث. أتريدين أن أتحقق لك منه؟".

"سوف أقدر لك هذا".

التقط النقيب تيرنر سماعة الهاتف وتحدث عبرها بشكل مقتضب، ثم التفت إلى دانا وسألها: "أهذه أول زيارة لك إلى آسبن؟".

"نعم".

"إنه مكان عظيم، هل تمارسين التزلج؟".

قالت دانا: "كلا "مع أنها أرادت أن تضيف: *لكن جيف يمارسه، وعندما نأتى إلى هنا معًا، سوف ....*

قطع استرسال أفكارها دخول أحد الموظفين، والذى سرعان ما ناول النقيب تيرنر ورقة مطبوعة، ومررها بدوره إلى دانا. كانت الورقة تحمل تلك الكلمات: *شركة آل لارسون الكهربية ـ بيل كيلى.*

"مقر الشركة فى نهاية الشارع".

"شكرا جزيلاً أيها النقيب تيرنر".

"كان ذلك من دواعى سرورى".

وبينما كانت دانا تغادر مبنى إدارة الشرطة، استدار رجل يقف فى الناحية الأخرى من الشارع، وأخذ يتحدث عبر هاتفه المحمول.

كانت شركة آل لارسون الكهربية تقع فى مبنى أسمنتى صغير الحجم مطلى باللون الرمادى. وكان هناك رجل شديد الشبه برجل محطة الإطفاء - فى سمرة وجهه وبنيته الرياضية - يجلس خلف مكتب صغير، لكنه سرعان ما هب واقفا عندما دلفت دانا إلى الداخل.

"صباح الخير".

قالت دانا: "صباح الخير. أود أن أتحدث إلى بيل كيلى من فضلك".

ابتسم الرجل وقال: "وأنا أيضا أود ذلك".

"عذرا؟".

"لقد اختفى كيلى منذ ما يقرب من عام".

"اختفى؟".

"نعم، غادر المكان دون أن يودع أحدًا، أو حتى يمر بالشركة ليتقاضى راتبه".

قالت دانا ببطء: "هل تتذكر متى حدث ذلك تحديدا؟".

"بالتأكيد أتذكر. لقد كان ذلك فى صباح اليوم التالى لاندلاع الحريق .... ذلك الحريق الكبير الذى راح ضحيته آل وينثروب".

شعرت دانا بجسدها يرتجف، لكنها قالت بهدوء: "هكذا، ألا توجد لديك أى فكرة عن مكان السيد كيلى؟".

"كلا، كما قلت لك، لقد اختفى".

كانت تلك الجزيرة المنعزلة بشمال قارة أمريكا الجنوبية تضج طيلة الصباح بأصوات العديد من الطائرات النفاثة التى تصل إليها، والآن حان وقت الاجتماع، وقد جلس المشتركون، الذين بلغوا نيفا وعشرين رجلا، داخل مبنى حديث البناء، عليه حراسة مشددة، والذى من المفترض أن يتم تفجيره بعد نهاية الاجتماع تماما. تقدم المتحدث إلى مقدمة الحجرة.

"مرحبًا، لا أستطيع أن أصف لكم مقدار سعادتى وأنا أشاهد كل تلك الوجوه المألوفة، وكذلك بعض الأصدقاء الجدد. قبل أن نبدأ فى مناقشة جدول الأعمال، أود أن أشير إلى أن بعضًا منكم يشعر بالقلق حيال مشكلة طرأت، وهى وجود خائن بيننا، وهو ما يهدد بفضح أمرنا. ورغم أننا لا نعلم شخصية ذلك الخائن بعد، فإننى أحب أن أؤكد لكم أننا سنكتشفه ونقبض عليه سريعا، وأنه سوف يلاقى مصير الخونة - فلا يوجد شىء أو شخص يمكنه أن يعترض طريقنا".

صدرت عن الحضور بعض همهمات الاندهاش.

وأكمل المتحدث يقول: "والآن، دعونا نبدأ مزادنا الصامت. هناك ست عشرة رزمة اليوم. لنبدأ المزاد بمليارين من الدولارات. هل هناك مزايدة أولى؟ نعم. مليارا دولار. هل هناك عرض بثلاثة مليارات؟".

١٣

عندما عادت دانا إلى غرفتها بالفندق في تلك الليلة، توقفت وهي تشعر بخطر مفاجئ. كان كل شيئًا يبدو كما تركته، ومع ذلك.... كان لديها إحساس بأن هناك شيئًا مختلفًا. هل عبث أحدهم بمتعلقاتها؟ أخذت دانا تتمتم بسخرية: *أهو وقت الذعر غير المبرر يا دانا؟* ثم التقطت سماعة الهاتف واتصلت بشقتها.

أجابت السيدة دالي على الهاتف: "هذا منزل آل إيفانس. مرحبًا بك".

تمتمت دانا: *حمدًا لله أنها لا تزال هناك،* ثم قالت عبر الهاتف: "سيدة دالي؟".

"آنسة إيفانس!".

"مساء الخير. كيف حال كيمال؟".

"حسنًا، أحيانًا يتصرف كشيطان صغير، لكنني أستطيع التعامل معه. لقد كان أولادي على نفس الشاكلة".

"إذن فكل الأمور.... على ما يرام؟".

"أوه، نعم".

أطلقت دانا تنهيدة ارتياح وقالت: "هل يمكنني التحدث إليه؟".

"بالتأكيد". سمعتها دانا وهي تنادي: "كيمال، والدتك على الهاتف".

بعد لحظة آتى صوت كيمال عبر الهاتف: "مرحبًا يا دانا".

"مرحبًا يا كيمال. كيف حالك يا صديقي العزيز؟".

"رائع".

"وكيف حال المدرسة؟".

"لا بأس بها".

"وهل تتعامل مع السيدة دالي بشكل لطيف؟".

"نعم، فهي رائعة".

تمتمت دانا سرًا: *إنها أكثر من رائعة. إنها معجزة.*

"متى ستعودين إلى المنزل يا دانا؟".

"سوف أعود في الغد. هل تناولت عشاءك؟".

"نعم. ولم يكن سيئًا في الواقع".

كانت دانا على وشك أن تقول: *أمتأكد أنك كيمال حقا؟* فلقد كانت في غاية السعادة وهي ترى ذلك التغيير الذي طرأ عليه.

"حسنا يا عزيزي، سوف أراك غدًا. طابت ليلتك".

"طابت ليلتك يا دانا".

بينما كانت دانا تستعد للدخول إلى الفراش، رن جرس هاتفها المحمول، فالتقطته وهي تجيب: "مرحبًا".

"دانا؟".

شعرت دانا بموجة من السعادة تجتاحها، فقالت: "جيف! أوه، جيف!" وأخذت تبارك ذلك اليوم الذي اشترت فيه ذلك الهاتف المحمول الدولي.

"كان لابد أن أتصل بك لأخبرك أني مشتاق إليك بشدة".

"وأنا أيضًا مشتاقة إليك. هل أنت في فلوريدا؟".

"نعم".

"وكيف تسير الأمور هناك؟".

"ليست بخير". أحست دانا بالتردد في نبرات صوته وهو يردف: "في الواقع، إن الأمور سيئة للغاية، فمن المفترض أن تخضع ريتشيل غدا لعملية استئصال للثدي".

"أوه، كلا!".

"وهي غير قادرة على تقبل الأمر".

"أنا في شدة الأسف".

"أعلم ذلك. يا له من حظ عثر. حبيبتي، أنا لا أطيق صبراً حتى أعود إليك. هل أخبرتك يوماً أنني مجنون بك؟".

"وأنا مجنونة بك أيضا يا حبيبي".

"أهناك ما تحتاجين إليه يا دانا؟".

كادت دانا أن تقول: *أنت*، لكنها ردت: "كلا".

"وكيف حال كيمال؟".

"إنه متأقلم جيداً مع جليسة الأطفال الجديدة، ويبدو أنها قد حازت على إعجابه".

"يا لها من أخبار عظيمة. أنا لا أطيق الانتظار حتى يجتمع ثلاثتنا مجددا".

"وكذلك أنا".

"احترسي لنفسك".

"سأفعل. لا يمكنني أن أخبرك كم أشعر بالأسف من أجل ريتشيل".

"سوف أنقل إليها شعورك. ليلة هانئة يا حبيبتي".

"ليلة هانئة يا عزيزي".

فتحت دانا حقيبة ملابسها والتقطت قميصا لجيف كانت قد أخذته من الشقة، وارتدته أسفل رداء نومها واحتضنته بيديها في سعادة. *ليلة هانئة يا عزيزي.*

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، استقلت دانا طائرة العودة إلى واشنطن. وعندما وصلت، توجهت إلى شقتها أولاً قبل الذهاب إلى الاستوديو، واستقبلتها السيدة دالي، المبتهجة دوماً.

قالت السيدة دالي: "كم أنا سعيدة للغاية بعودتك يا آنسة إيفانس. إن صبيك هذا يرهقني بشدة"، لكنها نطقت الجزء الأخير وهي تغمز بعينها.

"أتمنى ألا يكون كيمال قد سبب لك الكثير من المتاعب".

"متاعب؟ على الإطلاق. أنا مسرورة للغاية من توافقه السريع مع الذراع الجديدة".

نظرت إليها دانا باندهاش وقالت: "هل صار يرتدي الذراع الآن؟".

"بالطبع. إنه يرتديها وهو ذاهب إلى المدرسة".

قالت دانا: "هذا رائع. أنا سعيدة جداً بذلك". ثم نظرت إلى ساعتها وأردفت: "يجب أن أذهب إلى الاستوديو، وسوف أعود في الظهيرة لكي أرى كيمال".

"سوف يسعد كثيراً برؤيتك، فلقد كان يفتقدك كثيراً، كما تعلمين. اذهبي الآن، وسوف أفرغ الحقائب من أجلك".

"شكراً لك، سيدة دالي".

• • •

كانت دانا تجلس في حجرة مكتب مات بيكر، تخبره بما علمته أثناء رحلتها إلى آسبن.

وكان مات بيكر ينظر إليها في تشكك وهو يقول: "أتقولين إن الكهربائي قد اختفى في صباح اليوم التالي من نشوب الحريق؟".

"دون أن يتسلم راتبه".

"وأنه قد ذهب إلى منزل آل وينثروب في اليوم السابق لنشوب الحريق!".

"نعم".

هز مات بيكر رأسه وقال: "لقد صارت تلك القضية أشبه بحكاية أليس فى بلاد العجائب، إنها تزداد غموضاً وإثارة للفضول يوماً بعد يوم".

"مات، لقد كان بول وينثروب هو ثانى فرد فى العائلة ـ بعد والديه ـ يتعرض لحادث غامض أودى بحياته. فلقد لقى مصرعه فى فرنسا بعد وقت قليل من الحريق الذى أودى بحياة والديه، ولهذا أود أن أتوجه إلى هناك. أريد أن أرى إذا كان هناك أى شهود على حادث الدراجة البخارية الذى لقى فيه مصرعه".

قال مات: "حسناً". ثم أردف: "لقد كان إيليوت كروموبل يتحدث عنك، ويريد منك أن تحترسى لنفسك".

ردت دانا: "أنا أيضاً أريد ذلك".

عندما عاد كيمال من المدرسة، كانت دانا بانتظاره. كان كيمال يضع ذراعه الجديدة، وقد بدا لدانا أنه يتصرف بشكل أكثر هدوءًا.

ألقى كيمال بنفسه بين ذراعى دانا وهو يقول: "لقد عدت".

"مرحباً يا عزيزى، لقد اشتقت إليك كثيراً، كيف حال المدرسة؟".

"ليست سيئة. وكيف كانت رحلتك؟".

"لقد كانت رحلة جيدة، ولقد أحضرت لك هدية"، ثم ناولته حقيبة مدرسية مصنوعة من الصوف الذى يغزله الهنود الحمر يدويا، وحذاءً جلدياً كانت دانا قد ابتاعته فى آسبن. كانت دانا تعرف أن الجزء التالى من الحديث سيكون صعبًا، لكنه لا مهرب منه، فقالت: "كيمال، أخشى أننى سوف أضطر إلى السفر مجدداً لبضعة أيام".

أعدت دانا نفسها لردة فعلها الغاضبة، لكن كل ما قاله كيمال هو: "حسناً" بلا أى إشارات لموجة غضب عارمة.

قالت دانا: "سوف أحضر معى هدية لطيفة لك".

"هدية عن كل يوم تغيبين عنى فيه؟".

ابتسمت دانا وقالت: "من المفروض أنك فى المدرسة الإعدادية، لا فى كلية الحقوق".

كان الرجل يجلس باسترخاء فى كرسى ذى مسندين، وأمامه شاشة التلفاز، وبيده كأس من الشراب. وعلى شاشة التلفاز، ظهرت دانا وكيمال وهما يجلسان على طاولة العشاء بينما كانت السيدة دالى تقدم لهما ما بدا شبيهاً باليخنة الأيرلندية.

قالت دانا: "يا له من صنف لذيذ".

"شكراً لك، أنا سعيدة أنها قد راقت لك".

قال كيمال: "لقد أخبرتك أنها طباخة ماهرة".

بدا الأمر للرجل وكأنه يجلس معهم فى نفس الغرفة، وليس مجرد أنه يراقبهم من الشقة المجاورة لهم.

قالت دانا: "أخبرنى عن المدرسة يا كيمال".

"أنا أحب مُدَرِّسىّ الجدد، وخصوصا مدرسة الرياضيات فهى رائعة....".

"هذا عظيم".

"والصبية أكثر لطفاً فى هذه المدرسة. إنهم يعتقدون أن ذراعى الجديدة رائعة".

"أنا واثقة من أنهم يعتقدون ذلك".

"هناك فتاة جميلة للغاية فى فصلى، وأظن أنها معجبة بى؛ اسمها ليزى".

"أتعجبك تلك الفتاة يا عزيزى؟".

"نعم، فهى لطيفة للغاية".

إن كيمال يكبر، هكذا فكرت دانا وقد اعتراها إحساس مفاجئ بالحيرة. وعندما حان وقت النوم، توجه كيمال إلى فراشه، واتجهت دانا إلى المطبخ لترى السيدة دالى.

قالت دانا: "إن كيمال يبدو في غاية....الهدوء، أنا لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى تقديرى لما تقومين به".

ابتسمت السيدة دالى وقالت: "بل أنت التى تسدين لى معروفا. إننى أشعر كأننى أربى أحد أولادى من جديد. لقد كبروا جميعا الآن، كما تعلمين. إلى جانب أننى أقضى مع كيمال وقتا رائعا".

"أنا سعيدة بذلك".

انتظرت دانا حتى منتصف الليل، وعندما لم يتصل جيف، أوت إلى فراشها حيث بلغ الأرق منها مبلغه، وظلت تتقلب فى فراشها وهى تتساءل ماذا يفعل جيف الآن، وما إذا كان يقضى أوقاتا عاطفية مع ريتشيل أم لا، لكنها كانت تشعر بالخجل من تلك الأفكار التى تراودها.

اتصل الرجل المقيم بالشقة المجاورة لكى يقدم تقريره الذى تلخص فى كلمات ثلاث: "كل شيء هادئ".

رن جرس هاتف دانا المحمول.

"حبيبى جيف، أين أنت؟".

"أنا فى مستشفى دكتورز هوسبيتال فى فلوريدا. لقد انتهت عملية استئصال الثدى، لكن إخصائى الأورام ما زال يجرى بعض الفحوصات".

"آوه، جيف. أتمنى ألا يكون الورم قد انتشر".

"أتمنى ذلك أيضا. تريد منى ريتشيل أن أبقى معها لعدة أيام، ولكنى أردت أن أسألك إذا....".

"يجب أن تظل معها بالطبع".

"سوف أبقى لمدة قصيرة فقط، وسوف أتصل بمات بيكر وأخبره، هل هناك أية أحداث مثيرة هناك فى واشنطن؟".

كانت دانا على وشك أن تخبر جيف بما حدث فى آسبن وباعتزامها استكمال التحقيقات، لكنها قالت لنفسها: *إن لديه ما يكفيه من الانشغال*، ولذلك أجابت باقتضاب: "كلا، كل الأمور هادئة".

"بلغى تحياتى إلى كيمال، وكل الحب لك يا حبيبتى".

وضع جيف سماعة الهاتف، وحضرت إليه إحدى الممرضات.

"سيد كونورز؟ الطبيب يونج يود رؤيتك".

قال الطبيب يونج لجيف: "لقد جرت العملية بنجاح، لكنها ستحتاج إلى الكثير من المساندة العاطفية، وذلك لأنها ستشعر بأنها قد صارت امرأة غير مكتملة. عندما تفيق من تأثير المخدر، سوف تصاب بالذعر، ويجب عليك أن تجعلها تعلم أن شعورها بالخوف أمر طبيعى".

قال جيف: "أنا أتفهم الأمر".

"وسوف يعاودها الشعور بالخوف والاكتئاب عندما نبدأ فى العلاج الكيماوى من أجل محاولة منع انتشار الورم، وربما يكون لذلك تأثير نفسى سيئ للغاية".

جلس جيف فى مقعده، وهو يفكر فيما ينتظره فى الأيام المقبلة.

قال الطبيب يونج: "هل لدى الآنسة ستيفنس من يرعاها ويعتنى بها؟".

"أنا" هكذا قال جيف، وقد أدرك أن ريتشيل ليس لها غيره بالفعل.

مرت رحلة طائرة إير فرانس المتجهة إلى نيس دون متاعب تذكر، فقد فتحت دانا جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها

لكى تعيد فحص المعلومات التى حصلت عليها حتى الآن، وخلصت إلى أن ما جمعته، وإن كان مثيرا للاهتمام، إلا أنه غير حاسم. ولهذا ظلت تقول لنفسها: *الدليل؛ لا توجد قصة جيدة بدون دليل. إذا استطعت أن....*

"رحلة لطيفة، أليس كذلك؟".

التفتت دانا إلى الرجل الجالس فى المقعد المجاور لها، وكان رجلاً طويلاً، جذاب الملامح، ويتحدث بلكنة فرنسية.

"نعم، إنها كذلك".

"هل سافرت إلى فرنسا من قبل؟".

قالت دانا: "كلا، هذه هى رحلتى الأولى".

ابتسم الرجل وقال: "أوه، تنتظرك رحلة رائعة بالتأكيد. فرنسا بلد ساحر". ازدادت ابتسامة الرجل وهو يميل مقترباً منها ثم قال: "هل لديك أصدقاء لكى يصحبوك فى جولة بالبلاد؟".

قالت دانا: "سوف يكون زوجى وأبنائى الثلاثة بانتظارى فى المطار".

"يا للخسارة". هكذا قال الرجل وهو يومئ برأسه، ثم استدار مبتعداً، والتقط نسخته من مجلة فرانس ـ سوار.

عادت دانا مجدداً إلى جهاز الكمبيوتر، وقد التقطت عيناها مقالاً مثيراً، لقد كان لدى بول وينثروب ـ الذى لقى مصرعه فى حادث سيارة ـ هواية محببة.

كان يهوى سيارات السباق.

• • •

عندما هبطت طائرة شركة إير فرانس فى مطار نيس، دلفت دانا إلى صالة الوصول المزدحمة، وتوجهت إلى مكتب إيجار السيارات، وقالت للموظف: "اسمى دانا إيفانس، وهناك....".

رفع الموظف عينيه إلى أعلى وقال: "آوه ! آنسة إيفانس، إن سيارتك جاهزة"، ثم ناولها استمارة وهو يردف: "فقط، وقعى هنا".

تمتمت دانا سراً: *هذه هى خدمة العملاء بحق*، ثم قالت للموظف: "سوف أحتاج إلى خريطة لجنوب فرنسا، هل تصادف أن يكون لديك....؟".

"بالطبع يا آنستى"، هكذا رد الموظف بسرعة وهو يمد يده خلف طاولة مكتبه ويختار إحدى الخرائط، ثم قال بالفرنسية: "ها هى ذى. تفضلى"، ثم وقف خلف مكتبه، يتطلع إلى دانا وهى تغادر المكان.

فى برج التنفيذيين الخاص بشبكة (دبليو. تى.إن)، كان إيليوت كرومويل يقول: "أين دانا الآن يا مات؟".

"فى فرنسا".

"هل تحرز أى تقدم فى تحقيقاتها؟".

"ما زال الوقت مبكرا جداً".

"أنا أشعر بالقلق حيالها، وأعتقد أنها تسافر أكثر من اللازم. إن السفر فى هذه الأيام قد صار أمراً خطيراً". تردد قليلاً قبل أن يردف: "خطيراً جداً".

كان هواء نيس بارداً ومنعشاً، وقد ظلت دانا تتساءل عن حالة الجو فى اليوم الذى قتل فيه بول وينثروب. استقلت دانا السيارة الستروين التى كانت بانتظارها، وبدأت تقودها فوق الطريق الساحلى، وقد مرت بتلك القرى الصغيرة ذات المناظر الخلابة، التى انتشرت على طول الشريط الساحلى.

كان الحادث قد وقع فى الشمال من بيوسوليل، على الطريق السريع؛ فى روكوبرون ـ كاب ـ مارتين، وهو منتجع سياحى يطل على البحر المتوسط.

بينما كانت دانا تقترب من القرية، أبطأت الخطى. وهى تتطلع إلى المنعطفات الحادة شديدة الانحدار، وتتساءل، أيًا منها هو الذى سقط بول وينثروب من فوقه، وما الذى كان يفعله فى هذا المكان؟ هل كان يقابل شخصا ما؟ هل كان يشترك فى أحد السباقات؟ أكان فى إجازة ترفيه؟ أم رحلة عمل؟.

كان منتجع روكوبرون ـ كاب ـ مارتين عبارة عن قرية ترجع أصولها إلى القرون الوسطى، وبها قلعة أثرية، وكهوف تاريخية، وفيلات فخمة تزين منظر القرية. قادت دانا سيارتها حتى مركز القرية، ثم أوقفت السيارة، وسارت لتبحث عن قسم الشرطة، ثم أوقفت رجلاً قادماً من داخل أحد المتاجر.

"عذرا، هل يمكنك أن تخبرنى بمكان قسم الشرطة؟".

رد الرجل بالفرنسية: "أنا لا أتحدث الإنجليزية، ولا أعتقد أننى سأستطيع مساعدتك يا آنسة....".

ردت دانا ـ وهى تحاول أن تشرح له الأمر: "بوليس.... بوليس".

قال الرجل بالفرنسية: "أوه، نعم"، ثم أشار بيده وهو يردف: "ثانى شارع على اليسار".

"شكراً لك".

"لا داعى للشكر".

كان قسم الشرطة عبارة عن مبنى قديم متصدع، طليت جدرانه باللون الأبيض، وبالداخل، جلس شرطى فى منتصف العمر مرتديا زيه الرسمى، خلف مكتب الاستقبال، لكنه رفع عينيه إلى أعلى عندما دخلت دانا.

قال الشرطى بالفرنسية: "مساء الخير يا سيدتى".

"مساء الخير".

"ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟".

"هل تتحدث الإنجليزية؟".

فكر الشرطى قليلا، ثم قال على مضض: "نعم".

"أود أن أتحدث إلى الشخص المسئول هنا".

تطلع إليها الشرطى للحظة، وقد اكتست ملامحه بتعبيرات الحيرة والارتباك، ثم ابتسم فجأة وقال: "أوه، القائد فرازير. نعم. لحظة واحدة"، ثم التقط سماعة الهاتف وأخذ يتحدث خلالها، ثم أومأ برأسه والتفت إلى دانا، وأشار بيده إلى نهاية الرواق، قائلا بالفرنسية: "المكتب الأول".

فأجابته دانا قائلة: "شكراً لك"، ثم سارت داخل الرواق حتى وصلت إلى باب المكتب الأول. كانت حجرة مكتب القائد فرازير صغيرة وأنيقة. أما القائد نفسه، فكان رجلاً رشيقاً ذا شارب صغير وعينين بنيتين جذابتين. وقف القائد تحية لدانا عندما دلفت إلى الداخل.

"مساء الخير، سيدى القائد".

"مساء الخير، آنستى. كيف يمكننى مساعدتك؟".

"أنا دانا إيفانس، وأقوم بعمل برنامج تليفزيونى لمحطة (دبليو. تى. إن) فى العاصمة واشنطن، عن عائلة وينثروب، وقد علمت أن بول وينثروب قد لقى مصرعه فى حادث وقع بالقرب من هنا، أليس كذلك؟".

"نعم، أمر رهيب! رهيب للغاية! يجب على المرء أن يكون حذراً وهو يقود سيارته على الطريق الساحلى، فالقيادة بسرعة قد تكون غاية فى الخطورة".

"لقد سمعت أن بول وينثروب قد لقى مصرعه خلال أحد السباقات، وأن....".

"كلا. لم يكن هناك أية سباقات فى ذلك اليوم".

"لم يكن هناك أية سباقات؟".

"*كلا يا آنستى. لقد كنت فى نوبة عمل فى ذلك اليوم الذى وقع فيه الحادث*".

"فهمت، هل كان السيد وينثروب فى السيارة بمفرده؟".

"*نعم*".

"سيدى القائد فرازير، هل جرى تشريح للجثة؟".

"*نعم، بالطبع*".

"أكان هناك أى نسبة كحوليات فى دماء بول وينثروب؟".

هز القائد فرازير رأسه. قائلاً: "كلا".

"مخدرات؟".

"*كلا*".

"هل تتذكر كيف كان حال الطقس فى ذلك اليوم؟".

"*نعم، كان الجو ممطراً*".

كان لدى دانا سؤال أخير، لكنها طرحته دون أدنى أمل، فقالت: "لا أظن أنه كان هناك أى شهود، أليس كذلك؟".

رد القائد بالفرنسية: "نعم، بالطبع".

كانت دانا تحدق النظر إليه، وقد تسارع نبضها كثيرا، ثم قالت: "أكان هناك شهود؟".

"شاهد واحد. كان يقود سيارته خلف سيارة بول وينثروب، وشاهد الحادث لدى وقوعه".

شعرت دانا بإحساس سريع من الإثارة يجتاحها، فقالت بسرعة: "سوف أقدر مساعدتك كثيراً يا سيدى القائد، إذا أعطيتنى اسم ذلك الشاهد، فأنا أرغب بالتحدث إليه".

أومأ القائد فرازير برأسه وهو يقول: "لا أرى مانعا من ذلك"، ثم نادى: "ألكسندر!"، وبعد لحظة، اندفع مساعده إلى داخل المكتب.

"أمرك سيدى القائد".

قال القائد بالفرنسية: "أريد ملف حادث السيارة الخاص ببول وينثروب".

قال المساعد: "على الفور"، ثم اندفع إلى خارج الحجرة.

التفت القائد فرازير إلى دانا، وقال: "يا لها من عائلة سيئة الحظ، إن الحياة شيء هش للغاية". نظر القائد إلى دانا، وابتسم قائلا: "على المرء أن ينهل من متع الحياة عندما يستطيع"، ثم أضاف بهدوء: "أو عندما تستطيع. هل أنت بمفردك هنا يا آنستى؟".

"*كلا، إن زوجى وأولادى ينتظروننى بالخارج*".

تمتم القائد بالفرنسية: "يا للخسارة!".

عاد مساعد القائد فرازير وهو يحمل فى يده حزمة من الأوراق، فتناولها القائد وأخذ يتفحصها، ثم أومأ برأسه ونظر إلى دانا.

"لقد كان الشاهد على الحادث سائحًا أمريكياً، يدعى رالف بنجامين. وطبقاً لشهادته، فقد كان يقود سيارته خلف سيارة بول وينثروب، ثم رأى كلباً يجرى أمام سيارة بول وينثروب، فأدار بول عجلة السيارة محاولاً تفادى الكلب، فانزلقت السيارة بسرعة، واندفعت من فوق الجرف، ثم سقطت وتحطمت فوق صخور الشاطئ. وطبقاً لتقرير محقق الوفيات، فقد لقى بول وينثروب مصرعه فى الحال".

سألت دانا بأمل: "هل لديك عنوان السيد بنجامين؟".

قال القائد فرازير: "نعم"، ثم نظر إلى الأوراق وأردف: "إنه يعيش في أمريكا. مدينة ريتشفيلد بولاية أوتاوا، المنزل رقم ٢٤ بشارع تورك ستريت". وكتب القائد فرازير العنوان فى ورقة وناولها إلى دانا.

حاولت دانا أن تخفى سعادتها وهى تقول: "شكراً جزيلاً يا سيدى القائد".

رد القائد: "لا داعى للشكر"، ثم نظر إلى يد دانا الخالية من أى خاتم زواج، وأردف: "سيدتى؟".

"نعم؟".

"بلغى تحياتى إلى زوجك وأولادك".

اتصلت دانا هاتفياً بمات بيكر.

قالت بحماس: "مات، لقد وجدت شاهداً على حادث بول وينثروب، وسوف أذهب لإجراء مقابلة معه".

"هذا خبر عظيم. أين يعيش ذلك الشاهد؟".

"فى مدينة ريتشفيلد بولاية أوتاوا. سوف أعود إلى واشنطن بعد لقائى به".

"حسناً. بالمناسبة، لقد اتصل جيف".

"وماذا قال؟".

قال مات - فى نبرة لاح فيها عدم الرضا: "أنت تعلمين أنه فى فلوريدا مع زوجته السابقة".

"أعلم ذلك، فهى مريضة للغاية".

"لو أن جيف ظل هناك لمدة أطول من ذلك، فسوف أضطر إلى أن أطلب منه أن يأخذ إجازة من العمل".

"أنا واثقة من أنه سيعود قريباً جداً"، هكذا قالت دانا وهى تتمنى لو أنها تستطيع أن تقنع نفسها بذلك.

"حسناً. حظاً سعيداً مع شاهدك".

"شكرا يا مات".

اتصلت دانا بعد ذلك بكيمال، لكن السيدة دالى هى من أجاب على الهاتف.

"منزل الآنسة إيفانس".

قالت دانا ، وهى تحبس أنفاسها: "مساء الخير يا سيدة دالى. هل كل شيء على ما يرام عندكم؟".

قالت السيدة دالى: "حسناً، لقد كاد ابنك يحرق المطبخ بالكامل وهو يساعدنى فى طهى طعام العشاء ليلة الأمس"، ثم ضحكت السيدة دالى وأردفت: "فيما عدا ذلك، فهو بخير".

قالت دانا - وهى تشكر الله سراً: "هذا عظيم"، ثم تمتمت فى داخلها: *إن تلك المرأة صانعة معجزات بالفعل.*

قالت السيدة دالى: "هل ستعودين إلى المنزل الآن؟ يمكننى أن أعد لك وجبة عشاء و....".

قالت دانا: "يجب أن أسافر إلى مكان آخر، وسوف أعود خلال يومين. هل يمكننى التحدث إلى كيمال؟".

"إنه نائم. هل أذهب لإيقاظه؟".

قالت دانا: "كلا، كلا"، ثم نظرت إلى ساعتها، وأدركت أنها الرابعة عصراً فى واشنطن، فأردفت: "هل أصبح كيمال ينام فى فترة القيلولة؟".

تناهى إلى سمعها ضحكة السيدة دالى الدافئة، وسمعتها تقول: "نعم. لقد كان يوماً طويلاً بالنسبة للصبى، فهو يجهد نفسه فى الدراسة، ويجهد نفسه فى اللعب كذلك".

"بلغيه حبى، وقولى له إننى سأراه قريباً".

يجب أن أسافر إلى مكان آخر، وسوف أعود خلال يومين. هل يمكننى التحدث إلى كيمال ؟

إنه نائم. هل أذهب لإيقاظه ؟

كلا، كلا ، هل أصبح كيمال ينام فى فترة القيلولة ؟

نعم. لقد كان يوماً طويلاً بالنسبة للصبى، فهو يجهد نفسه فى الدراسة، ويجهد نفسه فى اللعب كذلك.

بلغيه حبى، وقولى له إننى سأراه قريبا.

انتهى الشريط.

تقع ريتشفيلد بولاية أوتاوا، وهى مدينة سكنية مريحة، فى واد فسيح وسط سلسلة جبال مونرو. توقفت دانا فى محطة بنزين، وحصلت على إرشادات للذهاب إلى العنوان الذى أعطاه لها القائد فرازير.

كان مقر إقامة رالف بنجامين عبارة عن منزل متداعٍ من طابق واحد، يقع فى منتصف صف من منازل متطابقة الشكل.

أوقفت دانا سيارتها المستأجرة، ثم سارت حتى الباب الأمامى، ورنت جرس الباب. انفتح الباب وظهرت من خلفه امرأة عجوز بيضاء الشعر، ترتدى مريلة مطبخ. قالت المرأة: "هل يمكننى مساعدتك؟".

ردت دانا: "أود أن أقابل السيد رالف بنجامين".

ظلت المرأة تتفرس فى دانا بفضول، ثم قالت: "هل لديك موعد مع بنجامين؟".

"كلا. لقد.... لقد كنت أمر بالجوار، ففكرت فى الحضور لزيارته. هل هو موجود؟".

"نعم. تفضلى".

قالت دانا: "شكرا لك"، ثم خطت إلى الداخل، وتبعت المرأة إلى غرفة المعيشة.

"رالف، لديك زائرة".

نهض رالف بنجامين من كرسيه الهزاز، واتجه نحو دانا، قائلا: "مرحبا! هل أعرفك؟".

وقفت دانا فى موضعها متصلبة دون حراك، فلقد كان رالف بنجامين رجلاً أعمى.

١٤

جلست دانا بصحبة مات بيكر داخل غرفة الاجتماعات بشبكة (دبليو. تى. إن).

كانت دانا تقول موضحة: "لقد كان رالف بنجامين يزور ابنه فى فرنسا، وفى أحد الأيام اختفت حقيبة ملابسه من غرفته بالفندق، ثم ظهرت فى اليوم التالى. لكن جواز سفره كان مفقوداً. مات، إن الرجل الذى سرق جواز سفر بنجامين وانتحل هويته وأخبر الشرطة الفرنسية بأنه كان شاهدًا على الحادث هو نفسه قاتل بول وينثروب".

ظل مات بيكر على صمته للحظة طويلة، وأخيراً قال: "لقد حان الوقت للتوجه للشرطة بهذه المعلومات يا دانا. إذا كنت على حق، فإننا نتعقب شخصاً قتل ستة أشخاص بمنتهى الوحشية وبرود الأعصاب، ولهذا فأنا لا أريدك أن تكونى الضحية السابعة. وهذا الشعور بالقلق على حياتك يشاركنى فيه إيليوت كرومويل أيضاً، فهو يعتقد أنك تتورطين بشدة فى هذه القضية".

قالت دانا معترضة: "لا نستطيع إشراك الشرطة بعد. فكل الأدلة التى بأيدينا هى مجرد أدلة ظرفية، وليس لدينا دليل

مادى واحد. كما أننا لا نمتلك أى فكرة عن هوية القاتل ولا الدافع وراء تلك الجرائم".

"لدىّ شعور سيئ تجاه هذه القضية، والأمر يزداد خطورة يوماً بعد يوم. أنا لا أريد أن يحدث لك أى ضرر".

قالت دانا بجدية: "وأنا أيضاً لا أرغب بذلك".

"ما هى خطوتك القادمة ؟".

"معرفة ماذا حدث بالفعل مع جوليا وينثروب".

"لقد تمت العملية بنجاح".

فتحت ريتشيل عينيها ببطء، فوجدت نفسها ترقد فوق فراش مستشفى أبيض ومعقم. ركزت بصرها المشوش على جيف، وقالت: "هل استأصلتم الثدى ؟".

"ريتشيل...".

قالت وهى تقاوم دموعها: "أخشى أن أتحسس بنفسى. لم أعد امرأة كاملة بعد الآن، ولن يحبنى أى رجل على الإطلاق".

أمسك جيف بيديها المرتجفتين بين يديه وقال: "أنت مخطئة، فأنا لم أحبك أبداً لكونك تمتلكين صدراً جميلاً يا ريتشيل، وإنما أحببتك لما أنت عليه من صفات ـ فأنت امرأة رائعة ودافئة المشاعر".

تمكنت ريتشيل من إظهار ابتسامة صغيرة وهى تقول: "لقد أحب كل منا الآخر، أليس كذلك يا جيف؟".

"نعم".

قالت ريتشيل: "أتمنى..."، ثم نظرت إلى صدرها، وانقبضت ملامح وجهها.

"سوف نتحدث عن ذلك لاحقا".

ضغطت ريتشيل على يده بقوة، وقالت: "أنا لا أريد أن أبقى بمفردى يا جيف ـ على الأقل حتى تنتهى هذه المحنة. لا تتركنى من فضلك".

"ريتشيل، يجب أن...".

"ليس بعد. أنا لا أدرى ماذا سأفعل لو رحلت".

دلفت إحدى الممرضات إلى داخل الغرفة، وقالت: "بعد إذنك يا سيد كونورز ؟".

لم ترد ريتشيل أن تترك يد جيف، وقالت بنبرة توسل: "لا تذهب".

"سأعود".

فى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، رن جرس هاتف دانا المحمول، فاندفعت إلى نهاية الغرفة لتلتقطه. "دانا"، كان جيف هو المتصل.

شعرت دانا بقليل من الانفعال عندما سمعت صوته، فقالت بلهفة: "مرحبا. كيف حالك يا حبيبى؟".

"أنا بخير".

"وكيف حال ريتشيل؟".

"لقد تمت العملية بنجاح، لكن ريتشيل تعانى من اكتئاب شديد".

"جيف... لا يجب على المرأة أن تقيّم نفسها على أساس ملامحها الجسدية أو...".

"أعلم ذلك، لكن ريتشيل ليست امرأة عادية، فلقد تعودت أن يتم الحكم عليها من خلال مظهرها وجمالها الجسدى منذ كانت فى الخامسة عشرة، وهى أيضاً إحدى أغلى العارضات أجراً فى العالم. والآن هى تظن أن كل ذلك قد انتهى إلى الأبد، وتشعر بأنها قد أصبحت مخلوقاً قبيحاً، ولذلك تظن أنه لم يعد لديها ما تعيش لأجله".

"وماذا تنوى أن تفعل؟".

"سوف أبقى هنا لعدة أيام إضافية حتى أساعدها على التعامل مع الأمر عندما تعود لشقتها. لقد تحدثت إلى الطبيب المختص،

وقال إنهم لا يزالون بانتظار نتائج الاختبارات لكي يتأكدوا مما إذا كانوا قد استأصلوا الورم بالكامل. فالأطباء يعتقدون أنهم سيحتاجون إلى إجراء علاج كيماوى بعد العملية".

لم يكن هناك ما تستطيع دانا أن تقوله.

قال جيف: "أنا أفتقدك".

"وأنا أيضاً أفتقدك يا عزيزى. لقد اشتريت لك بعض هدايا عيد الميلاد".

"احتفظى بها من أجلى".

"سأفعل".

"هل انتهيت من كل تلك الرحلات المرهقة ؟".

"ليس بعد".

"تأكدى من ترك هاتفك المحمول مفتوحاً، فأنا أنتوى أن أفاجئك ببعض المكالمات الرومانسية من حين لآخر".

ابتسمت دانا وقالت: "أهذا وعد ؟".

"هو كذلك. اعتنى بنفسك يا عزيزتى".

"وأنت أيضاً". انتهت المحادثة، فأغلقت دانا هاتفها المحمول وجلست فى مكانها لوقت طويل. تفكر فى جيف وريتشيل، ثم قامت من موضعها وتوجهت إلى المطبخ.

كانت السيدة دالى تقول لكيمال: "أتريد المزيد من الفطير المحلى يا عزيزى ؟".

"نعم، شكرا لك".

وقفت دانا عند مدخل المطبخ، تشاهدهما. وأخذت تفكر فى مدى التغير الذى طرأ على كيمال خلال المدة القصيرة التى قضتها السيدة دالى معهما، فقد أصبح أكثر هدوءًا واسترخاءً وسعادة. شعرت دانا بلسعة من الغيرة تكوى صدرها، فأخذت تفكر: *ربما أكون الشخص غير المناسب لتربية كيمال.* وأخذت دانا تتذكر ـ وهى تشعر بالذنب ـ تلك الأيام التى كانت تقضى فيها كل نهارها ومعظم ليلها فى الاستوديو، وأخذت تتمتم داخليا: *ربما*

كان من الأفضل لو أن امرأة مثل السيدة دالى هى من تبنت كيمال.
انتزعت دانا نفسها من تلك الأفكار وهى تصيح بنفسها: *ماذا أصابنى ؟ إن كيمال يحبنى كثيراً.*

جلست دانا إلى طاولة الطعام وهى تسأل كيمال: "أما زلت مستمتعاً بالمدرسة؟".

"إنها مدرسة رائعة".

أمسكت دانا بيده وقالت: "كيمال، أخشى أننى مضطرة للسفر مجدداً".

قال كيمال ـ بعدم اكتراث: "حسناً".

وعادت لسعة الغيرة تكوى دانا من جديد.

تساءلت السيدة دالى: "إلى أين ستسافرين هذه المرة يا آنسة إيفانس ؟".

"ألاسكا".

ظلت السيدة دالى تفكر للحظة، ثم قالت محذرة: "احترسى من تلك الدببة الرمادية هناك".

استغرقت رحلة الطائرة من واشنطن إلى جونو، عاصمة ولاية ألاسكا، حوالى تسع ساعات، مع توقف قصير فى سياتل. وفى داخل مطار جونو، توجهت دانا إلى مكتب تأجير السيارات.

"اسمى دانا إيفانس، وهناك...".

"نعم، آنسة إيفانس. لدينا سيارة لاندروفر لطيفة محجوزة لك. ستجدينها بالصف العاشر بساحة الانتظار. فقط وقعى هنا".

سلمها الموظف مفاتيح السيارة، واتجهت دانا إلى ساحة الانتظار الموجودة خلف المبنى. كانت هناك العشرات من السيارات فى صفوف مرقّمة، فاتجهت دانا إلى الصف رقم ١٠. كان هناك رجل ينحنى إلى جوار مؤخرة السيارة، منهمكا فى العمل على ماسورة عادم السيارة اللاند روفر البيضاء. رفع الرجل نظره عندما اقتربت منه دانا.

"لقد كنت أحكم ربط ماسورة العادم يا آنسة. السيارة الآن جاهزة"، هكذا قال الرجل وهو ينهض من على الأرض.

قالت دانا: "شكراً لك".

وشاهدها الرجل وهى تبتعد بالسيارة.

وفى قبو أحد المبانى الحكومية، كان هناك رجل ينظر إلى خريطة رقمية على شاشة كمبيوتر. وشاهد الرجل السيارة اللاند روفر البيضاء وهى تنعطف يميناً.

فقال: "الهدف يتجه إلى ستار هيل".

كانت مدينة جونو أشبه بالمفاجأة بالنسبة لدانا. فمن النظرة الأولى، بدت كمدينة كبيرة، لكن الشوارع الضيقة والمتعرجة أعطت لعاصمة ولاية آلاسكا جو المدينة الصغيرة مما جعلها أشبه بقرية منعزلة فى وسط محيط من ثلوج العصر الجليدى.

حجزت دانا غرفة بالنزل الشهير فى ووتر فرونت، والذى كان فى السابق ماخوراً يقع فى وسط المدينة.

قال موظف الاستقبال بالنزل: "لقد جئت فى وقت مناسب جداً للتزلج. إن موسم التزلج هذا العام جيد للغاية. هل أحضرت معدات التزلج الخاصة بك ؟".

"كلا، أنا...".

"حسناً، هناك متجر لمعدات التزلج بجوار النزل، وأنا واثق من أنهم سوف يقدمون لك كل الأدوات التى ترغبين بها".

قالت دانا: "شكراً لك"، ثم تمتمت فى سرها: *إنه مكان جيد لبدء المهمة*. أفرغت دانا حقائبها، ثم اتجهت إلى متجر معدات التزلج.

كان البائع بمتجر معدات التزلج رجلاً شديد الثرثرة، ففى اللحظة التى دخلت فيها دانا إلى المتجر، قال: "مرحباً. أنا تشاد دونوهو. حسناً، لقد جئت إلى المكان المناسب بالتأكيد"، ثم أشار إلى صف من الزلاجات وأردف: "لقد وصلت إلينا تلك الشحنة من

الزلاجات الجديدة، وهى قادرة على تحمل المطبات والقفزات"، ثم أشار إلى قسم آخر وقال: "وهناك أيضاً زلاجات من طراز سالومون إكس ستريم ٩، وهى تلاقى الكثير من الإقبال. فى العام الماضى نفد مخزوننا منها بالكامل ولم نتمكن من جلب المزيد".

رأى الرجل ملامح نفاد الصبر بادية على وجه دانا، فأسرع إلى وصف المجموعة التالية من طرز الزلاجات: "إذا كنت تفضلين نوعا آخر، فلدينا لدنا طراز فوكال فيرتيجو جى ٣٠ أو طراز أتوميك ١٠،٢٠". نظر الرجل إلى دانا، منتظرا إجابتها، ثم غلبه الحماس، فقال: "أى طراز.... ؟".

"لقد جئت للحصول على بعض المعلومات".

ظهرت تعبيرات خيبة الأمل على وجه الرجل وهو يقول فى تساؤل: "معلومات ؟".

"نعم. هل كانت جوليا وينثروب تشترى معدات التزلج الخاصة بها من هنا ؟".

تفرس الرجل فى ملامح دانا عن قرب، وقال: "نعم. فى الواقع، لقد كانت تستخدم زلاجة من أحدث طرز فولانت تى الخارقة. كانت تحب تلك الطرز كثيرا. شيء مؤسف ما حدث لها عند منطقة إيجل كريست".

"هل كانت الآنسة جوليا وينثروب متزلجة جيدة ؟".

"جيدة ؟ لقد كانت من أفضل المتزلجات. ولقد كان لديها خزانة تمتلئ بجوائز التزلج".

"هل تعلم ما إذا كانت قد تزلجت بمفردها فى ذلك اليوم ؟".

"على حسب علمى، كانت بمفردها". هز الرجل رأسه وهو يردف: "المدهش فى الأمر أنها كانت تعرف منطقة إيجل كريست مثل راحة يدها، واعتادت التزلج هناك فى كل عام. إن المرء ليظن أن حادثًا كهذا ما كان يقع لبطلة مثلها، ألا تتفقين معى ؟".

قالت دانا ببطء: "نعم، أتفق معك تماما".

كانت إدارة شرطة جونو تقع على بعد مربعين سكنيين من نزل ووتر فرونت.

دلفت دانا إلى مكتب استقبال صغير الحجم، رفع فيه علم ولاية آلاسكا، وعلم مدينة جونو، وعلم الولايات المتحدة بنجومه الشهيرة، وكان بداخله سجادة زرقاء، وأريكة زرقاء، ومقعد أزرق اللون.

اقترب من دانا شرطى فى ملابس مدنية وسألها: "هل يمكننى مساعدتك ؟".

"أود الحصول على بعض المعلومات عن حادث مصرع جوليا وينثروب".

تجهمت ملامح الشرطى وهو يجيب: "إن الشخص الذى يستطيع أن يمدك بتلك المعلومات هو بروس بولر، رئيس وحدة سى دوج للإنقاذ، إن مكتبه بالطابق العلوى، لكنه غير موجود فى هذه اللحظة".

"هل تعلم أين يمكننى العثور عليه ؟".

نظر الشرطى إلى ساعة يده، وقال: "من المفترض أن تجديه فى مثل هذا الوقت من اليوم فى مطعم هانجر وارف، وهو على بعد مربعين سكنيين على طريق مارين واى".

"شكرا جزيلا".

كان هانجر وارف عبارة عن مطعم كبير مزدحم بالزبائن الذين حضروا لتناول الغداء فى ذلك الوقت من الظهيرة.

قالت المضيفة وهى تخاطب دانا: "أنا آسفة. لا توجد طاولات شاغرة الآن، وسوف تضطرين للانتظار لمدة عشرين دقيقة إذا....".

"أنا أبحث عن السيد بروس بولر. هل..... ؟".

أومأت المضيفة برأسها وقالت: "بروس ؟ إنه هناك... عند تلك الطاولة".

نظرت دانا إلى حيث أشارت المضيفة، فرأت رجلا لطيف الملامح، قوى البنية، فى أوائل الأربعينات، يجلس بمفرده إلى إحدى الطاولات.

قالت دانا للمضيفة: "شكرا لك"، ثم اتجهت إلى طاولة الرجل، وقالت: "السيد بولر؟".

رفع الرجل نظره وهو يقول: "نعم".

"أنا دانا إيفانس، وأحتاج إلى مساعدتك".

ابتسم الرجل وقال: "يا لك من امرأة محظوظة. لدينا غرفة متاحة. سوف أنادى جودى".

نظرت إليه دانا فى حيرة وقالت: "عذراً، ماذا تقول؟".

"ألست تسألين عن كوزى لوج، نُزُلنا الذى يوفر المبيت والإفطار ؟".

"كلا. لقد أردت أن أتحدث إليك بشأن جوليا وينثروب".

بدا الرجل محرجاً وهو يقول: "أوه، آسف. تفضلى بالجلوس. أنا وجودى نمتلك نزلاً صغيراً خارج حدود المدينة، ولقد ظننت أنك تريدين غرفة للمبيت. هل تناولت وجبة الغداء؟".

"كلا، أنا....".

اتسعت ابتسامته اللطيفة وهو يقول: "لم لا تنضمين إلىّ إذن؟".

قالت دانا: "شكراً لك".

عندما انتهت دانا من طلب غدائها، قال بروس بولر: "ماذا تريدين أن تعرفى عن جوليا وينثروب ؟".

"الأمر يتعلق بحادث مصرعها. أكان هناك أى دليل يشير إلى أنه لم يكن مجرد حادث؟".

تجهم بروس بولر، وقال: "هل تسألين عما إذا كانت قد انتحرت ؟".

"كلا. أنا أتساءل إذا..... إذا كان هناك احتمال أن يكون أحدهم قد قتلها".

طرفت عين بروس وهو يجيب: "يقتل جوليا ؟ مستحيل. لقد كان مجرد حادث".

"هل يمكنك أن تخبرنى بما حدث ؟".

قال بروس: "بالتأكيد"، ثم أخذ يفكر للحظات، وهو يتساءل من أين يبدأ، وأخيراً قال: "لدينا ثلاثة مواقع لمنحدرات التزلج هنا. هناك منحدرات المبتدئين، مثل منحدر موسكيج، ودولى فادرين، وسوردوف.... وهناك منحدرات أكثر صعوبة، مثل منحدر سلويس بوكس، ومازر لود، وسونددانس.... وهناك المنحدرات شديدة الصعوبة، مثل منحدر إيتسان، وسبروس شوت، وهانج تين....وبعد ذلك هناك منحدر ستيب شوتس، وهو أصعب المنحدرات على الإطلاق".

"وكانت جوليا وينثروب تتزلج من فوق منحدر...؟".

"ستيب شوتس".

"إذن فقد كانت متزلجة محترفة ؟".

أجاب بروس بولر: "بالتأكيد كانت كذلك"، ثم تردد قليلا قبل أن يضيف: "وهذا هو الغريب فى الأمر".

"ماذا تقصد؟".

"حسناً، لدينا فترات تزلج ليلى من الرابعة عصراً وحتى التاسعة مساء كل يوم خميس. وكان هناك الكثير من المتزلجين فى تلك الليلة، وقد عادوا جميعا بحلول التاسعة، فيما عدا جوليا. ولقد خرجنا بحثا عنها، فوجدنا جثتها أسفل منحدر ستيب شوتس، وبدا واضحا أنها قد اصطدمت بشجرة، مما يرجح أنها قد لقيت حتفها لحظيا".

أغلقت دانا عينيها للحظة خاطفة، وهى تستشعر الرعب والألم المصاحبين لأمر كهذا، وأخيرا قالت: "إذن...إذن فقد كانت بمفردها عندما وقع لها ذلك الحادث؟".

"نعم. عادة ما يتزلج محبو تلك الرياضة بشكل ثنائى أو فى جماعات، لكن بعض المتزلجين يفضلون التزلج بمفردهم. لدينا

سياج يحيط بمنطقة التزلج الآمنة هنا، وكل شخص يتزلج خارج ذلك السياج، يفعل ذلك على مسئوليته الشخصية. لقد كانت جوليا وينثروب تتزلج خارج منطقة التزلج الآمنة، وعلى مدرج تزلج مغلق، مما جعلنا نستغرق وقتاً طويلاً حتى عثرنا على جثتها".

"سيد بولر، ما هى الإجراءات المتبعة حين يغيب أحد المتزلجين ؟".

"ما إن يبلغ أحدهم عن غياب أحد المتزلجين حتى نبدأ فى إجراء بحث أولى".

"بحث أولى ؟".

"نتصل ببعض أصدقاء المتزلج الغائب لكى نرى ما إذا كان بصحبتهم، ثم نتصل ببعض النوادى والحانات فى المنطقة. إنه بحث سريع ومزعج، لكننا نقوم به لكى نوفر على أطقم البحث مشقة الخروج وتمشيط المنطقة بحثا عن متزلج سكران فاقد الوعى بإحدى الحانات".

تساءلت دانا: "وإذا كان أحدهم مفقوداً بالفعل؟".

"نحصل على وصف لملامح المتزلج المفقود، ونستعلم عن مهارته بالتزلج، وعن آخر موقع شوهد عنده. ودائما ما نسأل عما إذا كانت معه كاميرا تصوير".

"لماذا ؟".

"إذا كانت معه كاميرا، فإن ذلك كفيل بأن يعطينا دليلا عن المناطق ذات المناظر الجميلة التى ربما يكون قد ذهب إليها. كما نتحقق من وسيلة المواصلات التى كان المتزلج يخطط لاستخدامها فى العودة إلى المدينة. وإذا لم يحقق التمشيط الذى نقوم به أى نتائج، نبدأ فى افتراض أن المتزلج موجود خارج حدود منطقة التزلج الآمنة. وعلى الفور، نبلغ دوريات البحث والإنقاذ الخاصة بولاية آلاسكا من أجل إرسال طائرة مروحية لتمشيط

المنطقة. يتكون كل فريق بحث من أربعة أفراد، وكذلك تنضم إلينا دورية الإنقاذ المدنى المحمولة جوا".

"إنه عدد كبير من رجال الإنقاذ".

"بالتأكيد هو كذلك. لكن تذكرى أن لدينا ٩٣٠ فداناً من أراضى التزلج فى المنطقة المجاورة، ونقوم - فى المتوسط - بأربعين عملية بحث سنوياً، ومعظمها تكلل بالنجاح". نظر بروس بولر إلى منظر السماء الرمادية خارج النافذة وأردف: "كم أتمنى لو أن البحث عن جوليا وينثروب كان ناجحا أيضاً"، ثم التفت مجدداً إلى دانا وقال: "على أى حال، فإن دورية الإنقاذ الجوية تقوم بعملية تمشيط للمنطقة بعد أن تغلق مدرجات التزلج كل ليلة".

قالت دانا: "لقد أخبرنى بعضهم أن جوليا وينثروب اعتادت التزلج فوق قمة منحدر إيجل كريست".

أومأ بروس موافقاً وقال: "هذا صحيح، لكن هذا لا يمثل أى ضمانات. فقد تتلبد السماء بالسحب فجأة، ويصاب المتزلج بالارتباك، أو ربما يتعرض لسوء حظ. لقد تعرضت الآنسة جوليا المسكينة لسوء حظ واضح".

"كيف عثرتم على جثتها ؟".

"لقد عثر عليها مايداى".

"مايداى ؟".

"إنه أفضل الكلاب البوليسية لدينا. إن دورية الإنقاذ الجوية تستخدم كلاباً سوداء من فصيلتى لوبارد وشيفارد، وهى كلاب مدربة بشكل متميز، تنطلق مع حركة الرياح، فتتقصى أية رائحة بشرية، ثم تنطلق إلى نهاية المنطقة التى تنتشر بها الرائحة، وبعدها تعاود البحث من البداية إلى النهاية فى خطوط متقاطعة. لقد أرسلنا بومبادير إلى موقع الحادث، وعندما.....".

"بومبادير ؟".

"ماكينة إزاحة الثلج الخاصة بنا. لقد أحضرنا جثة جوليا إلى ستوكس ليتل، وقام فريق الإسعاف المكون من ثلاثة أشخاص بفحصها بواسطة جهاز رسم القلب والتقطوا بعض الصور، ثم اتصلوا بمتعهد دفن الموتى، واصطحبوا جثتها إلى مستشفى بارليت رجيونال هوسبتال".

"ولم يعرف أحد كيف وقع الحادث؟".

هز بروس كتفيه وقال: "كل ما عرفناه هو أنها قد اصطدمت بشجرة صنوبر عملاقة. لقد رأيت موقع الحادث، ولم يكن منظرا جميلا".

نظرت دانا إلى بروس بولير للحظة، ثم قالت: "هل بالإمكان أن ألقى نظرة على قمة مرتفع إيجل كريس ؟".

"ولم لا؟ دعينى أُنْهِ غدائى، وسوف أصحبك إلى هناك بنفسى".

واستقلا السيارة الجيب إلى الكوخ المكون من طابقين، الذى يقع عند سفح الجبل.

قال بروس بولر لدانا: "هذا هو المبنى الذى نجتمع فيه لوضع خطط البحث والإنقاذ. لدينا معدات تزلج للإيجار، وهناك مرشدا تزلج لمن يرغب فى الاستعانة بهما. إننا نستخدم هذا المصعد للوصول إلى قمة الجبل".

استقلا مصعد التزلج الثنائى، صاعدين جبل بيتارميجان، متجهين إلى قمة إيجل كريست ، وكانت دانا ترتجف من البرد.

قال بروس: "كان علىّ أن أحذرك. لتحمل مثل هذا الطقس البارد، يجب عليك ارتداء ملابس مصنوعة من البروبلين، وملابس داخلية طويلة، وعليك أيضاً ارتداء طبقات من الملابس".

قالت دانا وهى ترتجف: "سوف أتذكر ذلك فى المرة القادمة".

"هذا هو المصعد الذى استقلته جوليا، وكانت معها حقيبة الطوارئ الخاصة بها".

"حقيبة الطوارئ ؟".

"نعم، إنها تحتوى على جاروف لإزاحة الثلج، ومرشد لاسلكى يبث إشارته لمسافة خمسين ياردة، وبوصلة إلكترونية".

تنهد بروس وأردف: "بالطبع، لن يفيدك أى من تلك المعدات عندما تصطدمين بشجرة عملاقة".

كانا قد اقتربا من قمة الجبل، وعندما وصلا إلى المنصة العلوية، وخرجا من المصعد بحذر شديد، حيّاهما رجل كان يقف أعلى المنصة.

"ما الذى أتى بك إلى هنا بالأعلى يا بروس ؟ هل فقد أحدهم؟".

"كلا. لقد جئت لمرافقة صديق يرغب فى رؤية المكان. دعنى أقدم لك الآنسة إيفانس".

تبادلا عبارات التحية، ونظرت دانا إلى المكان من حولها. كان هناك كوخ دافئ لا يكاد يظهر من خلف السحب الرمادية الثقيلة. *هل دلفت جوليا وينثروب إلى داخل الكوخ قبل أن تبدأ التزلج ؟ وهل كان هناك شخص يتبعها ؟ شخص كان يخطط لقتلها ؟.*

التفت بروس بولر إلى دانا وقال: "نحن الآن فى أعلى قمة جبل بيتارميجان. ومن هنا يبدأ الانحدار إلى الأسفل".

استدارت دانا ونظرت إلى الأرض القاسية التى لاحت على البعد، وارتجفت بشدة.

"يبدو أنك تشعرين بالبرد يا آنسة إيفانس. من الأفضل أن نتوجه إلى الأسفل".

"شكراً لك".

كانت دانا قد عادت للتو إلى نزل ووتر فرونت، عندما سمعت صوت طرقات على باب حجرتها. فتحت دانا الباب، فوجدت رجلاً شاحب الوجه يقف عنده.

"آنسة إيفانس ؟".

"نعم".

"مرحباً. أنا نيكولاس فيردون، وأعمل بصحيفة جونو إمباير".

"وماذا تريد ؟".

"لقد علمت أنك تجرين تحقيقاً عن مصرع جوليا وينثروب ؟ ونود أن نجرى معك حواراً حول هذا الموضوع".

حين دق جرس إنذار فى عقل دانا، فقالت: "أخشى أنك مخطئ، فأنا لا أجرى أى تحقيقات".

نظر إليها الرجل بتشكك وقال: "لقد سمعت.....".

قاطعته دانا: "إننا ننتج برنامجاً تليفزيونيًا عن منتجعات التزلج فى جميع أنحاء العالم، وكانت هذه هى إحدى المحطات التى سوف نصور فيها".

ظل الرجل مكانه للحظة، ثم قال: "فهمت. معذرة إن كنت قد أزعجتك".

شاهدته دانا وهو يغادر، ثم تمتمت: *كيف عرف ما أفعله هنا بحق السماء ؟* اتصلت دانا بصحيفة جونو إمباير: "مرحباً. أريد أن أتحدث إلى أحد مراسليكم الصحفيين، نيكولاس فيردون...".

ظلت تنصت للحظة، ثم قالت: "ليس لديكم أى صحفى أو مراسل بهذا الاسم ؟ فهمت. شكراً لك".

تطلب الأمر من دانا عشر دقائق حتى انتهت من حزم حقائبها، وهى تفكر: *لابد أن أترك هذا المكان وأعثر على نزل آخر،* ثم تذكرت كلمات بروس بولر: *" ألست تسألين عن كوزى لوج، نزلنا الذى يوفر المبيت والإفطار ؟ يا لك من امرأة محظوظة. لدينا غرفة متاحة".* هبطت دانا إلى الردهة لكى تسدد حساب

الغرفة وتغادر النـزل، ثـم أعطاهـا موظـف الاسـتقبال إرشـادات للوصول إلى نزل كوزى لوج، ورسم لها خريطة صغيرة.

فـى قبـو نفـس المبنـى الحكـومى، قـال الرجـل الـذى يطـالع الخريطة الإلكترونية: "الهدف يغادر منطقة وسط المدينة ويتجـه غربا".

كان نزل كوزى لوج للمبيت والإفطار عبارة عن كـوخ خـشبى أنيق من طابق واحد، يبعد نصف ساعة عن وسـط مدينـة جونـو. رنت دانـا جـرس البـاب الأمـامى، ففـتح البـاب بواسـطة امـرأة مبتسمة، جذابة الملامح، فى الثلاثينات من العمر.

"مرحباً. هل أستطيع مساعدتك ؟".

"نعم. لقد قابلت زوجك، وقد ذكر لى أن لديكم غرفة شاغرة".

"بالتأكيد لدينا. أنا جودى بولر".

"وأنا دانا إيفانس".

"تفضلى بالدخول".

دلفت دانا إلى الـداخل وتطلعـت إلى المكـان مـن حولهـا. كـان النزل يتكون من غرفة معيشة واسـعة ومريحـة، تزينهـا مـدفأة حديدية، وبها غرفة طعام يتناول فيها النزلاء وجباتهم، وغرفتا نوم لكل منهما حمام مستقل.

قالت جودى بولر: "أنا أقوم بكل أعمال الطهى هنا، وطعـامى شهى للغاية".

ابتسمت دانا بلطف وقالت: "أنا أتطلع لتذوقه من الآن".

اصطحبت جودى بولر دانا لكى تريها غرفتها، وكانت غرفة نظيفة ذات طابع منزلى. وعلى الفور، أفرغت دانا حقائبها.

كـان هنـاك زوجـان آخـران يقيمـان فـى النـزل، وكانـت المحادثات تجرى بشكل عابر. ولم يتعرف أى من الزوجين على دانا.

بعد الغداء، قادت دانا سيارتها إلى المدينة مجددا، واتجهت إلى كافيتريا كليـف هـاوس وطلبـت مـشروباً. كـان كـل العـاملين يكتسون بسمرة خفيفة وقد بدت عليهم أمارات الصحة.

"يا له من طقس جميل !" هكذا قالت دانـا وهـى تتحـدث إلى الساقى الشاب أشقر الشعر.

"نعم. طقس ملائم جدا للتزلج".

"هل تتزلج كثيرا؟".

ابتسم الساقى وقال: "متى تمكنت من إيجاد الوقت".

تنهدت دانا وقالت: "إننى أعتبرها رياضة خطيرة، فقد لقيت إحدى صديقاتى مصرعها وهى تتزلج منذ عدة شهور".

وضع الساقى الكأس التى كان يقوم بتلميعهـا وقـال: "تقـولين لقيت مصرعها ؟".

"نعم. جوليا وينثروب".

تجهمت ملامحه وهو يقول: "لقد اعتـادت الحـضور إلى هنـا. لقد كانت سيدة لطيفة".

مالت دانا إلى الأمام وقالت: "لقد سمعت أنـه لم يكـن مجـرد حادث".

اتسعت عينا الساقى وهو يقول: "ماذا تقصدين ؟".

"لقد سمعت أنها كانت جريمة قتل".

قال الساقى بتشكك: "جريمة قتل ؟ مستحيل. لقد كان مجرد حادث".

بعد عشرين دقيقة، كانت دانا تتحدث إلى ساق يعمل بالمقهى بفندق بروسبكتور هوتيل.

"طقس جميل".

قال الساقى: "طقس جيد للتزلج".

هزت دانا رأسها نفياً وقالت: "إنها رياضة خطيرة فى رأيى، فلقد لقيت إحدى صديقاتى مصرعها وهى تتزلج هنا. ربما تكـون قد قابلتها. جوليا وينثروب".

"أوه، بالطبع. لقد كنت معجباً بها كثيراً. أقصد أنها لم تكن تتصرف بتعال، كما يفعل بعض الناس. لقد كانت سيدة متواضعة للغاية".

مالت دانا إلى الأمام وقالت: "لقد سمعت أن مصرعها لم يكن نتيجة حادث".

تغيرت تعبيرات وجه الساقى، ثم قال بصوت خفيض: "أنا أعلم جيدا أنه لم يكن مجرد حادث".

تسارعت ضربات قلب دانا، وقالت بلهفة: "أتعلم ذلك حقا؟".

انحنى الساقى إلى الأمام، وقال بنبرة تآمرية: "بالتأكيد. لقد كان سكان المريخ الملاعين هم.....".

كانت دانا تقف فى أعلى قمة جبل بيتارميجان، مرتدية الزلاجات، وكانت تشعر بالرياح الباردة تنخر فى عظامها. كانت تنظر إلى ذلك الوادى السحيق بالأسفل، محاولة أن تقرر ما إذا كان يجب أن تعود أدراجها، وفجأة أحست بيد تدفعها من الخلف، فاندفعت إلى أسفل المنحدر، وظلت سرعتها تتزايد وتتزايد، وهى تتجه إلى تلك الشجرة الضخمة، وقبل أن تصطدم بها بلحظة، استيقظت من نومها وهى تصرخ.

جلست دانا فى فراشها، وهى ترتجف. *أهذا ما حدث لجوليا وينثروب ؟ ومن هو صاحب تلك اليد التى دفعتها إلى الموت ؟.*

كان إيليوت كرومويل يتحدث بنفاد صبر.

"مات، متى سيعود جيف كونورز بحق السماء ؟ نحن بحاجة إليه".

"قريبا. إنه يتصل بنا بشكل دورى".

"وماذا عن دانا ؟".

"إنها فى آلاسكا يا إيليوت. لكن لماذا تسأل ؟".

"أريدها أن تعود إلى هنا. إن نسبة مشاهدة نشراتنا المسائية فى تدن واضح".

نظر مات بيكر إليه وهو يتساءل عما إذا كان ذلك هو السبب الحقيقى وراء ذلك القلق الذى يعترى إيليوت كرومويل.

فى الصباح، ارتدت دانا ملابسها وقادت السيارة إلى وسط المدينة مجددًا.

وفى المطار، وبينما كانت تنتظر النداء الخاص برحلتها، لاحظت دانا أن رجلاً، يجلس فى أحد الأركان، ينظر إليها من وقت لآخر. وقد بدت ملامح الرجل مألوفة بشكل غريب. كان الرجل يرتدى حلة رمادية داكنة، وكانت ملامحه تذكرها بشخص ما. وقد تذكرت دانا من هو ذلك الشخص. كان رجلاً مختلفاً عمن رأته فى مطار آسبن، وكان هو الآخر يرتدى حلة رمادية داكنة، لكن تشابه الملابس لم يكن هو ما جعل دانا تتذكر، بل كان شيئاً متشابهاً فى سلوكهما. فقد كان كلا الرجلين تحيط به هالة من التعجرف المزعج. كان الرجل ينظر إليها وعلى وجهه نظرة تكاد تصل إلى حد الاحتقار، مما جعل دانا تشعر بقشعريرة تسرى فى أوصالها.

بعد أن استقلت دانا طائرتها، تحدث الرجل فى هاتفه المحمول وغادر المطار.

١٥

عندما عادت دانا إلى المنزل، وجدت شجرة عيد ميلاد صغيرة وجميلة، وعلمت أن السيدة دالى قد اشترتها وزينتها.

قالت السيدة دالى بفخر: "انظرى إلى تلك الزينة. لقد اشتراها كيمال وعلّقها بنفسه".

وفى تلك اللحظة، كان ساكن الشقة المجاورة يراقب ذلك المشهد عبر شاشة التلفاز.

طبعت دانا قبلة تحية على وجنة السيدة دالى وقالت: "كم أحبك يا سيدة دالى".

احمر وجه السيدة دالى خجلاً، وقالت: "أوه، كل هذا من أجل هذه الشجرة الصغيرة !".

"أين كيمال؟".

"إنه فى غرفته. بالمناسبة، لديك رسالتان يا آنسة إيفانس. عليك الاتصال بالسيدة هودسون، وقد تركت لك رقم هاتفها على المزينة. أما الاتصال الثانى فكان من والدتك".

"شكراً لك".

عندما دلفت دانا إلى حجرة المكتب، وجدت كيمال يجلس أمام جهاز الكمبيوتر.

رفع كيمال نظره إلى أعلى وقال: "مرحى ! لقد عدت".

قالت دانا: "نعم، لقد عدت".

"رائع. لقد كانت أتمنى أن تعودى قبل أعياد الميلاد".

احتضنته دانا وهى تقول: "بالتأكيد. ما كنت لأفوت مشاركتك الأعياد مقابل كنوز الدنيا كلها. كيف حال الأمور مع السيدة دالى؟".

"بخير".

"هل تعجبك السيدة دالى؟".

"إنها لطيفة".

ابتسمت دانا وقالت: "أعلم ذلك. سوف أجرى مكالمتين وأعود إليك".

فكرت دانا: *الأنباء السيئة أولاً*. وعلى الفور، اتصلت بهاتف والدتها. لم تكن دانا قد تحدثت إليها منذ ذلك الاستقبال المهين الذى حظيت به - هى وكيمال - فى ويستبورت، وهو الأمر الذى جعل دانا تتساءل: *كيف أمكنها أن تتزوج برجل فظ كهذا؟*

أنصتت دانا إلى رنين الهاتف المتكرر، ثم أتاها صوت والدتها المسجل على جهاز الرد الآلى:

"نحن لسنا فى المنزل الآن، لكن إذا تركت رسالة، فسوف نتصل بك لاحقا. انتظر سماع النغمة".

انتظرت دانا حتى انطلقت النغمة، ثم قالت: "عيد ميلاد سعيد يا أمى"، ثم وضعت سماعة الهاتف.

أما الاتصال الثانى، فكان من نصيب باميلا هودسون.

قالت باميلا: "دانا، أنا سعيدة بعودتك. لقد علمنا من نشرة الأخبار أن جيف خارج المدينة، لكننا، أنا وروجر، سنستضيف بعض المعارف غدا فى حفل عشاء مبكر بمناسبة أعياد الميلاد،

ونريد حضورك أنت وكيمال، وأتمنى ألا تخبرينى أن لديك خططاً أخرى".

قالت دانا: "فى الواقع، ليست لدىّ أية خطط. سوف نسعد كثيرا بالحضور. شكرا يا باميلا".

"رائع. سوف ننتظركما فى الساعة الخامسة، والحضور بالملابس العادية". سكتت باميلا للحظة، ثم أردفت: "كيف تسير الأمور؟".

قالت دانا بصراحة: "لا أدرى.... لا أدرى إلى أية جهة تسير".

"حسناً، تناسى كل هذه الأشياء الآن، وحاولى الحصول على قسط من الراحة. سوف نراكما غدا".

عندما وصلت دانا وبصحبتها كيمال إلى منزل آل هودسون فى يوم عيد الميلاد، قابلهما سيزار عند الباب، وقد تهلل وجهه عندما رأى دانا.

"آنسة إيفانس ! كم أنا سعيد برؤيتك"، ثم ابتسم إلى كيمال وقال: "وسعيد برؤيتك أيضاً يا سيد كيمال".

قال كيمال: "مرحباً يا سيزار".

ناولته دانا رزمة ملفوفة بورق زينة جميل، وقالت: "عيد ميلاد سعيد يا سيزار".

رد سيزار متلعثما: "أنا لا أدرى ماذا.... أنا لم أتوقع.... أنت لطيفة للغاية يا آنسة إيفانس !".

كان العملاق اللطيف ـ كما تسميه دانا ـ قد انتابته حالة من الفرح الطفولى، لكن دانا سرعان ما ناولته رزمتين أخريين وهى تقول: "وهاتان من أجل السيد والسيدة هودسون".

"حسنا يا آنسة إيفانس. سوف أضعهما تحت شجرة عيد الميلاد. إن السيد والسيدة هودسون فى قاعة الضيوف"، ثم قادهما سيزار إلى هناك.

قالت باميلا: لقد وصلتما ! نحن سعداء للغاية لتمكنكما من الحضور".

ردت دانا بنبرة توكيد: "وكذلك نحن".

كانت باميلا تنظر إلى ذراع كيمال اليمنى، ثم قالت: "دانا، إن كيمال يضع.... هذا رائع للغاية !".

ابتسمت دانا وقالت: "إنه كذلك بالفعل. والفضل يعود إلى رئيسى، فقد أثبت أنه رجل ذو أخلاق رفيعة. أعتقد أن تلك الذراع قد غيرت حياة كيمال تغييراً كلياً".

قالت باميلا: "لا يمكننى أن أصف لك كم أنا سعيدة بذلك".

أومأ روجر هودسون برأسه وقال: "تهانينا يا كيمال".

"شكرًا لك يا سيد هودسون".

قال روجر هودسون مخاطباً دانا: "قبل أن يصل بقية الضيوف، هناك أمر أود أن أذكره لك. هل تتذكرين عندما قلت لك إن تايلور وينثروب كان قد أخبر بعض أصدقائه أنه قد تقاعد من الحياة العامة، ثم أصبح بعد ذلك سفيراً للولايات المتحدة فى روسيا؟".

"نعم. أعتقد أن الرئيس ربما يكون قد ضغط عليه لكى....".

"هذا ما كنت أعتقده أيضاً، لكن يبدو أن تايلور وينثروب هو من ألح على الرئيس حتى يعينه سفيراً فى روسيا. والسؤال هو: لماذا فعل ذلك؟".

بدأ بقية الضيوف فى الحضور، كان هناك اثنا عشر شخصاً آخر فى حفل العشاء، وقد مرت الليلة فى جو من الدفء والمرح.

بعد تناول الحلويات، توجه الجميع إلى قاعة الضيوف، التى تزينت بوجود شجرة عيد ميلاد ضخمة، وضعت أمام المدفأة. كانت هناك هدايا للجميع، لكن كيمال هو من نال نصيب الأسد من الهدايا: أسطوانات ألعاب كمبيوتر، زلاجة، سترة صوفية، قفازات، وشرائط فيديو.

مر الوقت بسرعة، وكان لهذه البهجة التى حظيت بها دانا، فى صحبة تلك الزمرة من الأشخاص الودودين، تأثير السحر خاصة بعد الضغط النفسى الذى تعرضت له خلال الأيام السابقة، مما جعلها تفكر: *كم كنت أتمنى أن يكون جيف هنا!*

كانت دانا إيفانس تجلس خلف منصة المذيعين، منتظرة بداية نشرة أخبار الحادية عشرة، وكان ريتشارد ميلتون ـ المذيع الآخر ـ يجلس بجانبها، أما مقعد جيف المعتاد فكانت تحتله مورى فالشتان. وحاولت دانا أن تصرف فكرها عن التفكير فى مسألة غياب جيف.

كان ريتشارد ميلتون يقول لدانا: "لقد افتقدتك كثيرا عندما كنت غائبة".

ابتسمت دانا وقالت: "وأنا أيضاً افتقدتك يا ريتشارد".

"لقد تغيبت لفترة طويلة. هل كل الأمور على ما يرام؟".

"كل الأمور بخير".

"لنتناول العشاء معا بعد النشرة".

"يجب أن أذهب للبيت وأطمئن أن كيمال بخير".

"يمكننا أن نتقابل فى مكان ما".

سرحت دانا بأفكارها، متذكرة ما دار بينها وبين جوان سينسى فى المكالمة الهاتفية الأخيرة التى دارت بينهما: *يجب أن نتقابل فى مكان آخر. أعتقد أن هناك من يراقبنى. نتقابل أمام قفص الطيور بحديقة الحيوان.*

أكمل ريتشارد يقول: "يقولون إنك تحققين فى قضية كبيرة. أتريدين أن تتحدثى معى بشأنها؟".

"ليس هناك ما يستحق الحديث عنه حتى الآن يا ريتشارد".

"لقد سمعت من أحد مروجى الشائعات أن إليوت كرومويل غير سعيد بسفرك المتكرر، وأتمنى ألا تقعى فى متاعب معه".

شردت دانا وهى تتذكر: *دعينى أقدم لك بعض النصائح. لا تبحثى عن المتاعب، وإلا فسوف تجدينها. هذا وعد منى!* كانت دانا تجد صعوبة فى التركيز على ما يقوله ريتشارد.

قال ريتشارد: "إنه مغرم بطرد الموظفين وتدمير مستقبلهم".

وعادت الكلمات تنساب فى عقل دانا: *لقد اختفى بيل كيلى فى نفس اليوم الذى دمر فيه الحريق منزل آل وينثروب، ولم ينتظر حتى أن يتسلم راتبه، بل غادر فجأة وبدون مقدمات.*

وظل ريتشارد ميلتون يتحدث: "ليكن الله شاهداً على أننى لا أريد أن أعمل بصحبة أى مذيع غيرك".

ومجدداً، تذكرت دانا: *لقد كان الشاهد على الحادث سائحاً أمريكيًا، ويدعى رالف بنجامين...رجل أعمى!*

استفاقت دانا من شرودها على صوت آنستاسيا مان وهى تشير بأصابعها: "أربع... ثلاث... اثنين...". ثم تألق الضوء الأحمر بكاميرا التصوير.

وانطلق صوت مقدم النشرة مدويا بالاستوديو: "هذه نشرة أنباء الحادية عشرة من محطة (دبليو. تى. إن)، يقدمها لكم دانا إيفانس وريتشارد ميلتون".

ابتسمت دانا وهى تنظر إلى الكاميرا، قائلة: "أسعد الله مساءكم. معكم دانا إيفانس".

"وريتشارد ميلتون".

ثم بدأ البث المباشر.

"قام رجال الشرطة اليوم بإلقاء القبض على ثلاثة طلاب بمدرسة ويلسون الثانوية بمدينة أرلنجتون بعد تفتيش خزاناتهم والعثور على سبع أوقيات من الماريجوانا وأسلحة متعددة، بما فيها مسدس مسروق. المزيد فى تقرير مراسلتنا هولى راب من موقع الحادث".

وبدأت الشاشة تعرض الشريط المصور.

لكن كانت هناك كلمات أخرى تتردد فى عقل دانا: *نحن لا نواجه الكثير من سرقة اللوحات هنا، وعادة ما يكون أسلوب السرقة واحدًا فى كل مرة. لكن هذه القضية مختلفة.*

انتهى بث النشرة، فنظر ريتشارد ميلتون إلى دانا وهو يقول:

"هل نتقابل فى وقت لاحق؟".

"ليس الليلة يا ريتشارد، فهناك أمر يجب أن أفعله".

نهض ريتشارد من مقعده وقال: "حسنًا". أحست دانا أنه يريد التحدث بشأن جيف، لكنه أردف يقول: "أراكِ غداً".

نهضت دانا وهى تقول: "ليلة طيبة لكم جميعا".

خرجت دانا من الاستوديو، وتوجهت إلى حجرة مكتبها، وجلست خلف المكتب، ثم أدارت جهاز الكمبيوتر، ودلفت إلى شبكة الإنترنت، وبدأت تبحث مجدداً ضمن تلك الأعداد المهولة من العناوين والموضوعات التى تخص تايلور وينثروب. وفى أحد المواقع، وجدت دانا موضوعا يتعلق بشخص يدعى مارسيل فالكون - أحد المسئولين الفرنسيين الذين شغلوا منصب سفير فرنسا لدى حلف الناتو. ولقد ذكر المقال أن مارسيل فالكون يناقش اتفاقية تجارية مع تايلور وينثروب. وأكمل المقال يقول إن مارسيل فالكون قد استقال من منصبه الحكومى وتقاعد عن العمل الرسمى فى منتصف تلك المفاوضات. وأثار الخبر انتباه دانا، فظلت تفكر: *فى منتصف اتفاقية حكومية؟ ماذا يمكن أن يكون قد حدث يا ترى؟*

جربت دانا أن تبحث فى مواقع أخرى، لكن لم يكن هناك أى معلومات إضافية حول هذا الخبر، ولهذا قالت: *يا له من أمر غريب! لابد أن أتحقق من هذه المسألة.*

• • •

عندما انتهت دانا من بحثها عبر الإنترنت، كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، لكنها كانت تعلم أن الوقت مبكر جدا للاتصال بأوروبا. فانطلقت عائدة إلى شقتها، وهناك وجدت السيدة دالى تجلس بانتظارها.

قالت دانا: "أنا آسفة جدا أننى قد تأخرت، أنا....".

"ليست هناك مشكلة. لقد شاهدت النشرة التى قدمتها الليلة، وأعتقد أنك كنت متألقة كالعادة يا آنسة إيفانس".

"شكراً لك".

تنهدت السيدة دالى بأسى وقالت: "لكنى كنت أتمنى لو أن الأخبار لم تكن فظيعة إلى هذا الحد. ما ذلك العالم الذى أصبحنا نعيش فيه؟".

"هذا سؤال جيد. كيف حال كيمال؟".

"إن الطفل الشقى بخير حال، ولقد تركته يهزمنى فى لعب الورق".

ابتسمت دانا وقالت: "حسناً. شكراً لك يا سيدة دالى. إذا أردت الحضور متأخرة فى الغد.....".

"كلا، كلا، سوف أحضر فى وقت مبكر، وفى قمة تألقى حتى أودعكما إلى المدرسة والعمل".

تطلعت دانا إلى السيدة دالى وهى تغادر، وكانت تفكر بامتنان: *كم هى جوهرة نادرة.* انتزعها من أفكارها صوت رنين هاتفها المحمول، فتحركت بسرعة والتقطته، وهى تقول بلهفة: "جيف؟".

انطلق صوته العذب يمسح عنها عناء اليوم وضغوطه: "عيد ميلاد سعيد يا حبيبتي. هل اتصلت فى وقت متأخر؟".

"لست متأخراً أبداً. كيف حال ريتشيل؟".

"لقد عادت إلى المنزل".

فكرت دانا: *لابد أن جيف يقصد أنها قد عادت إلى منزلها.*

أردف جيف يقول: "هناك ممرضة تقوم على رعايتها بالمنزل، لكن ريتشيل سمحت لها بالبقاء حتى الغد فقط".

كرهت دانا أن تطرح سؤالها التالى: "وماذا بعد ذلك؟".

"إن نتائج الاختبارات تشير إلى أن الورم قد انتشر بصدرها، ولهذا فإن ريتشيل لا تريدنى أن أغادر الآن".

"فهمت. أنا لا أريد أن أبدو كشخص أنانى، لكن ألا يوجد شخص آخر يمكنه.....".

"ليس لديها أحد يا حبيبتى، إنها وحيدة تماما وتشعر بالذعر. إلى جانب أنها لن تقبل بوجود أى شخص آخر بجانبها. بصراحة، أنا لا أعلم ماذا يمكن أن تفعل ريتشيل إذا تركتها ورحلت".

فكرت دانا: *وأنا لا أدرى ماذا سأفعل لو أنك بقيت.*

قال جيف: "يريد طاقم الأطباء البدء فى العلاج الكيماوى على الفور".

"وكم من الوقت سيستغرق ذلك؟".

"سوف تحتاج ريتشيل إلى جلسة علاج كيماوى كل ثلاثة أسابيع ولمدة أربعة أشهر".

أربعة أشهر!

أردف جيف يقول: "لقد طلب منى مات أن آخذ إجازة طويلة، أنا فى شدة الأسف بشأن كل هذا يا حبيبتى".

سألت دانا نفسها: *ما الذى يقصده بهذا؟ أهو آسف بشأن وظيفته؟ أم آسف بخصوص ريتشيل؟ أم آسف لأن حياتنا معاً تنهار؟ كيف يمكننى أن أتصرف بهذه الأنانية؟ إن ريتشيل قد تكون فى حالة احتضار.*

قالت دانا أخيراً: "أنا آسفة أيضاً. أتمنى أن تنتهى الأمور على خير"، لكنها كانت تسأل نفسها: *تنتهى على خير من أجل من؟ من أجل ريتشيل وجيف؟ أم من أجلى أنا وجيف؟*

عندما وضع جيف هاتفها المحمول، نظر إلى أعلى ورأى ريتشيل تقف قريبا منه. كانت ترتدى رداء النوم ومن فوقه مئزرا، وكانت تبدو جميلة وكأنما أحاطت بها هالة من الضوء الشفاف.

"أكانت هذه دانا؟".

رد جيف: "نعم".

اقتربت منه ريتشيل وهى تقول: "كم أنت مسكين يا عزيزى! أنا أعلم أن هذا الأمر يؤلمكما بشدة. أنا.... أنا فقط لا أستطيع أن أتجاوز هذه المحنة بدونك. أنا أحتاج إليك يا جيف. أحتاج إليك الآن".

وصلت دانا إلى حجرة مكتبها فى الصباح الباكر، وعلى الفور دخلت إلى شبكة الإنترنت. التقطت عيناها خبرين أثارا انتباهها بشدة. كان كلاهما خبرا عاديا لا يثير الشك عند قراءتهما منفصلين، لكنهما معا يشيران إلى لغز محير.

كان الخبر الأول يقول: "استقال وزير التجارة الإيطالى، فينسنت مانسينو، من منصبه بشكل مفاجئ خلال مفاوضات الاتفاقية التجارية التى يجريها مع تايلور وينثروب - ممثل الولايات المتحدة فى المفاوضات. وقد تولى إيفو فال، مساعد فينسنت مانسينو، المسئولية خلفا له".

وكان الخبر الثانى يقول: "طلب تايلور وينثروب - المستشار الخاص بحلف الناتو فى بروكسل - إعفاءه من مهام منصبه، وعاد إلى منزله فى واشنطن".

لقد استقال كل من مارسيل فالكون وفينسنت مانسينو، وطلب تايلور وينثروب إعفاءه من منصبه بشكل مفاجئ. هل كانت بينهم أى صلة؟ أم أن الأمر لا يعدو مجرد مصادفة؟

أمر مثير للاهتمام!

أجرت دانا مكالمتها الأولى إلى دومينيك رومانو، والذى كان يعمل بشبكة أخبار ايطاليا ١ فى روما.

"دانا ! كم أنا سعيد بسماع صوتك. كيف حالك؟".

"أنا آتية إلى روما، وأود التحدث إليك".

"عظيم ! عمّ تريدين التحدث؟".

ترددت دانا قليلاً قبل أن تقول: "أفضل أن أناقش الأمر عندما أصل".

"ومتى ستصلين؟".

"سأكون عندكم يوم السبت".

"سوف أُعد لك المكرونة بالسمن".

أما المكالمة الثانية فكانت من نصيب جين سومفيل، الذى يعمل بالمقر الصحفى الخاص بحلف الناتو، والذى يقع على طريق رودس شابلييرز بالعاصمة بروكسل.

"جين؟ أنا دانا إيفانس".

"دانا ! أنا لم أرك منذ أن كنت تعملين فى سراييفو. لقد كانت أياما مثيرة. هل ستعودين إلى هناك فى يوم من الأيام؟"

تجهمت ملامح دانا وهى تجيب: "على جثتى !".

"ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك يا عزيزتى؟".

"سوف أحضر إلى بروكسل خلال الأيام القليلة القادمة. هل ستكون موجوداً؟".

"من أجلك؟ بالطبع. أهناك أحداث أو قضايا مثيرة؟".

ردت دانا بسرعة: "كلا".

قال جين ونبرة الشك واضحة فى صوته: "مجرد سياحة واستمتاع بالمناظر الخلابة، أليس كذلك؟".

قالت دانا: "شيء من هذا القبيل".

ضحك جين وهو يرد: "إننى أتطلع للقائك.إلى اللقاء".

"إلى اللقاء".

"مات بيكر يريدك أن تحضرى إلى مكتبه".

"أخبريه بأننى سآتى على الفور يا أوليفيا".

أجرت دانا مكالمتين أخريين، ثم توجهت إلى مكتب مات بيكر.

قال مات بدون مقدمات: "ربما نكون قد توصلنا إلى شيء. لقد سمعت قصة بالأمس قد تمثل بداية خيط للقضية التى نحقق فيها".

أحست دانا بضربات قلبها تتسارع وهى تجيب: "ماذا سمعت؟".

مرر إليها مات ورقة فوق سطح مكتبه وهو يقول: "هناك رجل يدعى ديتر زاندر، يعيش فى دوسلدورف. لقد كانت هناك أعمال من نوع ما بينه وبين تايلور وينثروب".

كانت دانا تنصت باهتمام إلى مات بيكر وهو يكمل:

"ليست لدىّ القصة بالكامل، لكن يبدو واضحا أن شيئاً سيئاً قد حدث بينهما، مما أدى إلى حدوث انفصال عنيف فى العمل بينهما، وقد أقسم زاندر على قتل وينثروب. تبدو مسألة تستحق التحقق منها".

"بالتأكيد تبدو كذلك، سوف أبدأ التحقق من الموضوع على الفور يا مات".

وتحدثا لبضع دقائق أخرى، ثم انصرفت دانا.

قالت دانا لنفسها: *ترى كيف يمكننى أن أتحقق من تلك المسألة؟* ثم تذكرت جاك ستون والوكالة الفيدرالية للأبحاث، فقالت: *ربما يعرف شيئا عن الموضوع.* بحثت دانا عن رقم هاتفه الخاص الذى أعطاه لها، ثم اتصلت به على الفور.

انساب صوته عبر الهاتف: "جاك ستون".

"أنا دانا إيفانس".

"مرحباً آنسة إيفانس. ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك؟".

"أنا أحاول العثور على معلومات بخصوص رجل يدعى زاندر، يعيش فى دوسلدورف".

"أتقصدين ديتر زاندر؟".

"نعم. هل تعرفه؟".

"نحن نعرف من يكون".

لاحظت دانا استخدامه للضمير (نحن)، لكنها قالت له: "هل يمكنك أن تخبرنى بأى شىء عنه؟".

"ألهذا علاقة بمسألة تايلور وينثروب؟".

"نعم".

"لقد كان ديتر زاندر وتايلور وينثروب شركاء فى صفقة تجارية، وقد حُكم على زاندر بالسجن لتلاعبه ببعض الأسهم. وبينما كان فى السجن، احترق منزله، مما أدى إلى مصرع زوجته وأطفاله الثلاثة، وألقى زاندر بالمسئولية على تايلور وينثروب".

فكرت دانا: *ولقى تايلور وينثروب وزوجته مصرعهما فى حريق دمر منزلهما*. كانت دانا تنصت إلى جاك وهى تشعر بالصدمة، ثم قالت: "لا يزال زاندر فى السجن؟".

"كلا. أعتقد أنه قد خرج من السجن فى العام الماضى. أهناك شىء آخر تريدينه؟".

"كلا. شكراً جزيلاً لك".

"هذا الأمر ليس للنشر أو الإذاعة".

"أفهم ذلك".

فكرت دانا: *هناك الآن ثلاث وجهات:*

ديتر زاندر فى دوسلدورف.

فينسنت مانسينو فى روما.

مارسيل فالكون فى بروكسل.

سوف أتوجه إلى دوسلدورف أولاً.

قالت أوليفيا: "السيدة باميلا هودسون على الخط رقم ثلاثة".

"شكراً لك". التقطت دانا سماعة الهاتف وقالت: "باميلا؟".

"مرحبا، دانا. أعلم أن الأمر مفاجئ، لكن أحد أصدقاء روجر المقربين وصل إلى المدينة، وسوف نقيم له حفلاً صغيراً ليلة الأربعاء القادم. أعلم أن جيف لا يزال خارج المدينة، لكننا نود حضورك. هل يمكنك الحضور؟".

"أخشى أننى لن أستطيع، فأنا مسافرة إلى دوسلدورف هذه الليلة".

"أوه، آسفة لعدم تمكنك من الحضور".

"هناك أمر آخر يا باميلا.....".

"ماذا؟"

"ربما يغيب جيف لمدة طويلة".

ساد الصمت للحظة، ثم قالت باميلا: "أتمنى أن تكون كل الأمور على ما يرام".

"نعم. أنا واثقة من أنها ستكون كذلك" ـ *لابد أن تكون كذلك*.

١٦

فى عشية ذلك اليوم، استقلت دانا طائرة تابعة لشركات طيران لوفتهانزا الألمانية من مطار دولس متجهة إلى دوسلدورف. وكانت دانا قد اتصلت بستيفن مولر، الذى يعمل بشبكة كابل نتورك الألمانية، لتخبره بأنها فى الطريق إليه. كان عقل دانا مشغولاً بالتفكير فيما قاله لها مات بيكر: *لو أن ديترزاندر قد ألقى باللوم على تايلور وينثروب فيما يتعلق ب.....*

"مساء الخير. أنا هيرمان فردريش. أهذه أول زيارة لك إلى الأراضى الألمانية؟".

التفتت دانا للرجل الذى يجلس بجوارها ـ والذى نطق بتلك الكلمات باللغة الألمانية. كان الرجل فى الخمسينات من العمر، أنيق المظهر، يضع رقعة فوق إحدى عينيه، وله شارب كث.

قالت دانا بالإنجليزية: "مساء الخير".

"أوه، هل أنت أمريكية؟".

"نعم".

"الكثير من الأمريكان يزورون دوسلدورف، فهى مدينة جميلة للغاية".

قالت دانا: "هكذا سمعت"، لكن عقلها كان يفكر: *وقد لقيت عائلته مصرعها فى حريق.*

"هل هذه زيارتك الأولى؟".

قالت: "نعم"، لكنها كانت تتمتم: *هل كان الأمر مجرد مصادفة؟*

"إنها جميلة.... جميلة جداً. إن مدينة دوسلدورف يشطرها نهر الراين إلى قسمين، والجانب الأقدم موجود على الضفة اليمنى للنهر....".

لكن دانا كانت تفكر: *يستطيع ستيفن مولر أن يخبرنى بالمزيد عن ديترزاندر.*

أردف هيرمان فردريش: ".....والجانب الحديث موجود على الضفة اليسرى للنهر. وهناك خمسة جسور تربط الجانبين معاً"، ثم تحرك مقتربا من دانا وهو يضيف: "هل ستزورين بعض الأصدقاء فى دوسلدورف؟".

لكن دانا كانت تتمتم فى شرود: *لقد بدأت معالم اللغز تتضح.*

مال هيرمان فردريش بجسده أكثر وهو يقول: "إذا كنت بمفردك، فأنا أعرف....".

"ماذا؟ أوه، كلا، سوف أقابل زوجى هناك".

تلاشت ابتسامة هيرمان فردريش وهو يقول بالألمانية: حسناً. إن زوجك رجل سعيد الحظ".

كان هناك صف من سيارات الأجرة يقبع أمام مطار دوسلدورف الدولى، فاستقلت دانا إحداها إلى بريدنباشر هوف، وهو فندق أنيق عتيق الطراز، يقع فى وسط المدينة ويتميز بردهته المنمقة بالزخارف.

قال موظف الاستقبال: "لقد كنا ننتظرك يا آنسة إيفانس. مرحبا بك فى دوسلدورف".

قالت دانا وهى توقع فى سجل النزلاء: "أشكرك".

التقط موظف الاستقبال سماعة الهاتف وتحدث عبرها بالألمانية: "سيد راون، من الأفضل أن تسرع فيما تفعله"، ثم وضع السماعة والتفت إلى دانا قائلا: "أنا آسف جدا يا سيدتى. غرفتك لم تجهز بعد. أرجو أن تتناولى بعض الطعام كضيفة للفندق، وسوف أناديك عندما تنتهى الخادمة من تنظيف الغرفة".

أومأت دانا وقالت: "حسناً".

"دعينى أرك قاعة الطعام".

وفى غرفة دانا بالطابق العلوى، كان هناك خبيرا إلكترونيات يضعان كاميرا تجسس وراء ساعة الحائط.

بعد ثلاثين دقيقة، كانت دانا فى غرفتها، وكانت تفرغ محتويات حقائبها. وكانت مكالمتها الأولى إلى شبكة كابل نتورك.

قالت دانا: "لقد وصلت يا ستيفن".

"دانا ! لم أصدق أنك قادمة بالفعل. ما هى خططك بخصوص العشاء؟".

"أتمنى أن أتناوله بصحبتك".

"لك هذا. سوف نذهب إلى مطعم إيم شيفشين. الساعة الثامنة؟".

"ممتاز".

كانت دانا قد ارتدت ملابسها وفى طريقها إلى خارج الغرفة رن جرس هاتفها المحمول، فأخرجته بسرعة من حقيبة يدها.

"مرحباً؟".

"مرحباً يا عزيزتى. كيف حالك؟".

"أنا بخير يا جيف".

"وأين أنت الآن؟".

"فى دوسلدورف بألمانيا. أعتقد أننى قد توصلت أخيرا إلى شىء مهم".

"دانا، احترسى لنفسك. يا إلهى، أتمنى لو كنت معك".

فكرت دانا: *وهذا ما أتمناه أيضاً*، ثم قالت: "كيف حال ريتشيل؟".

"إن جلسات العلاج الكيماوى تستنزف طاقاتها. إنها جلسات مرهقة وصعبة للغاية".

"هل ستكون بـ...؟"ولم تستطع دانا أن تكمل الجملة.

"ما زال الوقت مبكرا لمعرفة ذلك، لكن لو نجحت جلسات العلاج الكيماوى بشكل فعال، فهناك احتمال جيد لشفاء ريتشيل من المرض".

"جيف، أرجو أن تخبرها بأسفى العميق".

"سوف أفعل. أهناك ما يمكننى أن أفعله من أجلك؟".

"شكراً لك. أنا بخير".

"سوف أتصل بك غدا. لقد أردت فقط أن أتصل لكى أخبرك بأننى أحبك".

"وأنا أيضاً أحبك. إلى اللقاء".

"إلى اللقاء".

خرجت ريتشيل من غرفة نومها، وكانت ترتدى مئزرا وحذاء خفيفا، وتلف رأسها بمنشفة تركية.

"كيف حال دانا؟".

"إنها بخير يا ريتشيل. لقد طلبت منى أن أبلغك بمدى أسفها من أجلك".

"إنها تحبك كثيراً".

"وأنا أيضاً أحبها كثيراً".

اقتربت ريتشيل منه وهى تقول: "لقد كنا، أنا وأنت، نحب بعضنا البعض، أليس كذلك يا جيف؟ فما الذى جرى لنا؟".

هز جيف كتفيه وقال: "إنها الحياة. أو ربما كان من الأصح أن أقول"اختلاف الحياة"فقد كان كل منا يعيش حياة منفصلة عن الآخر".

قالت ريتشيل: "لقد كنت مشغولة للغاية بمستقبلى المهنى كعارضة أزياء"، ثم أردفت ـ وهى تحاول جاهدة مكابدة دموعها: "حسناً، لن يكون بإمكانى أن أفعل ذلك لاحقاً، أليس كذلك؟".

وضع جيف ذراعه على كتفها وقال: "سوف تكونين بخير يا ريتشيل. سوف يؤتى العلاج الكيماوى بنتائجه المرجوة".

"أعلم ذلك. شكرا لك على بقائك معى يا عزيزى. ما كنت لأستطيع مواجهة هذه المحنة بمفردى. أنا لا أعلم ماذا يمكننى أن أفعل بدونك".

لم يكن جيف يمتلك رداً على كلماتها هذه.

كان إيم شيفشين عبارة عن مطعم فاخر يقع فى منطقة راقية فى دوسلدورف. دلف ستيفن مولر إلى الداخل وابتسم عندما رأى دانا.

"دانا ! يا إلهى ! أنا لم أرك منذ أيام سراييفو".

"يبدو كأنه دهر بعيد، أليس كذلك؟".

"ما الذى تفعلينه هنا؟ هل حضرت من أجل المهرجان؟".

"كلا. لقد طلب منى أحدهم أن أبحث له عن أحد أصدقائه القدامى". وفى تلك اللحظة، تقدم منهما النادل، فطلبا بعض المشروبات.

قال ستيفن: "ومن هو ذلك الصديق؟".

"اسمه ديتر زاندر. هل سمعت به؟".

أومأ ستيفن برأسه وقال: "لقد سمع به الجميع، فهو شخصية مثيرة للانتباه، وقد تورط فى فضيحة كبرى. لقد كان ملياردير ا، لكنه كان غبياً بدرجة جعلته يخدع بعض حملة الأسهم ويعرض

نفسه للسجن. كان من المفترض أن يحكم عليه بالسجن لعشرين عاماً، لكنه استخدم نفوذه واتصالاته، فأطلقوا سراحه بعد ثلاث سنوات فقط. ومع ذلك فهو يدعى أنه برىء".

كانت دانا تدرس ملامحه، ثم سألته: "وهل هو كذلك؟".

"من يدرى؟ لقد ادعى أثناء جلسات محاكمته أن تايلور وينثروب قد لفق له التهمة واستولى على ملايين الدولارات. لقد كانت محاكمة مثيرة للغاية. وطبقاً لما قاله زاندر، فقد عرض عليه تايلور وينثروب أن يشاركه فى منجم زنك، من المفترض أنه يساوى الملايين، وقد استخدم تايلور وينثروب زاندر كواجهة. وقد باع زاندر أسهما تصل قيمتها إلى ملايين الدولارات، لكن اتضح أن المنجم كان مملحاً".

"مملحا؟".

"لم يكن به أى زنك على الإطلاق. لقد حصل وينثروب على الملايين، وحكم على زاندر بالسجن".

"ولم تصدق هيئة المحلفين قصة زاندر هذه؟".

"لو أنه كان قد اتهم أى شخص آخر غير تايلور وينثروب، لربما كانوا صدقوه، لكن تايلور وينثروب أسطورة فى نظر الناس". نظر إليها ستيفن بفضول، ثم سألها: "ما سر اهتمامك بهذا الأمر؟".

قالت دانا مراوغة: "كما قلت لك، لقد طلب منى أحد أصدقاء زاندر القدامى أن أبحث عنه".

كان الوقت قد حان لطلب العشاء.

كانت وجبة العشاء لذيذة. وعندما انتهت، قالت دانا: "أعلم أننى سوف أكره نفسى فى الصباح، لكن ذلك الطعام كان يستحق الأكل حتى القضمة الأخيرة".

عندما أوصل ستيفن دانا إلى الفندق الذى تنزل فيه، قال: "هل تعلمين أن الدب الدمية اخترع هنا فى دوسلدورف على يد امرأة

اسمها مارجريت شتيف؟ لقد أصبح ذلك الدب الدمية لعبة يحبها ويحتضنها الأطفال في كل مكان بالعالم".

كانت دانا تنصت إليه وهي تتساءل عن مقصده من وراء كلماته تلك.

قال ستيفن: "لدينا دببة حقيقية هنا في ألمانيا، وهي خطيرة جدا يا دانا. عندما تقابلين ديتر زاندر، احترسي لنفسك. فالرجل قد يبدو مثل الدب الدمية، لكنه ليس كذلك.... إنه دب شرس ومتوحش".

كانت شركة زاندر الدولية للإلكترونيات تحتل مبنى كبيرًا على أطراف المنطقة الصناعية خارج ضواحي دوسلدورف. اقتربت دانا من إحدى موظفات الاستقبال الثلاث داخل تلك الردهة المزدحمة.

"أريد أن أقابل السيد زاندر".

"ألديك موعد سابق؟".

"نعم. أنا دانا إيفانس".

"لحظة من فضلك". تحدثت موظفة الاستقبال عبر الهاتف، ثم نظرت إلى دانا وقالت: "متى حددت تلك المقابلة يا سيدتي؟".

ردت دانا، وهي تكذب: "منذ عدة أيام".

"للأسف الشديد ليس لدى سكرتيرة السيد زاندر أي علم بتلك المقابلة".

تحدثت موظفة الاستقبال عبر الهاتف مجددا، ثم وضعت السماعة وهي تقول: "لا يمكن رؤية السيد زاندر بدون موعد سابق".

استدارت موظفة الاستقبال لتتحدث مع ساعٍ يقف أمام مكتب الاستقبال، وكان هناك مجموعة من الموظفين يمرون عبر باب المبنى، فتراجعت دانا بعيداً عن مكتب الاستقبال وانضمت

إليهم، ثم تحركت معهم إلى منتصف الردهة، وأخيراً إلى داخل المصعد الكهربي.

وبينما بدأ المصعد يرتفع إلى أعلى، قالت دانا: "أوه، يا إلهي! لقد نسيت أن أسأل عن الدور الذي يوجد فيه مكتب السيد زاندر".

فقالت إحدى الموظفات بالألمانية: "الدور الرابع".

قالت دانا: "شكراً لك". خرجت دانا من المصعد في الدور الرابع وتوجهت إلى ذلك المكتب الذي جلست خلفه فتاة شابة، وقالت: "أنا هنا لرؤية السيد ديتر زاندر. أنا دانا إيفانس".

تجهمت ملامح السكرتيرة الشابة وهي ترد: "لكن ليس لديك موعد لمقابلة السيد زاندر يا سيدتي".

مالت دانا إلى الأمام وقالت بصوت خافت: "أخبري السيد زاندر أنني سأذيع برنامجا عبر التليفزيون الوطني في الولايات المتحدة الأمريكية عنه وعن أسرته ما لم يتحدث معي، وقولي له إن من مصلحته أن يتحدث إليّ الآن".

كانت السكرتيرة تتطلع إليها بحيرة، ثم قالت: "لحظة واحدة من فضلك". وشاهدتها دانا وهي تقوم من خلف مكتبها، وتفتح باباً كتب عليه كلمة "خاص" ثم تدلف إلى الداخل.

أخذت دانا تتطلع في أرجاء مكتب الاستقبال. كانت هناك صور معلقة فوق الحوائط لمصانع زاندر للإلكترونيات في مختلف بلدان العالم. وقد كانت شركة زاندر تمتلك أفرعا في الولايات المتحدة، فرنسا، إيطاليا..... *وهي تلك البلدان التي تمت فيها جرائم قتل أفراد عائلة وينثروب.*

عادت السكرتيرة بعد دقيقة وقالت: "سوف يستقبلك السيد زاندر الآن، ولكنه لديه دقائق معدودة فقط. إن هذا الأمر غير.... غير معتاد على الإطلاق".

قالت دانا: "شكراً لك".

قادتها السكرتيرة إلى مكتب متسع، كسيت حوائطه بالألواح الخشبية، ثم قالت: "هذه هى الآنسة إيفانس".

كان ديتر زاندر يجلس خلف مكتب ضخم، وكان رجلاً فى الستينات من العمر، ضخم الجثة، ذا وجه طفولى برىء وعينين بنيتين صافيتين، مما جعل دانا تتذكر كلمات ستيفن عن الدب الدمية.

نظر زاندر إلى دانا وقال: "لقد تعرفت عليك. أنت المراسلة التليفزيونية التى كانت تغطى أخبار الحرب فى سراييفو".

"نعم".

"أنا لا أفهم ماذا تريدين منى. لقد قالت السكرتيرة إنك قد ذكرت عائلتى فى كلامك".

"هل تسمح لى بالجلوس؟".

"تفضلى".

"لقد أردت أن أتحدث إليك بخصوص تايلور وينثروب".

انعقد حاجبى زاندر وهو يرد: "وماذا بشأنه؟".

"إننى أقوم بتحقيق إخبارى يا سيد زاندر، وأعتقد أن تايلور وينثروب وعائلته قد تعرضوا للقتل".

تحولت عينا ديتر زاندر إلى البرود التام وهو يقول: "أظن أن من الأفضل أن تغادرى مكتبى الآن".

قالت دانا: "لقد كانت تربطك به علاقة عمل و.....".

"غادرى المكتب !".

"سيد زاندر، أعتقد أنه من الأفضل لك أن تناقش هذا الأمر معى بصورة شخصية عن أن تشاهده، أنت وأصدقاؤك، على شاشة التلفاز. إننى أريد أن أكون عادلة فى أسلوب تناولى الحديث، ولهذا أريد أن أسمع القصة من جانبك".

ظل ديتر زاندر صامتاً لمدة طويلة. وعندما تحدث، كانت نبرات صوته تحمل مرارة عميقة: "لقد كان تايلور وينثروب رجلاً حقيراً. لكنه كان ذكياً... ذكياً للغاية. لقد لفق التهمة لى.

وبينما كنت فى السجن يا سيدتى، ماتت زوجتى وأطفالى. لو كنت موجودا بالمنزل وقتها... لكان بإمكانى إنقاذهم". كانت صوته ممتلئا بالألم وهو يردف: "صحيح أننى كنت أكره ذلك الرجل، لكن هل كانت كراهيتى كافية لتجعلنى أقتل تايلور وينثروب؟ كلا"، ثم ابتسم زاندر ابتسامة الدب الدمية وقال: "طاب مساؤك يا آنسة إيفانس".

اتصلت دانا بهاتف مات بيكر: "مات، أنا فى دوسلدورف. لقد كنت على حق. ربما أكون قد توصلت إلى شىء. لقد كان ديتر زاندر متورطا فى صفقة تجارية مع تايلور وينثروب، وهو يدعى أن الأخير قد لفق له تهمة وتسبب فى إرساله للسجن. والغريب أن زوجة زاندر وأطفاله قد لقوا مصرعهم فى حريق أتى على منزلهم بينما كان زاندر خلف القضبان".

سادت لحظة من صمت الصدمة، ثم قال مات: "أتقولين إنهم قد لقوا حتفهم فى حريق؟".

قالت دانا: "هذا صحيح".

"بنفس الطريقة التى توفى بها تايلور وزوجته مادلين".

"نعم. كان عليك أن ترى النظرة التى ارتسمت على وجه زاندر عندما تحدثت عن أن وفاة تايلور وينثروب ربما تكون نتيجة جريمة قتل".

"إذن فكل الأجزاء تترابط أخيراً، أليس كذلك؟ لقد كان لدى زاندر دافع للتخلص من عائلة وينثروب بالكامل. لقد كنت على حق بشأن جرائم القتل من البداية. أنا.....أنا لا أكاد أصدق ما أسمعه".

"يبدو الأمر منطقياً يا مات، لكن لا يوجد دليل على حدوثه حتى الآن. لدى محطتان أخريان سأعرج عليهما. سوف أتوجه إلى روما فى الصباح، وسوف أعود إلى واشنطن خلال يوم أو يومين".

"احترسى لنفسك".

"أعدك بهذا".

في مقر الوكالة الفيدرالية للأبحاث، كان هناك ثلاثة رجال يشاهدون دانا وهي تتحدث عبر الهاتف من غرفتها بالفندق، وذلك على شاشة تليفزيونية حائطية كبيرة.

كانت دانا تقول: "لدى محطتان أخريان سأعرج عليهما. سوف أتوجه إلى روما في الصباح، وسوف أعود إلى واشنطن خلال يوم أو يومين".

شاهد الرجال دانا وهي تضع سماعة الهاتف، ثم تنهض من مجلسها، وتسير إلى الحمام. تغير المشهد المعروض على الشاشة إلى كاميرا دقيقة الحجم موضوعة داخل خزانة الأدوية بالحمام.

"يا للجمال. كم يتمنى المرء امرأة كهذه !".

شاهد الرجال دانا وهي تدلف إلى داخل حوض الدش وتغلق الباب خلفها. ثم بدأ البخار يغطي الباب الزجاجي ويحجب الرؤية.

تنهد أحد الرجال وقال: "انتهى العرض الآن، وسوف يبدأ عرض الفيلم مجددا في الحادية عشرة مساءً".

• • •

كانت جلسات العلاج الكيماوي تمثل جحيما لا يطاق بالنسبة لريتشيل. فقد كانت تحقن بعقاري أدر يا مايسين وتاكسوتير عبر الوريد، وكانت العملية تستغرق أربع ساعات.

قال الطبيب يونج لجيف: "إنها مرحلة صعبة جدا بالنسبة لها. فسوف تشعر بالغثيان والجفاف الشديد، وسوف تعاني من فقدان شعرها. وبالنسبة لامرأة، فإن ذلك قد يكون أقسى الأعراض الجانبية تأثيرا على الإطلاق".

"هذا صحيح".

في ظهيرة اليوم التالي، قال جيف لريتشيل: "ارتدى ملابسك. سوف نخرج في جولة".

"جيف، أنا لا أشعر بأنني مستعدة لـ....".

"بدون جدال".

بعد ثلاثين دقيقة، كانا بداخل أحد محال بيع الشعر المستعار، وكانت ريتشيل تجرب باروكة بعد أخرى، وهي تبتسم وتقول لجيف: "إنها مجموعة جميلة من الشعر المستعار. أتفضل الباروكة القصيرة أم الطويلة؟"

قال جيف: "كلاهما تعجبني، وإذا مللت من هاتين، فسوف نأتي ونبحث لك عن باروكة شعر أسود أو أحمر"، ثم رق صوته وهو يردف: "أما عن نفسي، يعجبني شكلك كما أنت".

امتلأت عينا ريتشيل بالدموع وهي ترد: "وأنت أيضا تعجبني كما أنت".

١٧

لكل مدينة إيقاعها الخاص، ولمدينة روما إيقاع لا يشبه إيقاع أى مدينة أخرى فى العالم، فهى عاصمة حديثة مغلفة بعبق تاريخ من المجد امتد لقرون طويلة، إنها تتحرك بسرعتها الخاصة، وذلك لأنها ليست بحاجة إلى الإسراع. فغداً سوف يأتى فى وقته المحدد.

لم تطأ قدما دانا أرض روما منذ أن كانت فى الثانية عشرة من العمر، عندما اصطحبها والدها ووالدتها إلى هناك. ولقد كان هبوط الطائرة فى مطار ليوناردو دافنشى الدولى كفيلاً بإثارة الكثير من الذكريات، وتذكرت دانا يومها الأول فى روما، عندما زارت مدرج الكوليسيوم ، ذلك المكان الذى كان يُلقى فيه بالمهاجرين الأوائل إلى الأسود، ولم تستطع بعدها أن تنام نوماً هنيئاً لمدة أسبوع كامل.

وكذلك فقد اصطحبها والداها لزيارة الفاتيكان وميدان المدرجات الإسبانية، وقامت بإلقاء عملة معدنية فى نافورة

تريفى، وهى تتمنى أن يتوقف والداها عن الشجار، وعندما اختفى والدها، شعرت دانا أن النافورة قد خانت ثقتها.

تذكرت دانا حين ذهبت لمشاهدة أوبرا عطيل على مسرح تيرمى دى كاراكالا ـ مسرح الحمامات الرومانية ـ وكانت ليلة لن تنساها طيلة حياتها.

كما تناولت المثلجات فى متجر "دونى" الشهير بشارع فيا فينتو، وجابت شوارع ترستيفير المزدحمة بالبشر، كانت دانا تعشق روما وأهلها، وهذا ما جعلها تتمتم فى تعجب: *من كان يتصور أن أعود إلى روما بعد مرور تلك السنوات الطوال لكى أبحث عن قاتل متسلسل؟*

نزلت دانا فى فندق هوتيل سيسيرونى، بالقرب من ساحة بيازا نافونا.

حياها مدير الفندق قائلاً: "صباح الخير، نحن سعداء لنزولك بفندقنا يا آنسة إيفانس. فهمت أنك سوف تبقين هنا ليومين؟".

ترددت دانا قليلاً، ثم قالت: "أنا غير متأكدة".

ابتسم المدير وقال: "لا توجد مشكلة، لقد حجزنا لك جناحاً جميلاً. وإذا كان هناك ما يمكننا عمله من أجلك، فلا تترددى فى طلبه".

فكرت دانا: *إن ايطاليا بلد ودود للغاية.* وتذكرت جيرانها القدامى، دوروثى وهوارد وارتون، وخطرت بعقلها كلمات هوارد: *أنا لا أدرى كيف علمت تلك الشركة بأمرى، ولكنهم أرسلوا مندوبا بالطائرة ليتعاقد معى.*

بدافع غريزى بحت، قررت دانا أن تتصل بآل وارتون، ولهذا طلبت من موظفة الاستقبال أن يمدها برقم مؤسسة إيتاليانو ريبرستينو.

"أود التحدث إلى هوارد وارتون من فضلك".

"هلا تهجيت لى الاسم من فضلك؟".

تهجت دانا حروف اسم هوارد وارتون.

"شكراً لك، لحظة واحدة".

طالت اللحظة الواحدة حتى صارت خمس دقائق، ثم عاد صوت موظفة الاستقبال مجدداً:

"أنا آسفة، لا يوجد لدينا موظف اسمه هوارد وارتون".

وعلى الفور تذكرت دانا كلمات هوارد: *وشرطهم الوحيد هو أن نكون فى روما فى صباح الغد.*

هاتفت دانا دومينيك رومانو - المذيع التليفزيونى بقناة إيطاليا ١.

"أنا دانا. لقد وصلت إلى روما يا دومينيك".

"دانا ! كم أنا سعيد بحضورك. متى يمكننا أن نلتقى؟".

"حدد الوقت المناسب لك".

"أين تقيمين؟".

"فى فندق سيسيرونى".

"استقلى سيارة أجرة واطلبى من السائق أن يقلك إلى تولا، سوف ألقاك هناك فى غضون نصف ساعة".

• • •

يعتبر مطعم تولا، الذى يقع بشارع فيا ديلا لوبا، أحد أشهر المطاعم فى روما، عندما وصلت دانا إلى المطعم، وجدت دومينيك يجلس بانتظارها.

"صباح الخير. من الجيد أن أراك بدون سقوط قنابل".

"من الجيد أن أراك أيضا يا دومينيك".

هز دومينيك رأسه فى أسف وقال: "لقد كانت حرباً وحشية بلا طائل. ربما تكون أكثر وحشية من بقية الحروب. حسنا، ماذا تفعلين فى روما؟".

"لقد حضرت لمقابلة رجل يقيم هنا".

"ومن يكون سعيد الحظ هذا؟".

"فينسنت مانسينو".

تغيرت تعبيرات وجه دومينيك وهو يقول: "ولماذا تريدين مقابلته؟".

"ربما لا يكون هناك شىء وراءه، لكنى أجرى تحقيقاً حول موضوع قد يكون له صلة به. والآن أخبرنى بما تعرفه عن مانسينو".

فكر دومينيك رومانو طويلاً قبل أن يتحدث: "لقد كان مانسينو وزيراً للتجارة، وله خلفية تربطه بعصابات المافيا، وكان من عادته أن يحمل عصا كبيرة. على أى حال، لقد استقال فجأة من منصب حكومى كبير ، ولا أحد يعرف سبب قيامه بذلك". نظر دومينيك إلى دانا بفضول وأردف: "ما سبب اهتمامك بذلك الرجل؟".

تحاشت دانا الإجابة عن السؤال وقالت: "لقد بلغنى أن مانسينو كان يتفاوض لإتمام اتفاقية تجارية حكومية مع الولايات المتحدة التى كان يمثلها تايلور وينثروب قبل أن يقدم مانسينو استقالته".

"نعم، لقد أنهى تايلور وينثروب المفاوضات مع شخص آخر".

"وكم بقى تايلور وينثروب فى روما؟".

فكر دومينيك للحظة، ثم أجاب: "حوالى شهرين. ولقد أصبح صديقاً مقرباً لمانسينو". ثم أضاف دومينيك: "لكن شيئا قد حدث بينهما".

"ماذا؟".

"من يدرى؟فهناك الكثير من القصص تنتشر حول هذه المسألة. لقد كان لدى مانسينو ابنة واحدة، وتدعى بيا، وقد اختفت فى ظروف غامضة، مما سبب لزوجة مانسينو انهياراً عصبياً حاداً".

"مـا الـذى تعنيـه بـأن ابنتـه قـد اختفت؟هـل تعرضـت للاختطاف؟".

"كلا. ما حدث هو أنها قد.....". حـاول دومينيك أن يعثـر على الكلمة المناسبة: ".....اختفت. ولا أحد يعلم مـاذا حـدث لها"، ثم تنهد وأردف: "يمكننـى أن أقـول لـك إن بيـا مانـسينو كانت فتاة رائعة الجمال".

"وأين زوجة مانسينو الآن؟".

"تقول الشائعات إنها تقيم فى مصحة نفسية".

"وهل تعرف مكان تلك المصحة؟".

"كلا، وأنصحك ألا تحـاولى معرفـة ذلـك". حـضر النـادل إلى طاولتهما، فقال دومينيـك: "أنـا أعـرف ذلـك المطعـم جيـداً. هـل تسمحين لى بأن أطلب الطعام لك؟".

"بالطبع".

"حسنا". التفت دومينيك إلى النادل وقال لـه بعـض الكلمـات بالإيطالية.

قال النادل: "على الفور يا سيدى".

كان الطعام شهيا للغاية، وتحولـت المحادثـة إلى موضـوعات عادية خفيفة، لكن عندما استعدا للمغادرة، قال دومينيك: "دانا، ابتعدى عن مانسينو. إنه ليس الرجل الـذى سيرحب بـالتحقيق معه".

"لكن لو أنه.....".

"انسى أمره، باختصار.....اعتبرى أن لسانه قد قطع".

"شكرًا يا دومينيك. أقدر لك النصيحة".

كانت مكاتب فينسنت مانسينو تقع فى مبنى حديث يمتلكـه بشارع فيا ساردينا. وكان هناك حارس ضخم الجثة يجلس خلف مكتب الاستقبال بردهة المبنى الرخامية.

رفع الحارس ناظريـه عنـدما دلفت دانـا إلى الـداخل، وقـال بالإيطالية: "صباح الخير. مـاذا يمكننـى أن أفعـل مـن أجلـك يـا سيدتى؟".

"اسمى دانا إيفانس ، وأود مقابلة فينسنت مانسينو".

"أهناك موعد سابق؟".

"كلا".

"إذن لن يمكنك مقابلته".

"أخبره بأن الأمر يتعلق بتايلور وينثروب".

تطلع الحارس إلى وجه دانا للحظـة، ثـم مـد يـده إلى سماعـة الهاتف وبدأ يتحدث من خلالها، وأخيراً وضع سماعة الهاتف.

وانتظرت دانا ما سيخبرها بـه وهـى تفكـر: *ما الذى سوف أكتشفه بحق السماء؟*

رن جرس الهاتف، فالتقط الحارس السماعة وأنصت للحظة، ثم التفت إلى دانا وقال: "الطـابق الثـانى، سـوف يقابلـك أحـدهم هناك".

"شكراً لك".

"على الرحب والسعة".

كان مكتب فينسنت مانسينو صغيراً وغير مبهر - مخالفاً لكل توقعات دانا. كان مانسينو يجلـس وراء مكتـب قـديم متهالـك، وكان رجلا فى الستينات من العمر، متوسـط الحجـم، لـه صـدر عريض، وشفتان رفيعتان، وشعر أبيض، وأنف معقوف. وكانـت له عينان من أكثر العيون التى رأتها دانـا بـروداً علـى الإطـلاق، وفوق مكتبه كانت هناك صورة موضوعة فى إطار من الذهب لفتاة شابة رائعة الجمال.

بينمـا كانــت دانــا تخطــو إلى داخــل المكتــب، قــال مانسينو: "أجئت من أجل تايلور وينثروب؟" وكـان صـوته حـاداً وعميقاً.

"نعم. لقد أردت التحدث عن.....".

"لا يوجد ما نتحدث بشأنه يا آنستى. لقد مات تايلور وينثروب فى حريق، وهو الآن يحترق فى الجحيم، وكذلك زوجته وأولاده..... كلهم يحترقون فى الجحيم".

"هل يمكننى الجلوس يا سيد مانسينو؟".

كادت كلمة "كلا" تخرج من بين شفتيه، لكنه تراجع وقال: "عذراً، أحياناً عندما أفقد أعصابى، أنسى حُسن السلوك. تفضلى بالجلوس من فضلك".

جلست دانا فوق مقعد مواجه له، وقالت: "علمت أنك كنت تتفاوض مع تايلور وينثروب لتوقيع اتفاقية تجارية بين حكومتى البلدين".

"نعم".

"وقد أصبحتما صديقين؟".

"لبعض الوقت".

نظرت دانا إلى الصورة الموضوعة على سطح المكتب وقالت: "أهذه هى ابنتك؟".

لم يجبها مانسينو بشىء.

فقالت: "إنها جميلة للغاية".

"نعم، لقد كانت جميلة للغاية".

نظرت إليه دانا بتحير، وقالت: "ألا تزال ابنتك على قيد الحياة؟"، ثم شاهدته دانا يمعن النظر إليها، كأنما يحاول أن يحزم أمره فيما إذا كان يجب أن يتحدث إليها.

وعندما تحدث مانسينو أخيرا، قال بصوت يمتلئ بالشجن والحزن: "على قيد الحياة؟أخبرينى أنت. لقد أخذت صديقك، تايلور وينثروب، إلى منزلى، وشاركنا الطعام كفرد من العائلة، وقدمته إلى أصدقائى. أتدرين كيف رد لى الجميل؟لقد جعل ابنتى العذراء الجميلة حاملا. *لقد كانت فى السادسة عشرة من عمرها.* وخشيت أن تخبرنى لأنها كانت تعلم أننى قد أقتله جزاء ما

فعله، لذلك... آثرت أن تجرى عملية إجهاض"— نطق مانسينو بالكلمة الأخيرة كأنه يتحدث عن طاعون —: "لقد كان تايلور وينثروب يخشى تلوث سمعته، ولذلك لم يرسل ابنتى بيا إلى طبيب. كلا..... لقد أرسلها إلى جزار"، ثم امتلأت عيناه بالدموع وهو يردف: "جزار مزق رحمها.... ابنتى التى لم تتجاوز السادسة عشرة..."اختنق صوته بالدموع وهو يكمل: "إن تايلور وينثروب لم يدمر حياة ابنتى فقط، بل لقد قتل أحفادى وأطفالهم وأحفادهم قبل حتى أن يولدوا. لقد دمر مستقبل عائلة مانسينو بالكامل". التقط مانسينو نفساً عميقاً ليهدئ نفسه، ثم قال: "والآن، دفع، هو وعائلته، ثمن تلك الخطيئة التى ارتكبها".

جلست دانا فى صمت، وقد أعجزتها الكلمات.

قال مانسينو: "إن ابنتى تعيش فى دير يا آنستى. ولن تنعم عيناى برؤيتها مجدداً، نعم، لقد عقدت صفقة مع تايلور وينثروب"، ثم تطلع بعينيه الرماديتين الباردتين إلى عينى دانا وأردف: "لكنها كانت صفقة مع الشيطان".

تمتمت دانا فى داخلها: *إذن فهناك اثنان كانا يتمنيان ويرغبان فى قتل تايلور وينثروب، وما زلت لم أقابل مارسيل فالكون بعد.*

• • •

أثناء رحلة طيران شركة كيه. إل. إم المتجهة إلى بلجيكا، كانت دانا واعية لشخص يجلس بالمقعد المجاور لها. فرفعت نظرها لتنظر إليه. كان رجلا جذاباً، لطيف الملامح، وقد بدا واضحا أنه قد طلب من المضيفة أن يبدل مقعده ليجلس بجوار دانا.

نظر الرجل إلى دانا مبتسماً وقال: "صباح الخير. اسمحى لى بأن أقدم نفسى، أنا ديفيد هاينز". كان الرجل يتحدث بلكنة إنجليزية.

"دانا إيفانس".

لم يبد على ملامحه ما يظهر أنه قد تعرف عليها، وقال: "إنه يوم لطيف للطيران، أليس كذلك؟".

وافقته دانا قائلة: "يوم جميل بالفعل".

كان الرجل يتفرس فى ملامحها بإعجاب واضح، ثم قال: "أتسافرين إلى بروكسل فى رحلة عمل؟".

"عمل ومتعة".

"ألديك أصدقاء هناك؟".

"أصدقاء معدودون".

"إن لدىّ معارف كثيرين فى بروكسل".

فكرت دانا: *لا أطيق صبراً حتى أخبر جيف بكل هؤلاء المعجبين الذين أقابلهم.* ثم داهمتها الحقيقة مجدداً، فتمتمت: *إنه الآن بصحبة ريتشيل.*

كان ديفيد هاينز يتفرس فى ملامحها مجدداً، ثم قال: "يبدو وجهك مألوفاً".

ابتسمت دانا وقالت: "يخبرنى الناس بهذا كثيراً".

وعندما هبطت الطائرة فى مطار بروكسل وغادرتها دانا، التقط رجل كان يقف بصالة الوصول هاتفه المحمول وأبلغ الأمر إلى رؤسائه.

قال ديفيد هاينز: "ألديك وسيلة مواصلات؟".

"كلا، ولكن يمكننى...".

"اسمحى لى بأن أوصلك"، ثم قاد دانا إلى سيارة ليموزين فارهة الطول، يجلس السائق بداخلها، وأردف: "سوف أجعل السائق يوصلك إلى الفندق الذى تقيمين به"، ثم أعطى السائق

بعض الأوامر، فتحركت الليموزين داخل المرور المزدحم. قال هاينز: "أهذه أول زيارة لك إلى بروكسل؟".

"نعم".

وعندما مرت السيارة بمركز تجارى كبير، مفتوح السطح، قال هاينز: "إذا كنت تنوين القيام ببعض التسوق، فإننى أرشح لك هذا المكان... مجمع جاليريز سانت هوبيرت التجارى".

"يبدو مكانا لطيفا".

قال هاينز للسائق: "توقف للحظة يا تشارلز"، ثم التفت إلى دانا وقال: "وهذه هى نافورة مانيكين بيس الشهيرة". كانت النافورة يتوسطها تمثال من البرونز، موضوع فى كوة مرتفعة على شكل صدفة محار، ويمثل طفلا صغيراً يخرج الماء من بين ساقيه. أردف هاينز: "إنه أحد أشهر التماثيل فى العالم".

لكن عقل دانا كان شارداً فى كلمات أخرى: *وبينما أنا خلف القضبان، ماتت زوجتى وأطفالى. لو أننى كنت حراً، لكان بإمكانى أن أنقذهم.*

استفاقت دانا من شرودها على صمت هاينز وهو يقول: "لو أنك متفرغة هذه الليلة، فأود أن.....".

قالت دانا: "أخشى أننى لست متفرغة".

استُدعى مات بيكر إلى مكتب إيليوت كروموبل.

قال إيليوت: "إننا نفتقد اثنين من أهم مذيعينا يا مات. متى سيعود جيف؟".

"لست متأكداً يا إيليوت. كما تعلم، فهو مشغول بمسألة شخصية مع زوجته السابقة، ولقد اقترحت عليه أن يقدم إجازة مفتوحة".

"فهمت. ومتى ستعود دانا من بروكسل؟".

نظر مات بيكر إلى إيليوت وتمتم فى نفسه: *أنا لم أخبره مطلقاً بأن دانا موجودة فى بروكسل!*

١٨

يقع مقر منظمة حلف شمال الأطلنطي (الناتو) في مبنى ليبولد الثالث، الذى يرفرف فوق سطحه علم بلجيكا بألوانه السوداء والصفراء والحمراء.

كانت دانا على ثقة من أنه سيكون من السهل عليها أن تحصل على معلومات بخصوص تقاعد تايلور وينثروب المبكر والفجائى من منصبه بحلف الناتو، وبعدها تتوجه إلى الوطن، لكن اتضح أن مقر حلف الناتو عبارة عن كابوس بكل ما تحمله الكلمة من معان. فإلى جانب أعضائه البالغ عددهم ست عشرة دولة، كانت هناك مكاتب لمنظمات مثل (إن. أيه. سى)، (إى. أيه. بى. سى)، (إن. أيه. سى. سى)، (إى. إس. دى. آى)، (سى. جيه. تى. إف)، (سى. إس. سى. إى) وعشرات الأسماء المختصرة لمنظمات أخرى.

توجهت دانا إلى المقر الصحفى لحلف الناتو والذى يقع على طريق رودس شابلبيرز، ووجدت جين سومفيل يجلس فى قاعة الصحفيين.

وقف جين لتحيتها وهو يقول: "دانا !".

"مرحبا يا جين".

"ما الذى أتى بك إلى بروكسل ؟".

قالت دانا: "أقوم بعمل تحقيق تليفزيونى، وأريد بعض المعلومات".

"أوه، تحقيق آخر عن حلف الناتو".

قالت دانا بحذر: "نوعاً ما، فقد كان تايلور وينثروب مستشار الولايات المتحدة لدى حلف الناتو فى وقت ما".

"هذا صحيح. ولقد قام الرجل بعمل جيد. وكان رجلاً عظيماً للغاية. ما حدث لتلك العائلة يعد مأساة حقيقية"، ثم نظر جين إلى دانا بفضول، وأردف: "ما الذى تريدين معرفته ؟".

اختارت دانا كلماتها التالية بعناية شديدة: "لقد ترك تايلور وينثروب منصبه فى حلف الناتو بشكل مبكر، وكنت أتساءل عن سبب ذلك".

هز جين سومفيل كتفيه وقال: "الأمر بسيط للغاية، لقد أنهى ما جاء إلى هنا من أجله".

شعرت دانا بإحساس حاد من خيبة الأمل، لكنها قالت: "بينما كان تايلور وينثروب يخدم بحلف الناتو، هل حدث شىء... غير عادى ؟أكانت هناك أية فضائح تتعلق به ؟".

نظر إليها جين سومفيل باندهاش وقال: "بالطبع لا ! هل أشاع أحدهم أن تايلور وينثروب تعرض لفضيحة بينما كان يعمل بحلف الناتو ؟".

ردت دانا بسرعة: "كلا. ما سمعته هو أنه قد وقع..... شجار، نوع من الخلاف دب بين تايلور وينثروب وشخص آخر يعمل هنا".

تجهم سومفيل وهو يسأل: "أتقصدين نزاعاً شخصيًا ؟".

"نعم".

زم جين شفتيه وقال: "لا أدرى، لكن قد يكون من السهل أن أعرف ذلك".

"سوف أقدر لك ذلك كثيراً".

اتصلت دانا بهاتف جين سومفيل في اليوم التالي: "هل تمكنت من العثور على أية معلومات بخصوص تايلور وينثروب؟".

"أنا آسف جداً يا دانا. لقد حاولت، لكن أخشى أنه لا يوجد ما يستحق الذكر". كانت دانا قد توقعت - إلى حد ما - تلك الإجابة.

فقالت وهي تشعر بخيبة الأمل: "شكراً على أي حال".

"لا عليك. أنا في شدة الأسف لأنك قد حضرت إلى هنا دون داع".

"جين، لقد قرأت أن السفير الفرنسي لدى الأمم المتحدة، مارسيل فالكون، قد استقال من منصبه وعاد إلى فرنسا بشكل مفاجئ. ألا ترى أن ذلك أمر غريب؟".

"نعم، أعتقد ذلك، وخصوصاً إذا كان ذلك قد حدث في منتصف فترة تعيينه".

"ولماذا استقال من منصبه؟".

"لم يكن هناك سر في الأمر. لقد كان ذلك بسبب ذلك الحادث المأساوي. فقد لقي ابنه مصرعه على يد سيارة مسرعة، صدمته وهربت".

"سيارة مسرعة؟ وهل قبضوا على السائق؟".

"أوه، نعم. فقد سلم نفسه للشرطة بعد وقت قصير من الحادث".

قالت دانا وقد ضايقها ذلك الطريق المسدود: "فهمت".

"لقد كان قائد السيارة سائقاً خصوصياً يدعى أنطونيو برسيكو، وكان يعمل سائقاً خصوصياً لدى تايلور وينثروب".

أحست دانا برعدة مفاجئة، فقالت: "أوه ؟وأين برسيكو الآن؟".

"في سجن سانت جيليس .... هنا في بروكسل"، أضاف سومفيل معتذرا: "آسف لأنني لم أكن عوناً كبيرا".

استلمت دانا موجزاً للقصة أرسل إليها بالفاكس من واشنطن:
حكمت محكمة بلجيكية اليوم على أنطونيو برسيكو، السائق الخاص بالسفير تايلور وينثروب، بالسجن المؤبد عندما أقر بأنه مذنب بتهمة قتل جابرييل فالكون، نجل السفير الفرنسي لدى الأمم المتحدة، بعد أن صدمه بالسيارة وهرب من موقع الحادث.

يقع سجن سانت جيليس بالقرب من مركز مدينة بروكسل، وهو عبارة عن مبنى أبيض اللون، به بعض الأبراج التي تجعل شكله أقرب ما يكون إلى قلعة. كانت دانا قد اتصلت بإدارة السجن وحصلت على تصريح بمقابلة أنطونيو برسيكو، وقد دلفت دانا إلى ساحة السجن، ورافقها أحد الحراس إلى مكتب مأمور السجن.

"علمت أنك هنا لمقابلة برسيكو".

"نعم".

"حسنًا".

بعد أن خضعت دانا لتفتيش ذاتي، اصطحبها أحد الحراس إلى حجرة الاستجواب، حيث كان برسيكو يجلس بانتظارها. كان برسيكو رجلا ضئيلاً شاحب البشرة، ذا عينين خضراوين متسعتين، ووجه يرتعش باستمرار.

عندما دلفت دانا إلى الداخل، كانت الكلمات الأولى التي نطقها برسيكو هي: "حمداً لله أن أحدهم قد أتى أخيرا! سوف تخرجينني من هنا الآن".

نظرت إليه دانا باندهاش وقالت: "أنا ..... أنا آسفة. أخشى أنني لن أستطيع فعل ذلك".

ضاقت عينا برسيكو وقال: "إذن لماذا حضرت ؟لقد وعدوني بأن يأتي أحدهم ويخرجني من هنا".

"لقد جئت لكي أتحدث معك بشأن مصرع جابرييل فالكون".

ارتفع صوت برسيكو وهو يقول: "لم يكن لي دخل بالأمر، أنا بريء".

"لكنك اعترفت بارتكاب الجريمة".

"كنت أكذب".

قالت دانا: "ولماذا تفعل ذلك...؟".

نظر أنطونيو برسيكو داخل عينيها وقال بمرارة: "لقد دفع لي أحدهم بعض المال، والحقيقة هي أن تايلور وينثروب هو من صدم الصبي"، ثم ساد صمت للحظات طوال.

قالت دانا: "أخبرني بالقصة كاملة".

ازداد ارتعاش وجه برسيكو، وقال بصوت مرهق: "لقد وقع ذلك الحادث في إحدى ليالي الجمعة. كانت زوجة السيد وينثروب في لندن في عطلة نهاية الأسبوع، وكان السيد وينثروب بمفرده. وفي تلك الليلة ذهب إلى ملهى ليلي يسمى آنسين بلجيك، وقد عرضت عليه أن أقود له السيارة، لكنه أصر على أن يقود السيارة بنفسه"، سكت برسيكو، وهو يتذكر أحداث تلك الليلة.

قالت دانا ـ تستحثه: "وماذا حدث بعد ذلك ؟".

"عاد السيد وينثروب إلى المنزل في وقت متأخر، وكان مخمورا. وقد أخبرني بأن صبيا قد جرى أمام سيارته بشكل مفاجئ، وأنه قد .... قد صدمه بسيارته. لم يكن السيد وينثروب يريد أن تحدث له فضيحة، ولذلك انطلق بالسيارة ولم يتوقف، لكنه خشي أن يكون أحدهم قد التقط رقم لوحة السيارة ثم أعطى الرقم للشرطة ، وأن رجال الشرطة ربما يأتون من أجله في أي وقت. كانت لديه حصانة دبلوماسية، لكنه قال إن الخبر لو أذيع، فسوف يتسبب في فشل خطة روسيا".

ظهر التجهم على وجه دانا وهي تتساءل: "خطة روسيا ؟".

"نعم، هذا ما قاله".

"وما هي خطة روسيا هذه؟".

هز برسيكو كتفيه وقال: "لا أدري. لقد سمعته يذكر هذه المسألة وهو يتحدث عبر الهاتف، وكان يبدو كرجل فقد عقله".

هز برسيكو رأسه وأردف: "كل ما قاله عبر الهاتف هو: "لابد أن تستكمل الخطة الروسية. لقد قطعنا شوطا كبيرا، ولا يمكننا أن نجعل أي شيء يوقفنا الآن".

"وأنت لا تدري عما كان يتحدث؟".

"كلا".

"هل يمكنك أن تتذكر أي شيء آخر قاله؟".

فكر برسيكو للحظة، ثم قال: "لقد قال شيئا من قبيل: لقد تجمعت كل الأجزاء في مكانها الصحيح"، ثم نظر برسيكو إلى دانا وقال: "أيا كان ما يقصده بتلك العبارة، فقد بدا أمرا شديد الأهمية".

كانت دانا تستوعب كل كلمة ينطق بها، ثم قالت: "سيد برسيكو، لماذا تحملت عقوبة جريمة لم ترتكبها؟".

توترت عضلات فك برسيكو وهو يقول: "لقد أخبرتك. لقد قبضت بعض المال من أجل ذلك. لقد قال تايلور وينثروب إنه لو اعترفت بأنني من كان يقود السيارة في تلك الليلة، فسوف يعطيني مليون دولار ويتولى رعاية عائلتي خلال المدة التي سأقضيها في السجن، وقال إنه سيستخدم علاقاته من أجل أن يضمن لي حكما مخففا". كان برسيكو يجز على أسنانه ويعض على شفتيه، وهو يكمل: "ومثل أي أحمق، وافقت على ذلك. والآن، مات تايلور وينثروب، وسوف أقضي ما تبقى لي من عمر خلف قضبان هذا السجن". نطق برسيكو بتلك الكلمات الأخيرة وعيناه تمتلئان باليأس.

وقفت دانا في مكانها، مصدومة مما تسمعه، وأخيراً قالت: "هل أخبرت أحداً بهذا الأمر؟".

قال برسيكو بمرارة: "بالطبع. بمجرد أن علمت بوفاة تايلور وينثروب، أخبرت الشرطة بشأن تلك الصفقة التي عقدتها معه".

"وماذا فعلوا ؟".

"سخروا مني".

"سيد برسيكو، سوف أطرح عليك سؤالاً مهماً للغاية، وأريد منك أن تفكر جيداً قبل أن تجيب. هل أخبرت مارسيل فالكون بحقيقة أن تايلور وينثروب هو من صدم ابنه؟".

"بالطبع. لقد ظننت أن بإمكانه مساعدتي".

"وعندما أخبرته، ماذا قال السيد مارسيل فالكون؟".

"كانت الكلمات التي خرجت من فمه هي: "أدعو الله أن تلحق به بقية عائلته في الجحيم".

تمتمت دانا: *يا إلهي! لقد صاروا ثلاثة. يجب أن أتحدث إلى مارسيل فالكون في باريس.*

كان من المستحيل على دانا ألا تشعر بسحر باريس، حتى والطائرة تحلق فوق أجوائها استعداداً للهبوط، لقد كانت باريس دائماً عاصمة النور ومدينة العشاق، لكنها ليست المدينة التي يجب أن تأتيها بمفردك. إن رؤية أضواء المدينة من أعلى جعلت دانا تشتاق إلى جيف.

كانت دانا تجلس في مطعم ريلاياس الملحق بفندق بلازا أثينا، تتحدث مع جين - بول هوبيرت، الذي يعمل بمحطة أخبار مترو ٦ التليفزيونية.

قال جين: "مارسيل فالكون ؟بالطبع. الجميع يعرفون من هو مارسيل فالكون".

"ماذا يمكنك أن تخبرني بشأنه ؟".

"إنه شخصية مثيرة للاهتمام، وهو من ذلك النوع من الأشخاص الذين تطلقون عليهم في أمريكا "أسطورة نجاح".

"وما هو نشاطه الحالي ؟".

"إن فالكون يمتلك شركة أدوية عملاقة، ومنذ سنوات مضت اتهم بتدمير الشركات الصغيرة والتسبب في إفلاسها. لكنه استخدم علاقاته السياسية وخرج من القضية وكأن شيئاً لم يحدث، لدرجة أن رئيس الوزراء الفرنسي عينه سفيراً لفرنسا لدى حلف الناتو".

قالت دانا: "لكنه استقال من منصبه بشكل فجائي. أتدرى لماذا فعل ذلك؟".

"إنها قصة محزنة، فقد قتل ابنه في بروكسل على يد سائق مخمور، ولم يستطع فالكون تحمل تلك الفاجعة، فترك منصبه في حلف الناتو وعاد إلى باريس، خصوصاً بعد أن أصيبت زوجته بانهيار عصبي حاد، وهي الآن تعالج في مصحة نفسية في كان".

نظر جين - بول إلى دانا وقال بجدية: "دانا، لو أنك تنوين إجراء تحقيق تليفزيوني عن فالكون، فأنصحك بتوخي الحذر فيما تقولينه. فهذا الرجل مشهور بميله وولعه الشديد بالانتقام".

تطلب الأمر من دانا يوماً كاملاً حتى تمكنت من الحصول على موعد لمقابلة مارسيل فالكون.

وعندما دلفت أخيراً إلى حجرة مكتبه، قال فالكون: "لقد وافقت على مقابلتك لأنني من المعجبين بعملك يا آنسة. فقد كانت التقارير التي تذيعينها من منطقة الحرب تنم عن شجاعة كبيرة".

"شكراً لك".

كان مارسيل فالكون رجلاً مهيب الطلعة، ممتلئ الجسم، قوى الملامح، وله عينان زرقاوان ثاقبتان. قال فالكون: "تفضلى بالجلوس ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك؟".

"لقد أردت أن أتحدث معك بخصوص نجلك الراحل".

أطل اليأس من عينى فالكون وهو يرد: "أوه، نعم. لقد كان جابرييل صبياً رائعاً".

قالت دانا: "إن الرجل الذى صدمه بالسيارة ....".

"السائق الخصوصى".

نظرت إليه دانا باندهاش، وعقلها يسترجع كلماتها مع برسيكو:

سيد برسيكو، سوف أطرح عليك سؤالاً مهماً للغاية، وأريد منك أن تفكر جيداً قبل أن تجيب. هل أخبرت مارسيل فالكون بحقيقة أن تايلور وينثروب هو من صدم ابنه؟

بالطبع. لقد ظننت أن بإمكانه مساعدتى.

وعندما أخبرته، ماذا قال السيد مارسيل فالكون؟

كانت الكلمات التى خرجت من فمه هى: "أدعو الله أن تلحق به بقية عائلته فى الجحيم".

والآن يتصرف مارسيل فالكون وكأنه لا يعلم حقيقة ما حدث.

"سيد فالكون، عندما كنت سفيراً لفرنسا لدى حلف الناتو، كان تايلور وينثروب يعمل هناك أيضا". نطقت دانا بتلك الكلمات وهى تراقب ملامح وجه فالكون، باحثة عن أى تغيير فى تعبيرات وجه، لكن تعبيراته ظلت كما هى.

قال فالكون بنبرة هادئة: "نعم. لقد تقابلنا".

فكرت دانا: *أهذا كل ما لديه ليقوله؟ نعم، لقد تقابلنا. ما الذى يخفيه ذلك الرجل؟*

سيد فالكون، أود أن أتحدث إلى زوجتك إذا .....".

"أخشى أنها مسافرة لقضاء عطلة خارج البلاد".

حينئذٍ خطرت كلمات أخرى فى عقلها:

لقد أصيبت زوجة فالكون بانهيار عصبى حاد، وهى الآن نزيلة مصحة نفسية فى كان.

إما أن مارسيل فالكون مصاب بحالة إنكار تام، أو أنه يتصنع الجهل لأسباب شيطانية فى عقله.

اتصلت دانا بمات بيكر من حجرتها بفندق بلازا أثينا.

"دانا، متى ستعودين إلى واشنطن ؟".

"لدى خيط أخير يجب أن أتتبعه يا مات. فقد أخبرنى سائق تايلور وينثروب فى بروكسل بأن وينثروب كان يتحدث عن خطة روسية لم يرد لها الفشل، ويجب أن أرى ما إذا كان بإمكانى معرفة ما كان يقصده. أريد أن أتحدث مع بعض شركائه فى موسكو".

"حسناً، لكن إيليوت كروموبل يريد عودتك بأسرع وقت ممكن. لدينا مراسل فى موسكو يدعى تيم درو. سوف أطلب منه مقابلتك فى المطار، فربما يكون مفيدا لك".

"شكرا لك. على العموم، أنا لن أبقى فى روسيا لأكثر من يوم أو اثنين".

"دانا؟".

"نعم؟".

"لا عليك، مع السلامة".

شكرا لك. على العموم، أنا لن أبقى فى روسيا لأكثر من يوم أو اثنين.

دانا ؟

نعم ؟

لا عليك. مع السلامة.

انتهى الشريط.

اتصلت دانا بشقتها.

"مساء الخير يا سيدة دالى .... أم تراه وقت الظهيرة عندكم".

"آنسة إيفانس ! كم أنا سعيدة باتصالك".

"كيف حال الأمور عندكما ؟".

"على خير حال".

"كيف حال كيمال ؟أهناك أى مشكلات بخصوصه ؟".

"على الإطلاق. إنه فقط يفتقد وجودك".

"وأنا أيضاً أفتقده، هلا جعلته يتحدث إلى ؟".

"إنه نائم فى وقت القيلولة. أتريدين أن أوقظه لك ؟".

قالت دانا باندهاش: "نائم فى وقت القيلولة ؟عندما اتصلت منذ عدة أيام، كان نائماً وقت القيلولة أيضاً".

"نعم. لقد عاد الصبى من المدرسة وهو يشعر بالإرهاق، فرأيت أن بعض النوم قد يكون مفيدا له".

"فهمت ..... حسنا، فقط أخبريه أننى أحبه، وأننى سوف أتصل بكما غدا. وأخبريه أننى سوف أحضر له دبا من روسيا".

"دب ؟حسناً ! سوف يسعد كثيراً بذلك".

اتصلت دانا بهاتف روجر هودسون.

"روجر، أكره أن أفرض نفسى عليك، لكنى بحاجة إلى صنيع منك".

"إذا كان هناك أمر أستطيع فعله ....".

"سوف أسافر إلى موسكو، وأريد التحدث إلى إدوارد هاردى، السفير الأمريكى هناك، وكنت أتمنى أن تكون لك صلة به".

"إننى بالفعل أعرفه جيدا".

"أنا فى باريس الآن، فإذا كان بإمكانك أن ترسل إلىّ بالفاكس خطاب توصية إليه، فسوف أقدر لك ذلك كثيراً".

"يمكننى أن أفعل ما هو أفضل من ذلك، سوف أتصل به هاتفيا وأطلب منه أن ينتظرك".

"شكراً لك يا روجر. أنا ممتنة جدا لصنيعك".

كانت عشية رأس السنة، وكانت صدمة كبيرة بالنسبة لدانا أن تتذكر أن تلك الليلة كان من المفترض أن تكون ليلة زفافها، لكنها ظلت تقول لنفسها: *قريباً .... قريباً سينتهى كل شىء*، ثم ارتدت معطفها وتوجهت إلى الخارج.

قال حاجب الفندق: "أأحضر لك سيارة أجرة يا آنسة إيفانس؟".

"كلا، شكراً لك". لم يكن لديها مكان تذهب إليه، فقد ذهب جين ـ بول هوبيرت فى عطلة لزيارة عائلته، ولهذا قالت دانا لنفسها: *هذه ليست المدينة التى يبقى المرء فيها بمفرده.*

بدأت دانا تتمشى، وهى تحاول ألا تفكر فى جيف وريتشيل ـ بل حاولت ألا تفكر مطلقا، مرت دانا بدار عبادة صغيرة مفتوح بابها. وبشكل غريزى، دلفت إلى الداخل. وجلب البهو الداخلى البارد ـ بهدوئه وقبته المرتفعة ـ إحساساً بالسكينة لقلب دانا، فجلست فوق مقعد خشبى، وبدأت تدعو فى صمت.

وعند منتصف الليل، كانت دانا تجوب شوارع باريس التى كانت تتفجر بخليط من الضجيج والنغمات المختلطة وقصاصات الورق الملون. كانت دانا تتساءل فى داخلها عما يفعله جيف: *أتراه يقضى لحظات حميمية مع ريتشيل ؟إنه لم يتصل بى حتى الآن. كيف طاوعه قلبه على أن ينسى أن هذه ليلة مميزة لكليهما ؟*

وفى حجرة دانا بالفندق، وعلى الأرض بجوار المزينة، كان هاتفها المحمول ـ الذى سقط سهوا من حقيبة يدها ـ يرن بلا انقطاع.

عندما عادت دانا إلى فندق بلازا أثينا، كانت الساعة تشير إلى الثالثة فجراً، دخلت دانا إلى حجرتها، وخلعت ملابسها، وألقت بنفسها فوق الفراش. فى البداية كان والدها .... والآن

جيف. لقد كان الهجر يزور حياتها كخيط أسود رسم فوق صفحة ملونة، فأقسمت دانا: *أنا لن أشعر بالأسى لحالى بعد الآن. وماذا لو أن هذه كانت ليلة زفافى. آه، جيف. لماذا لا تتصل بى ؟*

وظلت تبكى حتى غلبها النعاس.

١٩

استغرقت الرحلة إلى موسكو عبر خطوط طيران سابينا ما يقرب من ثلاث ساعات والنصف، ولاحظت دانا أن معظم المسافرين كانوا يرتدون ملابس ثقيلة وأن رفوف الأمتعة كانت تمتلئ بالمعاطف الفرو والقبعات والأوشحة .

تمتمت دانا: *كان ينبغى على أن أرتدى ملابس ثقيلة. على أى حال، أنا لن أبقى فى موسكو لأكثر من يوم أو يومين .*

لم تستطع دانا أن تمنع نفسها من التفكير فى كلمات أنطونيو برسيكو: *لقد كان وينثروب يتصرف كشخص مجنون، وكانت كلماته التى ظل يرددها عبر الهاتف هى:"لابد أن تستمر الخطة الروسية. لقد قطعنا شوطاً طويلاً، ولا يجب أن نسمح لأى شىء بأن يوقفنا الآن".*

ترى ما هى تلك الخطة المهمة التى كان يعمل عليها وينثروب؟ وما هى تلك الأجزاء التى تجمعت فى أماكنها المضبوطة؟ والغريب أن الرئيس قد عينه سفيراً للولايات المتحدة فى موسكو بعد تلك الحادثة بوقت قصير.

وأخيراً تمتمت دانا: كلما ازدادت المعلومات التى أحصل عليها، ازدادت القضية غموضاً.

اندهشت دانا عندما، وجدت أن مطار شيرميتيفو الثانى، المطار الدولى لروسيا، كان مكتظاً بالسائحين، مما جعلها تتمتم فى تعجب: *ما الذى يجعل أى شخص عاقل يزور روسيا فى فصل الشتاء؟*

عندما وصلت دانا إلى صالة تفتيش الأمتعة، كان هناك رجل يقف بالقرب ويراقبها بطرف عينه. كاد قلب دانا يتوقف وهى تفكر: *لقد كانوا يعلمون أننى قادمة إلى هنا، كيف تسنى لهم ذلك؟*

كان الرجل يقترب منها، وقال بلكنة سلوفاكية ثقيلة: "دانا إيفانس؟".

"نعم...".

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة وقال بحماس: "أنا من أكبر المعجبين بك ! وأشاهدك فى التلفاز طوال الوقت".

شعرت دانا بارتياح مفاجئ نظراً لسذاجة الرجل ولغته الإنجليزية الركيكة وقالت مبتسمة: "أوه، نعم، شكراً لك".

"كنت أتساءل عما إذا كان من الممكن أن أحصل على توقيعك؟".

"بالطبع".

وضع الرجل قطعة من الورق أمام دانا وهو يقول: "ليس لدىّ قلم".

"أنا معى قلم". هكذا ردت دانا وهى تخرج من حقيبتها قلمها الذهبى الجديد، ثم توقع له على الورقة.

"شكراً .... شكراً".

وبينما كانت دانا تضع القلم فى حقيبتها مجدداً، ارتطم بها أحدهم فسقط القلم فوق الأرضية الأسمنتية. فانحنت دانا لالتقاطه، فوجدت أن غلافه الخارجى قد تشقق.

تمتمت دانا: *أتمنى أن أتمكن من إصلاحه*. ثم أمعنت النظر فيه، فرأت سلكاً رفيعاً ظاهراً من خلال الشق الموجود فى غلاف القلم. وبلا شعور، جذبت دانا طرف السلك بلطف، وقد تملكتها الحيرة ، فرأت جهاز إرسال دقيقاً متصلاً به، نظرت إليه دانا باندهاش وتمتمت: "هكذا كانوا يعرفون مكانى فى كل وقت ! لكن من وضعه هناك ولماذا؟"، وعلى الفور، تذكرت دانا البطاقة التى جاءت مع القلم:

عزيزتنا دانا، نتمنى لك رحلة آمنة. طاقم العمل.

انتزعت دانا السلك بمنتهى الغضب، وألقته أرضاً، ثم دهسته بكعب حذائها.

وفى أحد المعامل المعزولة، اختفى المؤشر الأحمر من فوق إحدى الخرائط الإلكترونية.

فصرخ الفنى: "أوه، اللعنة!".

"دانا؟".

التفتت دانا نحو مصدر الصوت، فوجدت مراسل شبكة (دبليو. تى. إن) يقف أمامها.

"أنا تيم درو. آسف على التأخير. إن الزحام المرورى فى شوارع موسكو عبارة عن كابوس".

كان تيم درو رجلاً فى الأربعينات، طويلاً، أحمر الشعر، وله ابتسامة دافئة، قال تيم: "لدىّ سيارة بالخارج. لقد أخبرنى مات بأنك لن تقضى هنا سوى يومين فقط".

"هذا صحيح".

والتقط حقائب دانا من صالة الأمتعة، وتوجها إلى الخارج.

كانت قيادة السيارة خلال شوارع موسكو أشبه بمشهد من فيلم دكتور زيفاجو. وقد بدا، أمام ناظرَيْ دانا، أن المدينة بالكامل قد التفت بعباءة من الثلوج البيضاء.

قالت دانا: "يا له من منظر جميل ! منذ متى وأنت تعيش هنا؟".

"سنتين".

"وهل تروق لك المدينة؟".

"إنها مخيفة بعض الشيء. لقد كان الرئيس يلتسين دائماً يعد بأمور لا يستطيع تحقيق معظمها، ولا أحد يعرف ماذا يجب أن يتوقع من فلاديمير بوتين، والوضع فى مجمله أشبه بمصحة عقلية يديرها المجانين بأنفسهم". أوقف تيم السيارة فجأة ليسمح لأحد المارة بعبور الطريق، ثم أردف: "هناك حجز باسمك بفندق شيفاستبول".

"نعم. وما هو مستوى ذلك الفندق؟".

"إنه أحد فنادق إنتورست العالمية المعتادة، لكن كوني على يقين من أنه سيوجد شخص لمراقبتك فى نفس الطابق الذى تقيمين فيه".

كانت الشوارع مكتظة بأشخاص يرتدون الملابس الفرو والمعاطف والسترات الثقيلة. فنظر تيم درو تجاه دانا وقال: "من الأفضل أن تشترى بعض الملابس الثقيلة، وإلا فسوف تتجمدين من البرد".

"سوف أكون بخير، علي أى حال، من المفترض أن أكون فى طريق العودة إلى واشنطن غداً أو بعد غد".

وأمام أعينهما، كان الميدان الأحمر متألقا كعادته، وفى وسطه استقر مبنى الكرملين فوق تبة عالية، تطل على الضفة الغربية لنهر موسكفا.

قالت دانا: "يا إلهى ! يا له من منظر مهيب".

قال تيم درو: "نعم، لو أن تلك الحوائط تكلمت فى يوم ما، لسمعت الكثير من الصراخ. إن الكرملين يعد أحد أشهر المبانى فى العالم، وهو يقع على مساحة من الأرض تغطى تل ليتل بوروفيتسكى من الضفة الشمالية و.....".

توقفت دانا عن الإنصات لما يقوله، فقد كان عقلها مشغولا بالتفكير: *ماذا لو أن أنطونيو برسيكو كان يكذب؟ ماذا لو أنه اختلق قصة قتل تايلور وينثروب للصبى؟ وكذب كذلك بشأن الخطة الروسية.*

"وهذا هو الميدان الأحمر خارج الحائط الشرقى لمبنى الكرملين، وهناك برج كيوتافيا الذى يعتبر المدخل الرئيسى للزائرين عند الحائط الغربى".

لكن دانا كانت تتمتم سراً: *لكن لماذا كان تايلور وينثروب بهذا التصميم على الحضور إلى روسيا؟ إن مجرد كونه سفيراً لا يمكن أن يعنى له كل هذه الأهمية.*

كان تيم درو يقول: "فى هذا المكان كانت كل قوى روسيا تتركز لعدة قرون، وكان هذا المكان هو مقر حكم إيفان الرهيب وستالين، وكذلك لينين وخروشوف".

لكن دانا كانت تفكر: *يجب أن أعرف ماذا كان يعنى وينثروب بقوله إن كل الأجزاء بدأت تتجمع فى أماكنها الصحيحة* .

توقفت السيارة أمام فندق هائل الحجم، وقال تيم درو: "ها قد وصلنا".

"شكراً لك"، هكذا قالت دانا وهى تخرج من باب السيارة وتلسعها أول موجة من الهواء المتجمد.

نادى عليها تيم: "توجهى إلى داخل الفندق، وسوف أحضر لك الحقائب. بالمناسبة، إذا كنت متفرغة هذه الليلة، فوف يسعدنى اصطحابك للعشاء".

"شكراً جزيلا لك".

"هناك ناد خاص يقدم طعاماً لذيذاً، وأعتقد أنك سوف تستمتعين بتناول العشاء هناك".

"بدون شك".

كانت ردهة فندق شيفاستبول واسعة ومزخرفة ومكتظة بالنزلاء، وكان هناك عدد من الموظفين يعملون من خلف مكتب الاستقبال، فتوجهت دانا إلى أحدهم.

رفع موظف الاستقبال نظره وقال: "أى خدمة؟".

"أنا دانا إيفانس، ولدىّ حجز بالفندق".

نظر إليها الرجل للحظة، ثم قال بعصبية: "أوه، نعم يا آنسة إيفانس"، ثم قدم لها استمارة حجز وقال: "هلا ملأت تلك الاستمارة من فضلك ! وسوف أحتاج إلى جواز سفرك أيضاً".

وبينما بدأت دانا تملأ الاستمارة، نظر الموظف إلى رجل يقف فى نهاية الردهة، وأومأ له برأسه. وسلمته دانا استمارة الحجز.

فقال الموظف: "سوف أجعل أحدهم يصحبك إلى غرفتك".

"شكراً لك".

كان للغرفة إحساس غامض يوحى بأرستقراطية الماضى السحيق، وبدا أثاثها مهترئاً وباليا وتنبعث منه رائحة العفن.

أحضرت خادمة ضخمة الجثة، ترتدى زيا عديم الشكل، حقائب دانا. أعطتها دانا بقشيشا. فغادرت الخادمة الغرفة وهى تصدر نخيراً مزعجا. التقطت دانا سماعة الهاتف واتصلت برقم ٢٤٥١ - ٢٥٢.

"السفارة الأمريكية".

"مكتب السفير هاردى من فضلك".

"لحظة واحدة".

"مكتب السفير هاردى".

"مرحباً، أنا دانا إيفانس. هل من المكن أن أتحدث إلى السفير هاردى؟".

"هل يمكنك إخبارى بموضوع الاتصال؟".

"إنها .... إنها مسألة شخصية".

"لحظة واحدة من فضلك".

بعد ثلاثين ثانية، أتى صوت السفير هاردى عبر سماعة الهاتف: "آنسة إيفانس؟".

"نعم".

"مرحباً بك فى موسكو".

"شكرا لك".

"لقد اتصل بى جورج هودسون ليخبرنى بقدومك، والآن ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟".

"كنت أتساءل إن كان بإمكانى الحضور لمقابلتك؟".

"بالطبع. أنا .... انتظرينى لحظة". سادت لحظة من الصمت، ثم عاد صوت السفير مجدداً عبر الهاتف: "ماذا عن صباح الغد؟ لنقل فى العاشرة صباحاً؟".

"ذلك موعد جيد، شكرا جزيلا لك".

"إلى اللقاء".

نظرت دانا من النافذة إلى الجموع التى تسرع الخطى خلال ذلك الطقس البارد وتمتمت: *لقد كان تيم على حق، ومن الأفضل أن أشترى بعض الملابس الثقيلة*".

كان متجر جى. يو. إم يقع على مسافة قريبة من الفندق الذى تنزل فيه دانا، وهو عبارة عن مجمع متاجر ضخم مكتظ بالسلع الرخيصة، التى تراوحت ما بين الملابس إلى الخردوات.

دلفت دانا إلى داخل القسم النسائى، الذى امتلأت رفوفه بالمعاطف الثقيلة. فاختارت معطفاً مصنوعاً من الصوف الأحمر

ووشاحاً أحمر مناسبا له فى اللون. لكن البحث عن البائع الذى يتولى عملية البيع استغرق منها عشرين دقيقة.

عندما عادت دانا إلى غرفتها، كان هاتفها المحمول يرن دون انقطاع، وكان جيف هو المتصل.

"مرحباً يا عزيزتى. لقد حاولت الاتصال بك عشية رأس السنة، لكنك لم تردى على هاتفك المحمول، ولم أكن أعلم مكانك حينها".

قالت دانا: "أنا آسفة جداً يا جيف"، وتمتمت لنفسها: *إذن فهو لم ينس! باركه الله.*

"أين أنت الآن؟".

"أنا فى موسكو".

"هل كل الأمور بخير يا عزيزتى؟".

"بخير حال يا جيف. أخبرنى عن حالة ريتشيل".

"ما زال الوقت مبكراً لمعرفة حالتها. سوف يحاول الأطباء تجربة دواء جديد عليها غداً، وهو عقار ما زال قيد التجربة، وسوف نحصل على النتائج خلال بضعة أيام".

قالت دانا: "أتمنى أن ينجح العلاج".

"هل الجو بارد عندك؟".

ضحكت دانا وقالت: "لن تصدق مدى برودته، لقد تحولت إلى تمثال ثلجى".

"أتمنى لو أننى هناك فأذيب عنك الثلج بنفسى".

وظلا يتحدثان لخمس دقائق أخرى، ثم سمعت دانا صوت ريتشيل وهى تنادى على جيف.

قال جيف عبر الهاتف: "أنا مضطر للذهاب يا عزيزتى، يبدو أن ريتشيل تحتاج إلىّ".

تمتمت دانا فى صمت: *وأنا أيضاً أحتاج إليك*، ثم قالت عبر الهاتف: "أنا أحبك".

"وأنا أحبك أيضاً".

كانت السفارة الأمريكية تقع فى مبنى متهالك قديم يحتل الرقم ٢٣ - ١٩ بشارع نوفينسكى بولفار، ويقف خارجها حراس روسيون داخل أكشاك الحراسة. كان هناك طابور طويل من الأشخاص يقفون أمام بوابة السفارة فى صبر. تخطت دانا ذلك الطابور، وأعطت اسمها لأحد الحراس. فنظر الحارس إلى جدول الزيارات، ثم سمح لها بالدخول.

وبداخل ردهة المبنى، كان هناك جندى من قوات مشاة البحرية الأمريكية، يقف داخل كشك حراسة من الزجاج المقاوم للرصاص. وقد قامت حارسة أمريكية، ترتدى زياً عسكرياً، بتفتيش محتويات حقيبة يد دانا.

"حسناً، تفضلى".

قالت دانا: "شكراً لك"، ثم سارت إلى منضدة الاستعلامات وقالت: "أنا دانا إيفانس".

قال رجل كان يقف بالقرب من منضدة الاستعلامات: "إن السفير بانتظارك يا آنسة إيفانس. تفضلى معى".

تبعته دانا وهو يصعد بضع سلالم رخامية، إلى أن وصلا إلى مكتب استقبال يقع عند نهاية رواق طويل. وعندما دلفت دانا إلى الداخل، قابلتها امرأة جذابة فى أوائل الأربعينات، وقالت مبتسمة: "من دواعى سرورى أن أقابلك يا آنسة إيفانس. أنا لى هوبكنز، سكرتيرة السفير هاردى، يمكنك الدخول إلى مكتبه الآن".

دلفت دانا إلى داخل حجرة مكتب داخلية، وقد وقف السفير إدوارد هاردى تحية لها عندما اقتربت من مكتبه.

"صباح الخير يا آنسة إيفانس".

قالت دانا: صباح الخير. شكراً على موافقتك على مقابلتى".

كان السفير رجلاً طويلاً، متورد الوجه، ويتصرف بلطف رجل سياسة محنك.

"أنا سعيد بمقابلتك. هل أحضر لك بعض الشراب؟".

"كلا، شكراً لك".

"تفضلى بالجلوس".

جلست دانا فوق أحد المقاعد.

قال السفير: "لقد ابتهجت كثيراً عندما أخبرنى روجر هودسون بأن أنتظر زيارتك، ويمكننى القول أنك قد جئت فى أوقات مثيرة للغاية".

"حقا؟".

"أكره أن أقول هذا، لكننى فى الواقع أخشى أن هذه البلاد فى سبيلها للانهيار". تنهد السفير وأردف: "لكى أكون صادقاً معك، دعينى أعترف بأننى لا أدرى ماذا سيحدث بعد ذلك يا آنسة إيفانس. إن لهذا البلد تاريخاً يمتد لثمانمائة عام، ونحن نتطلع إليه الآن وهو ينهار تماماً. إن المجرمين يحكمون هذا البلد الآن".

نظرت إليه دانا بفضول وقالت: "ما الذى تقصده؟".

تراجع السفير فى مقعده، وقال: "إن القانون هنا ينص على أن أى عضو من أعضاء مجلس الدوما ـ وهو البرلمان الأصغر ـ لا يمكن محاكمته بأى تهمة، والنتيجة هى أن مجلس الدوما قد أصبح ممتلئاً بالأشخاص المطلوبين للعدالة فى مختلف أنواع الجرائم ـ رجال عصابات ممن قضوا بعض السنوات فى السجن، ومجرمين ما زالوا يرتكبون جرائم متعددة، ولا يمكن المساس بأى شخص منهم".

قالت دانا: "أمر لا يصدق".

"نعم. إن الشعب الروسى شعب رائع، لكن حكومته ..... حسناً، ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك يا آنسة إيفانس؟".

"لقد أردت أن أسألك بعض الأسئلة عن تايلور وينثروب، فأنا أقدم برنامجاً تليفزيونياً عن عائلته".

هز السفير هاردى رأسه فى أسف وقال: "إن ما حدث لعائلة وينثروب أشبه بالمآسى الإغريقية، أليس كذلك؟".

قالت دانا: "نعم"، لكنها تعجبت من سماعها لتلك الجملة بشكل مكرر.

نظر السفير هاردى إلى دانا بفضول وقال: "لقد سمع العالم بتلك القصة مرة تلو الأخرى، ولست أظن أن هناك ما يمكن إضافته بشأنها".

قالت دانا بحذر: "أنا أريد أن أعالج القضية من زاوية شخصية، وأريد أن أعرف كيف كان تايلور وينثروب فى الحقيقة، وأى نوع من الرجال كان، ومن هم أصدقاؤه المقربون، وهل كان له أعداء".

بدا السفير مندهشاً وهو يقول: "أعداء؟ لقد كان الجميع يحبون تايلور، ولعله كان أفضل سفير حظينا به هنا فى روسيا".

"هل عملت معه؟".

"نعم. لقد كنت نائب رئيس البعثة الدبلوماسية لمدة عام تحت قيادته".

"سيدى السفير، هل تعلم إن كان تايلور وينثروب يعمل على أى مشروع حيث ....."توقفت دانا عن الكلام، وهى لا تعرف كيف تصوغ ذلك السؤال، ثم أردفت: "..... حيث كان يجب أن تجتمع كل الأجزاء فى أماكنها المناسبة؟".

تجهم السفير هاردى وهو يجيب: "أتقصدين صفقة تجارية أم اتفاقاً حكومياً؟".

قالت دانا بنبرة إقرار: "أنا غير واثقة مما أقصده".

فكر السفير هاردى للحظة، ثم قال: "ولا أنا أيضاً. على أى حال، ليس لدىّ فكرة عن أمر كهذا".

قالت دانا: "هل يوجد من العاملين فى السفارة الآن من كان يعمل تحت إمرة تايلور وينثروب؟".

"أوه، نعم. فى الواقع، لقد كانت سكرتيرتى، لى، تعمل سكرتيرة لتايلور وينثروب".

"هل تمانع إذا تحدثت إليها؟".

"كلا، على الإطلاق، بل إننى مستعد لإعطائك قائمة بالأشخاص الذين قد يفيدونك فيما تبحثين عنه".

"سيكون ذلك أمراً رائعاً. شكراً لك".

وقف السفير وقال مودعاً: "احترسى لنفسك طوال فترة وجودك هنا يا آنسة إيفانس، فهناك الكثير من الجرائم التى تحدث فى الشوارع طوال اليوم".

"هكذا سمعت أيضا".

"لا تشربى مياه الصنبور، فحتى الروس أنفسهم لا يشربونها. وعندما تأكلين بالخارج، أخبرى النادل دوماً أنك تريدين *كريستى شتول* ـ وتعنى مائدة فارغة باللغة الروسية ـ وإلا فسوف تجدين المائدة التى تأكلين عليها ممتلئة بمشهيات غالية الثمن لم تطلبيها. وإذا خرجت للتسوق، فعليك بمتاجر منطقة آربات، فهى الأفضل، ويتوافر بها كل شىء. وكونى حذرة من سيارات الأجرة هنا، واستقلى السيارات القديمة المتهالكة، حيث إن السائقين، محترفى النصب، يقودون سيارات جديدة فى معظم الأحيان".

ابتسمت دانا وقالت: "شكراً لك. سوف أتذكر ذلك".

• • •

بعد خمس دقائق، كانت دانا تتحدث مع لى هوبكنز، سكرتيرة السفير، حيث جلستا فى غرفة صغيرة موصدة الأبواب.

"كم من الوقت ظللت تعملين لدى السفير وينثروب؟".

"ثمانية عشر شهراً، ما الذى تريدين معرفته تحديدا؟".

"هل كان للسفير وينثروب أى أعداء فى الفترة التى قضاها هنا فى روسيا؟".

نظرت لى هوبكنز إلى دانا باندهاش وقالت: "أعداء؟".

"نعم. فى وظيفة مثل هذه أتخيل أنه يمكن أن تضطرى أحياناً لأن تقولى لا لبعض الأشخاص الذين ربما لن يعجبهم هذا الرفض، وأنا واثقة من أن السفير وينثروب لم يكن بمقدوره إرضاء الجميع".

هزت لى هوبكنز رأسها نفياً وقالت: "أنا لا أدرى ما الذى تسعين وراءه يا آنسة إيفانس، لكن لو أنك تنوين تشويه سمعة تايلور وينثروب، فقد جئت للشخص غير المناسب لكى يساعدك. لقد كان تايلور وينثروب ألطف وأرق الأشخاص الذين تعاملت معهم فى حياتى".

تمتمت دانا سراً: *ها قد عدنا للأسطوانة المشروخة.*

خلال الساعتين التاليتين، تحدثت دانا مع خمسة أشخاص ممن عملوا فى السفارة الأمريكية أثناء تولى تايلور وينثروب منصب السفير.

وكان وصفهم له:

لقد كان رجلاً عبقرياً .....

لقد كان يحب الناس حقاً .....

لقد كان يكلف نفسه ما لا تطيق لكى يساعدنا...

أعداء؟ ليس تايلور وينثروب من يتخذ لنفسه عدواً...

وأخيراً تمتمت دانا: *أنا أضيع وقتى.* ثم توجهت لمكتب السفير هاردى مجددا.

تساءل السفير هاردى ـ وقد صارت نبرته أقل ودية: "هل وجدت ما تبحثين عنه؟".

ترددت دانا، ثم قالت بصدق: "ليس تماماً".

انحنى السفير إلى الأمام وقال: "وأنا لا أعتقد أنك ستجدين ما تريدينه يا آنسة إيفانس ـ طالما أنك تبحثين عن أشياء سلبية عن

تايلور وينثروب. لقد تسببت فى إزعاج كل العاملين هنا، فقد كانوا يحبون ذلك الرجل كثيراً، وأنا أيضاً كنت أحبه. لا تحاولى البحث عن فضائح ليس لها وجود. وإذا كان ذلك هو كل ما جئت لأجله، فإننى أقترح عليك أن تغادرى".

قالت دانا: "شكراً لك، سوف أفعل".

لكن دانا لم يكن لديها أية نية للمغادرة.

كان نادى ناشونال كلوب للصفوة، والذى يقع فى مواجهة مبنى الكرملين وميدان مانيزا، عبارة عن مطعم وكازينو خاص. وكان تيم درو بانتظار دانا عندما وصلت إلى هناك.

قال تيم: "مرحبا. أظن أنك سوف تستمتعين بوجودك هنا. إن هذا المكان يقصده علية المجتمع الروسى وأصحاب المال والنفوذ. ولو أن قنبلة سقطت على هذا المكان، فإننى أعتقد أن الحكومة الروسية سينتهى أمرها".

كان طعام العشاء شهياً، وقد بدءا بتناول الفطائر والكافيار، ثم أعقبا ذلك بتناول حساء الخضار الروسى، وسمك الحفش الجورجى بصلصة الجوز، وشرائح اللحم البقرى المتبل، والأرز المحمر. وكانت التحلية عبارة عن كعكة سلطة الفواكه بالجبن.

قالت دانا: "يا له من طعام لذيذ. كنت قد سمعت أن الطعام الروسى بشع للغاية".

قال تيم درو مؤكداً: "إنه كذلك بالفعل. إن هذا المطعم لا علاقة له بروسيا. يمكنك اعتباره واحة صغيرة مستقلة بذاتها".

تساءلت دانا: "كيف هى طبيعة المعيشة هنا؟".

ظل تيم درو يفكر للحظة، ثم قال: "إنها أشبه بالوقوف بجانب بركان فى انتظار ثورته فى أى لحظة. والمدهش هو أنك لن تعرفى أبدا متى سيثور. إن رجال السلطة يسرقون المليارات من أموال الشعب، والناس يتضورون جوعاً. وهذا هو سبب اندلاع الثورة الأخيرة، لكن الله وحده يعلم ماذا سيحدث الآن. ولكى

أكون عادلا، يجب أن أقول إن هذا هو جانب واحد من القصة. فالجانب الثقافى فى البلاد لا نظير له. فهنا تجدين مسرح البولشوى، ومتحف هيرميتاج العظيم، ومتحف بوشكين، وفرقة الباليه الروسية، والسيرك الروسى الشهير ..... والقائمة لا تنتهى. إن روسيا تخرج للعالم كتباً أكثر من بقية دول العالم مجتمعة، والمواطن الروسى العادى يقرأ فى السنة ثلاثة أضعاف الكتب التى يقرؤها المواطن الأمريكى".

قالت دانا بجفاف: "ربما يقرؤون الكتب غير المناسبة".

"ربما. لكن المشكلة الآن هى أن الشعب الروسى قد وقع بين مطرقة الشيوعية وسندان الرأسمالية. وكلا النظامين غير ناجح هنا، والمشكلات المترتبة على كليهما لا تنتهى. فهناك الخدمات السيئة، والتضخم الذى أصاب الأسعار، وكل أنواع الجرائم التى قد تتخيلينها". نظر تيم درو إلى دانا وأردف: "أتمنى ألا يكون كلامى قد أصابك بالإحباط".

"كلا. أخبرنى يا تيم، هل كنت تعرف تايلور وينثروب معرفة جيدة؟".

"لقد أجريت معه عدة مقابلات".

"هل سمعت يوماً عن مشروع ضخم كان تايلور وينثروب منخرطا فيه؟".

"لقد كان منخرطاً فى كثير من المشروعات، لا تنسى أنه كان سفير الولايات المتحدة هنا".

"أنا لا أتحدث عن مشروعات حكومية، وإنما أتحدث عن شىء مختلف ـ شىء معقد للغاية .... مشروع يجب أن تترابط فيه كل الأجزاء فى مكانها المناسب".

فكر تيم درو للحظة، ثم قال: "لا أتذكر شيئاً كهذا".

"أيوجد شخص هنا ممن كانت لهم علاقة قوية بتايلور وينثروب؟".

"بعض من نظرائه الروس، حسبما أعتقد. يمكنك التحدث إليهم".

قالت دانا: "نعم، سوف أفعل".

أحضر النادل فاتورة الحساب ، فتفحصها تيم درو بعينيه سريعاً، ثم نظر إلى دانا وقال: "هذا هو الشكل النمطى لفواتير المطاعم هنا. ستجدين ثلاثة أقسام منفصلة لضرائب إضافية فى أية فاتورة، ومن الأحرى ألا تحاولى أن تسألى عن معنى أى منها"، ثم دفع تيم الحساب للنادل.

وعندما كانا فى الشارع خارج المطعم، قال تيم لدانا: "هل تحملين مسدساً؟".

نظرت إليه دانا باندهاش وقالت: "بالطبع لا. لماذا تسأل؟".

"هذه هى موسكو. لن تعرفى أبداً متى تحتاجين إلى مسدس"، ثم واتته فكرة، فأردف: "أنصتى إلىّ، سوف نتوقف فى مكان ما".

واستقلا سيارة أجرة، وأعطى تيم درو العنوان للسائق. وبعد خمس دقائق، توقفت السيارة أمام متجر لبيع الأسلحة، وخرج تيم ودانا من السيارة.

نظرت دانا إلى داخل المتجر وقالت: "أنا لن أحمل مسدساً".

قال تيم درو: "أعلم ذلك، فقط تعالىْ معى". كانت رفوف المتجر ممتلئة بكل أنواع الأسلحة النارية التى قد تخطر على قلب بشر.

تلفتت دانا حولها وقالت: "أيمكن لأى شخص أن يدلف إلى هنا ويبتاع مسدساً؟".

قال تيم درو: "كل ما ستحتاجين إليه هو المال".

تمتم البائع ببضع كلمات روسية وهو يخاطب تيم، فأخبره تيم بما يريد.

قال البائع: "حسناً"، ثم مد يده أسفل منضدة البيع وجلب شيئا أسطوانيا صغيراً أسود اللون.

تساءلت دانا: "وما الذى يفعله هذا الشيء؟".

التقط تيم درو ذلك الشكل الأسطوانى وقال: "إنه من أجلك. إنه رذاذ حارق. كل ما عليك فعله هو أن تضغطى على هذا الزر فى الأعلى، وسوف تنطلق مادة حارقة تجعل الشخص الشرير يتألم لدرجة لن يستطيع معها أن يؤذيك".

قالت دانا: "أنا لا أعتقد .....".

قال تيم: "ثقى بى، واحمليه معك"، ثم ناولها الرذاذ، ودفع للرجل ثمنه، ثم غادرا المتجر.

قال تيم درو: "هل تودين أن ترىْ ملهى ليلياً على الطراز الروسى؟".

"تبدو تجربة مثيرة".

"عظيم، هيا بنا".

كان ملهى نايت فلايت، الذى يقع بشارع تافارسكايا، مكاناً فخماً ومزخرفاً ومكتظاً بالروس الذين حضروا فى أبهى أزيائهم لتناول الطعام والشراب والاستمتاع بالرقص.

قالت دانا ـ معلّقة على المنظر: "يبدو أنه لا توجد أزمة اقتصادية هنا".

"كلا، فلا يبقى سوى الشحاذين بالشوارع فى الخارج".

فى الثانية بعد منتصف الليل، عادت دانا إلى الفندق، وقد أعياها التعب، لقد كان يوماً طويلاً بالنسبة لها. كانت هناك امرأة تجلس فوق منضدة بالردهة، وتسجل تحركات نزلاء الفندق.

عندما وصلت دانا إلى غرفتها، نظرت إلى خارج النافذة، فرأت منظراً جميلاً لقطرات الثلج الرقيقة التى كانت تسقط فى ضوء القمر.

تمتمت دانا بإصرار: *سوف أعرف غداً ما جئت من أجله.*

كانت الضوضاء التى تحدثها الطائرة النفاثة بالأعلى مرتفعة لدرجة بدا معها وكأن الطائرة سوف تصطدم بالمبنى، هب الرجل واقفا بسرعة من خلف مكتبه، واختطف منظارا مكبرا، ثم توجه إلى النافذة. كان ذيل الطائرة الهابطة ينخفض بسرعة بينما كانت الطائرة تستعد للهبوط فى المطار الصغير الذى يبعد نصف ميل. وفيما عدا ممرات الهبوط، كان كل شيء فى ذلك المكان القفر، وعلى امتداد البصر، مغطى بالثلوج. لقد كان الوقت شتاءً، وكان هذا الموقع فى قلب سيبريا.

قال الرجل لمساعده: "إذن، فالصينيون هم أول من وصل إلى المكان". لم يكن تعليقه يحتاج إلى ردٍ، فأردف يقول: "لقد علمت أن صديقنا لينج وونج لن يعود مجدداً، وذلك لأنه عندما عاد من اجتماعنا الأخير خاوى الوفاض، وكان بانتظارهٍ استقبال غير سعيد. يا له من أمر محزن. لقد كان رجلا محترما".

وفى تلك اللحظة، وصل إلى سمعهما أصوات طائرة نفاثة أخرى تقترب. لم يتعرف الرجل على هوية تلك الطائرة. وبعد أن هبطت الطائرة، وجه الرجل عدسات نظارته المكبرة إلى الرجال الهابطين من كابينة الطائرة إلى أرض مدرج الهبوط. لم يحاول بعض هؤلاء الرجال إخفاء أسلحتهم الرشاشة التى كانوا يحملونها.

قال الرجل: "لقد وصل الكولومبيون".

اقتربت أصوات نفاثة أخرى، فتمتم الرجل سرا: *ما زال هناك اثنا عشر وفدا. عندما نبدأ المفاوضات غدا، سيكون ذلك أكبر مزاد على الإطلاق، ولا يمكن أن نسمح بحدوث أى مشكلات.*

التفت الرجل إلى مساعده مجدداً، وقال: "قم بتسجيل الوفود التى تصل".

مذكرة سرية إلى مسئولى العمليات: يتم تدمير المذكرة بعد الاطلاع عليها فورا.

يجب الاستمرار فى إحكام المراقبة على الهدف، وعليكم تقديم تقارير حول تحركات الهدف ونشاطاته، والاستعداد لصدور قرار محتمل بتصفيته.

٢٠

عندما استيقظت دانا من النوم، اتصلت على الفور بتيم درو.

قال تيم متسائلاً: "هل بلغتك أية معلومات إضافية عن طريق السفير هاردى؟ ".

"كلا. أعتقد أننى قد أسأت إليه، تيم، أحتاج للتحدث معك".

"حسناً، استقلى سيارة أجرة ووافينى إلى نادى بويرسكى كلوب بشارع تريتريلنى برويز ".

"أين؟ أنا لن أستطيع أبداً...".

"سائق السيارة سوف يعرف العنوان. فقط استقلى سيارة أجرة قديمة ومتهالكة ".

"حسناً".

خرجت دانا من الفندق إلى تلك الرياح الباردة التى كانت تعصف بقوة، وحمدت الله على أنها كانت ترتدى معطفها الصوفى الجديد ذا اللون الأحمر، وعلمت دانا - بواسطة اللوحة الإلكترونية المعلقة فوق المبنى المقابل للفندق - أن درجة الحرارة ٢٩ تحت الصفر، فتمتمت: *يا إلهى! كأننى أسير فوق نهر متجمد*.

كانت هناك سيارة أجرة جديدة ذات ألوان براقة تقف أمام الفندق، فتراجعت دانا خطوة للوراء وانتظرت حتى دلف أحد الركاب إلى السيارة. كانت السيارة التى تليها تبدو قديمة، فاستقلتها دانا. نظر السائق إليها بتساؤل من خلال المرآة الخلفية.

فقالت دانا بحذر: "أريد أن أذهب إلى شارع تريتر.... "ثم ترددت وهي تردف: ".....يلنى ..... "ثم التقطت نفساً عميقاً وأكملت: ".....برويز..... ".

قال السائق بنفاد صبر: "أتريدين الذهاب إلى نادى بويرسكى كلوب؟ ".

"نعم ".

انطلق السائق على الفور، وسارت السيارة على طول شوارع مشجّرة تمتلئ بالسيارات والسائرين بسرعة فوق أرصفة الشوارع المغمورة بالثلوج. بدت المدينة كأنها قد كسيت بطبقة رمادية من الكآبة. تمتمت دانا: *لا أظن أن الطقس السيئ هو السبب الوحيد لتلك الكآبة* .

اكتشفت دانا أن نادى بويرسكى كلوب كان عبارة عن ملهى حديث الطراز، يمتلئ بالمقاعد والأرائك الجلدية المريحة. وكان تيم درو يجلس بانتظارها فى مقعد مجاور للنافذة.

"أرى أنك قد عثرت على النادى دون عناء ".

جلست دانا فوق أحد المقاعد وقالت: "كان سائق التاكسى يتحدث الإنجليزية ".

"أنت محظوظة، فبعض هؤلاء السائقين لا يتحدث حتى الروسية، فهم يأتون من أقاليم بعيدة ومتفرقة، إنه لشيء عجيب أن هذا البلد لم يتعرض للانهيار حتى الآن. إن روسيا تذكرنى بديناصور يحتضر. هل تعلمين كم تبلغ مساحة روسيا؟ ".

"ليس بالضبط".

"إنها تكاد تبلغ ضعف مساحة الولايات المتحدة، وبها ثلاثة عشر خط توقيت، ولديها حدود مع أربع عشرة دولة. أربع عشرة".

قالت دانا: "هذا أمر مدهش. تيم، أريد أن أتحدث مع بعض الشخصيات الروسية التى كان لها معاملات مع تايلور وينثروب".

"إن هذا قد يشمل كل المسئولين فى الحكومة الروسية".

قالت دانا: "أعلم ذلك، لكن لابد أن بعضهم كانت تربطه بتايلور علاقات أقوى وأقرب من البعض الآخر. فالرئيس مثلاً....".

قال تيم درو بجفاء: "أو ربما شخص أقل منزلة. فمن بين كل الشخصيات التى ارتبطت بعلاقات مع تايلور وينثروب، يمكننى أن أقول أن ساشا شادانوف كان أقربهم منه منزلة".

"ومن يكون ساشا شادانوف هذا؟".

"إنه مفوض مكتب تنمية الاقتصاد العالمى، وأعتقد أن تايلور كانت تربطه به علاقة صداقة إلى جانب العلاقات الرسمية"،

نظر تيم إلى دانا بفضول وقال: "ما الذى تسعين خلفه يا دانا؟".

ردت دانا بصدق: "أنا غير متأكدة .... غير متأكدة على الإطلاق".

كان مكتب تنمية الاقتصاد العالمى عبارة عن مبنى ضخم من الطوب الأحمر، يحتل مربعاً سكنياً كاملا بشارع أوزيرنيا، وبداخل البوابة الرئيسية، كان هناك شرطيان فى ملابس مدنية، وحارس ثالث يجلس خلف مكتب الأمن.

اقتربت دانا من مكتب الأمن، فرفع الحارس نظره إلى أعلى.

قالت دانا: "صباح الخير".

"صباح الخير. ماذا ....".

قاطعته دانا قائلة: "عذراً، لقد جئت لمقابلة المفوض شادانوف. أنا دانا إيفانس، وأعمل بشبكة واشنطن تريبيون الإخبارية".

نظر الحارس إلى دفتر موضوع أمامه، ثم هز رأسه قائلاً: "هل هناك موعد للمقابلة؟".

"كلا، لكن ....".

"إذن عليك أن تحددى موعداً لمقابلة السيد المفوض. أنت أمريكية، أليس كذلك؟".

"نعم".

أخذ الحارس يبحث داخل بعض الاستمارات الموضوعة أمامه، ثم أعطى دانا إحداها وهو يقول: "املئى هذه الاستمارة من فضلك".

قالت دانا: "حسناً، هل سيكون ممكناً رؤية المفوض بعد ظهر هذا اليوم؟".

غمز الحارس بعينه وقال: "إنكم أيها الأمريكيون دائماً فى عجلة من أمركم، فى أى فندق تنزلين؟".

"فندق شيفاستبول، أنا فقط بحاجة إلى بضع دقا....".

سجل الحارس بعض الملاحظات فى دفتره، ثم قال: "سوف يتصل بك أحدهم. طاب صباحك".

قالت دانا: "لكن .....". لكنها رأت ملامح الانزعاج على وجهه، فأردفت: "طاب صباحك".

• • •

ظلت دانا بحجرتها طوال فترة ما بعد الظهيرة، منتظرة تلك المكالمة الهاتفية. وفي تمام السادسة، اتصلت بهاتف تيم درو.

قال تيم متسائلا: "هل استطعت مقابلة شادانوف؟".

"كلا، سوف يتصلون بى ليخبرونى بموعد المقابلة".

"لا تنتظرى كثيرا يا دانا، فأنت تتعاملين مع نظام بيروقراطى من كوكب آر".

فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، توجهت دانا إلى مكتب تنمية الاقتصاد العالمى، فوجدت نفس الحارس يجلس وراء مكتب الأمن.

"عمت صباحاً".

رفع الحارس نظره إليها، وقد ارتسمت على وجهه نفس التعبيرات الجامدة، ثم قال: "عمت صباحاً".

"هل تسلم المفوض شادانوف رسالتى بالأمس؟".

"ما اسمك؟"

"دانا إيفانس".

"وهل تركت للمفوض رسالة بالأمس؟".

قالت دانا برتابة: "نعم، تركتها معك".

أومأ الحارس برأسه وقال: "إذن فقد تسلمها المفوض. فقد تسلم كل الرسائل".

"هل يمكننى التحدث إلى سكرتيرة المفوض شادانوف؟".

"هل حددت موعداً للمقابلة؟".

التقطت دانا نفساً عميقاً وقالت: "كلا".

هز الحارس كتفيه وقال: "إذن لا يمكنك".

"متى أستطيع أن ......".

"سوف يتصل بك أحدهم".

• • •

فى طريق عودتها إلى الفندق، مرت دانا بمتجر ديتسكى مير لمستلزمات الأطفال. فدلفت إلى الداخل وأخذت تلقى نظرة فى أرجاء المكان. كان هناك قسم مخصص للعب الأطفال. وفى أحد الأركان، كان هناك رف ممتلئ بألعاب الكمبيوتر، فتمتمت دانا:

إن كيمال سيسعد للغاية بإحدى هذه الألعاب. فاشترت دانا إحدى الألعاب وأصابتها الدهشة من ثمنها المرتفع. وتوجهت بعد ذلك إلى الفندق، وجلست بحجرتها تنتظر تلك المكالمة، وفى حوالى السادسة، تخلت دانا تماماً عن الأمل، وكانت على وشك أن تهبط الطابق السفلى لتناول العشاء عندما رن جرس الهاتف، فهرعت دانا إلى مكان الهاتف، والتقطت السماعة.

"دانا؟". كان المتحدث هو تيم درو.

"نعم، تيم".

"هل حالفك الحظ بعد؟".

"أخشى أنه لم يحدث".

"حسنًا، طالما أنك فى موسكو، فلا يجب أن تفوتك روائع هذه المدينة. إن فرقة الباليه الروسية ستقدم عرضاً لباليه جيسيل هذه الليلة، هل أنت مهتمة؟".

"بالتأكيد، شكراً لك".

"سآمر لاصطحابك فى غضون ساعة".

قدمت فرقة الباليه عرضها على مسرح بالاس أوف كونجرس، الذى يقع بداخل مبنى الكرملين، ويتسع لستة آلاف مقعد. كانت ليلة ساحرة، حيث عزفت الفرقة الموسيقية بروعة، وأدى الراقصون أدوارهم بإبداع، وانتهى الفصل الأول بسرعة البرق.

وعندما أضيئت الأنوار فى وقت الاستراحة، هب تيم درو من مقعده، وقال لدانا: "اتبعينى بسرعة".

وعلى الفور، رأت دانا جموعاً من الحاضرين تهرع إلى أعلى السلالم.

فقالت: "ما الذى يحدث؟".

"سوف ترين بنفسك".

عندما وصلا إلى الطابق العلوى، شاهدا عدداً من طاولات الطعام التى امتلأت عن آخرها بأطباق الكافيار وزجاجات الشراب الموضوعة داخل الثلج، وكان جمهور المسرح، ممن وصلوا أولاً إلى الطابق العلوى، قد بدأوا بالفعل فى تناول الطعام والشراب بنهم شديد.

التفتت دانا إلى تيم وقالت: "إن هؤلاء الروس يعرفون جيداً كيف يحتفلون".

قال تيم: "هكذا تعيش الطبقات العليا، لكن تذكرى أن ثلث سكان البلاد يعيشون تحت خط الفقر".

اتجه دانا وتيم نحو النافذة، مبتعدين عن الزحام الملتف حول الموائد.

بدأت الأضواء تتألق فى تقطع، فقال تيم: "حان وقت الفصل الثانى من المسرحية ".

كان الفصل الثانى ساحراً، لكن عقل دانا ظل يعود إلى مقاطع من محادثات سابقة.

لقد كان تايلور وينثروب مخادعاً، لقد كان ذكياً... ذكياً للغاية. لقد لفق لى تلك التهمة .....

لقد كان حادثاً مأساوياً. لقد كان جابرييل صبياً رائعاً.

لقد دمر تايلور وينثروب مستقبل عائلة مانسينو ....

عندما انتهى عرض الباليه، بينما كان تيم ودانا يجلسان داخل سيارة الأول، قال تيم درو: "أتودين تناول مشروب فى شقتى؟".

التفتت دانا لتنظر إليه. لقد كان تيم درو جذاباً، وذكياً، وساحراً ــ لكنه لم يكن جيف. وكان ما خرج من فم دانا هو: "شكراً لك يا تيم، لكنى لن أستطيع".

ارتسمت ملامح خيبة الأمل على وجه تيم بوضوح وهو يقول: "أوه، ربما فى الغد؟".

قالت دانا: "لكم أود ذلك، لكن يجب أن أكون مستعدة فى الصباح الباكر"، ثم تمتمت فى عقلها: *وكذلك فإننى غارقة حتى أذنى فى حب رجل آخر.*

فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، توجهت دانا مجدداً إلى مكتب تنمية الاقتصاد العالمى، فوجدت نفس الحارس يجلس وراء مكتب الأمن.

"طاب صباحك".

"طاب صباحك".

"أنا دانا إيفانس، إذا لم يكن ممكناً أن أقابل المفوض شادانوف، فهل يمكننى رؤية أحد مساعديه؟".

"هل لديك موعد سابق؟".

"كلا، أنا...".

ناولها الحارس استمارة وهو يقول: "املئى هذه الاستمارة، وسوف...".

عندما عادت دانا إلى غرفتها بالفندق، كان هاتفها المحمول يرن دون انقطاع، لكن صوته لم يكن أعلى من صوت دقات قلبها.

"دانا ....".

"جيف !".

كان هناك الكثير أراد كلاهما أن يقوله للآخر، لكن ريتشيل كانت تقف بينهما كظل خفى، ولم يكن باستطاعتهما أن يناقشا أهم ما كان يشغل عقليهما فى تلك اللحظة: مرض ريتشيل، فقد كانت المحادثة تتم تحت حراسة مشددة.

• • •

أتت المكالمة من مكتب المفوض شادانوف بشكل غير متوقع فى تمام الثامنة من صباح اليوم التالى، حيث سمعت دانا صوتا شديد النبرات يقول: "دانا إيفانس؟".

"نعم".

"أنا يريك كاربافا، مساعد المفوض شادانوف. هل تودين رؤية المفوض؟".

قالت دانا: "نعم!"، وكادت تتوقع منه أن يقول: "هل لديك موعد سابق؟" لكنه بدلاً من ذلك قال: "تفضلى بالحضور إلى مكتب تنمية الاقتصاد العالمى بعد ساعة واحدة من الآن".

"حسناً. شكراً جز.... "لكن خط الهاتف أغلق قبل أن تكمل دانا عبارتها.

بعد ساعة من وقت المكالمة، كانت دانا تدلف إلى ردهة ذلك المبنى الضخم مجدداً، ثم توجهت إلى نفس الحارس الذى يجلس خلف مكتب الأمن.

رفع الحارس نظره وقال: "طاب صباحك".

أجبرت دانا نفسها على الابتسام وهى ترد: "طاب صباحك، أنا دانا إيفانس، وقد حضرت لمقابلة المفوض شادانوف".

هز الحارس كتفيه وقال: "أنا آسف. بدون موعد سابق لن.....".

التزمت دانا بالهدوء وقالت: "لدىّ موعد بالفعل".

تطلع إليها الحارس فى تشكك وقال: "حقاً؟"، ثم التقط سماعة الهاتف وظل يتحدث عبرها لبضع لحظات، وأخيراً التفت إلى دانا وقال على مضض: "توجهى إلى الطابق الثالث، وسوف يقابلك أحدهم هناك".

كانت حجرة مكتب المفوض شادانوف كبيرة ومتهالكة، وقد بدا كأن أثاثها قد تم فرشه فى أوائل العشرينات من القرن الماضى، وكان هناك رجلان يجلسان بداخلها.

عندما دلفت دانا إلى الداخل، وقف الرجلان تحية لها، وقال أكبرهما سناً: "أنا المفوض شادانوف".

بدا ساشا شادانوف فى الخمسينات من العمر، وكان قصيراً ومكتنزا، وله خصلة شعر رمادية، ووجه مستدير شاحب اللون، وعينان بنيتان زائغتان لم تكفا عن التطلع إلى أرجاء الحجرة، كأنه كان يبحث عن شىء ما. كان للرجل لكنة ثقيلة، وكان يرتدى حلة بنية عديمة الشكل، وحذاءً بالياً رخيص الثمن. أشار المفوض شادانوف إلى الرجل الآخر وقال:

"هذا أخى، بوريس شادانوف".

ابتسم بوريس شادانوف وقال: "مرحباً بك يا آنسة إيفانس".

بدا بوريس شادانوف على العكس من أخيه تماماً، فقد بدا أصغر سناً بعشر سنوات على الأقل، وكان له أنف معقوف، وذقن حاد، وكان يرتدى حلة فاخرة من اللون الأزرق الفاتح ورابطة عنق رمادية ثمينة. ولم يكن لديه لكنة محددة على الإطلاق.

قال ساشا شادانوف بفخر: "إن بوريس فى زيارة للبلاد، حيث إنه يعمل ملحقاً بالسفارة الروسية فى واشنطن، عاصمة بلادكم".

قال بوريس شادانوف: "أنا من أشد المعجبين ببرامجك يا آنسة إيفانس".

"شكراً لك".

تساءل ساشا شادانوف: "ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك يا آنسة إيفانس؟ ألديك مشكلة ما؟".

قالت دانا: "كلا، على الإطلاق. لقد أردت أن أتحدث إليك بخصوص تايلور وينثروب".

نظر إليها شادانوف فى حيرة، وقال: "وما الذى تريدين معرفته عن تايلور وينثروب؟".

"لقد علمت أنك عملت معه، وأنك كنت تراه بشكل اجتماعى ـ من وقت لآخر".

قال ساشا شادانوف بحذر: "نعم".

"لقد أردت أن أعرف رأيك الشخصى فيه".

"وماذا هناك ليقال؟ أعتقد أنه كان نِعم السفير للولايات المتحدة".

"لقد علمت أنه كان يحظى بشعبية كبيرة هنا و.....".

قاطع بوريس شادانوف استرسالها قائلا: "أوه، نعم. إن السفارات الموجودة فى روسيا تقيم الكثير من الحفلات، وقد كان تايلور وينثروب دائما ما ...".

عبس ساشا شادانوف فى وجه أخيه، وصاح فيه بالروسية: "كفى ! "، ثم التفت إلى دانا مجدداً، وقال: "لقد كان السفير وينثروب يذهب أحيانا إلى الحفلات التى تقيمها السفارات فى روسيا. فقد كان يحب الشعب الروسى، وكان الشعب الروسى يحبه أيضاً".

وعاد بوريس شادانوف للحديث مجدداً: "فى الواقع، لقد أخبرنى مرة أنه إذا استطاع أن ....".

صاح ساشا شادانوف فى غضب: "قلت لك كفى ! "، ثم التفت إلى دانا وقال: "كما قلت لك يا آنسة إيفانس، لقد كان تايلور وينثروب سفيراً ممتازاً".

نظرت دانا إلى بوريس شادانوف. فقد بدا واضحاً أنه يحاول أن يخبرها بشيء ما، لكنها التفتت مجدداً إلى المفوض وقالت: "هل تورط السفير وينثروب فى أى نوع من المتاعب أثناء وجوده هنا؟".

تجهم ساشا شادانوف وقال ـ وحاول تفادى النظر إلى عينى دانا مباشرة وهو يقول: "متاعب؟ كلا".

تمتمت دانا سراً: *إنه يكذب*. ولهذا قررت الضغط عليه أكثر، فقالت: "سيدى المفوض، هل يمكنك أن تفكر فى أى سبب قد يدفع أحدهم إلى قتل تايلور وينثروب وعائلته؟".

اتسعت عينا ساشا شادانوف وهو يرد: "قتل؟ عائلة وينثروب؟ كلا ....كلا ".

قالت دانا: "ألا يمكنك التفكير فى أى شيء كهذا؟ ".

قال بوريس شادانوف: "فى الواقع ..... ".

قاطعه ساشا شادانوف قائلا: "لم يكن هناك أى سبب لحدوث شيء كهذا، لقد كان سفيراً عظيماً". أخرج المفوض ساشا سيجارة من علبة سجائر فضية، فأسرع بوريس ليشعلها من أجله.

قال المفوض ساشا: "أهناك شيء آخر تريدين معرفته؟ ".

نظرت دانا إلى كليهما وتمتمت فى عقلها: *إنهما يخفيان شيئاً، ولكن ما هو؟ إن هذا الأمر يشبه السير فى متاهة لا مخرج لها*. وأخيراً ردت بهدوء: "كلا "، ثم نظرت إلى بوريس وهى تضيف ببطء: "إذا تذكرت أى شيء فسوف تجدنى فى فندق شيفاستبول حتى صباح الغد ".

قال بوريس شادانوف: "هل ستعودين إلى الولايات المتحدة؟".

"نعم، وسوف تغادر طائرتى بعد ظهيرة الغد ".

قال بوريس شادانوف: "أنا ..... "، لكنه نظر إلى أخيه، ولم يكمل جملته التى أراد قولها.

قالت دانا: "وداعاً".

"وداعاً".

عندما عادت دانا إلى حجرتها بالفندق، هاتفت مات بيكر.

"هناك أمر يحدث هنا يا مات، لكننى لا أستطيع معرفة ماهيته ـ اللعنة ! لدىّ إحساس أننى قد أظل فى هذا البلد لشهر آخر دون أن أصل إلى أى معلومة مفيدة. سوف أعود إلى الوطن غداً".

هناك أمر يحدث هنا يا مات، لكننى لا أستطيع معرفة ماهيته. اللعنة! لدى إحساس أننى قد أظل فى هذا البلد لشهر آخر دون أن أصل إلى أى معلومة مفيدة. سوف أعود إلى الوطن غداً.

انتهى الشريط.

كان مطار شيريمتيفو الثانى مكتظاً بالمسافرين فى تلك الليلة. وكانت دانا تقف بانتظار النداء على طائرتها، وقد راودها نفس الإحساس غير المريح بأنها مراقبة. تفحصت حشود المسافرين بعينيها، لكنها لم تستطع أن تحدد أى شخص مميز من بينهم. وأخيرا تمتمت: *إنهم موجودون فى مكان ما هنا.* ولقد كان ذلك الإدراك كافيا لأن يجعلها ترتعد خوفاً.

٢١

كانت السيدة دالى، وبصحبتها كيمال، ينتظران فى مطار دولس لمقابلة دانا. لم تكن دانا تدرك كم كانت تشتاق إلى كيمال، حتى لفت ذراعيها حوله واحتضنته بقوة.

قال كيمال: "مرحباً يا دانا. أنا سعيد بعودتك. هل أحضرت لى دباً روسياً؟".

"لقد فعلت، لكن ذلك الدب الشرير غافلنى وهرب".

ابتسم كيمال قائلا: "هل ستبقين بواشنطن الآن؟".

ابتسمت دانا بحنان وقالت: "بالتأكيد سوف أبقى".

ابتسمت السيدة دالى وقالت: "تلك أنباء سعيدة يا آنسة إيفانس، ونحن سعداء بعودتك".

قالت دانا: "وأنا أيضا سعيدة بالعودة".

• • •

قالت دانا وهى تقود السيارة فى طريق العودة إلى شقتها: "كيف حال ذراعك الجديدة يا كيمال؟ هل اعتدت عليها؟".

"إنها رائعة".

"أنا سعيدة للغاية بذلك. وكيف الحال فى المدرسة؟".

"على ما يرام".

"ألا تتشاجر مع أى من زملائك؟".

"كلا".

"هذا رائع يا حبيبى". تفرست فيه دانا للحظات. كان كيمال يبدو متغيراً بعض الشىء - بل يكاد يبدو مكبوتاً. بدا الأمر كأن شيئاً قد حدث فغير من طبائعه، لكن أياً كان ذلك الشىء، فإن كيمال كان يبدو سعيداً.

عندما وصلوا إلى الشقة، قالت دانا: "لابد أن أذهب إلى الاستوديو الآن، لكننى سأعود، وعندها سوف أصحبك لتناول العشاء فى مطعم ماكدونالد"، وكانت على وشك أن تردف: حيث *اعتدنا أن نذهب بصحبة جيف.*

عندما دلفت دانا داخل المبنى الضخم الخاص بشبكة (دبليو. تى. إن) ، بدا الأمر كأنها قد غابت عنه لقرن من الزمان. وفى طريقها إلى مكتب مات بيكر، تلقت التحية من عدد كبير من زملائها.

"مرحباً بعودتك يا دانا. لقد افتقدناك".

"وأنا أيضاً سعيدة، لقد افتقدتكم كثيراً".

"مرحى ! انظروا من عاد إلينا. هل استمتعت كثيرا برحلتك؟".

"كانت رحلة رائعة. شكراً لكم".

"لم يكن للاستوديو طعم بدونك".

وعندما دلفت دانا إلى داخل مكتب مات بيكر، قال الأخير: "لقد فقدت بعض الوزن، وتبدين بحالة بشعة".

"شكراً لك يا مات".

"اجلسى".

جلست دانا فوق أحد المقاعد.

"هل حصلت على أى قسط من النوم؟".

"ليس كثيراً".

"بالمناسبة، لقد هبطت نسب مشاهدتنا بشكل كبير منذ غيابك".

"يا له من إطراء".

"سيسعد إيليوت كثيراً عندما يعلم أنك قد تخليت عن تلك القضية، فقد كان يشعر بالقلق حيالك". لكن مات بيكر لم يذكر لها كم كان هو الآخر يشعر بالقلق حيالها.

وظلا يتحدثان لمدة نصف ساعة.

عندما عادت دانا إلى مكتبها، قالت أوليفيا: "مرحباً بعودتك. لقد مر وقت طو....."لكن رنين الهاتف قطع حديثها. فالتقطت أوليفيا سماعة الهاتف وقالت: "مكتب الآنسة إيفانس ..... لحظة واحدة من فضلك"، ثم نظرت إلى دانا وقالت: "باميلا هودسون تطلبك على الخط رقم واحد".

قالت دانا: "سوف أتحدث إليها"، ثم دلفت إلى حجرة مكتبها، والتقطت سماعة الهاتف قائلة: "باميلا".

"دانا، لقد عدت ! لقد كنا فى غاية القلق. إن روسيا ليست بالمكان الآمن فى هذه الأيام".

ضحكت دانا وقالت: "أعلم ذلك، فقد اشترى لى صديق رذاذ الفلفل الحارق".

"لقد افتقدناك كثيراً، سوف نسعد أنا وجورج كثيراً إذا حضرت لتناول الشاى بصحبتنا بعد ظهيرة اليوم، فهل أنت متفرغة؟".

"نعم".

"لنقل فى الثالثة؟".

"رائع".

وانقضت بقية فترة الصباح فى إعداد نشرة الأخبار المسائية.

فى تمام الثالثة، كان سيزار يحيى دانا عند باب منزل آل هودسون.

قال سيزار وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة: "آنسة إيفانس ! كم أنا مسرور برؤيتك. مرحباً بعودتك".

"شكراً لك يا سيزار. كيف حالك؟".

"بخير حال. شكرا لك".

"هل السيد والسيدة...؟".

"نعم، إنهما بانتظارك. هلا أعطيتنى معطفك؟".

عندما دلفت دانا إلى داخل صالة الاستقبال، صاح روجر وباميلا فى وقت واحد: "دانا !".

احتضنتها باميلا هودسون وهي تقول: "مرحباً بعودة الابنة الضالة".

أما روجر هودسون فقال: "تبدين مرهقة".

"يبدو أن هذا هو رأى الجميع".

قال روجر: "اجلسى .... اجلسى".

حضرت إحدى الخادمات، وكانت تحمل صينية عليها إبريق شاى وبعض البسكويت، والكعك المستدير والملفوف. وقامت باميلا بصب الشاى داخل الأقداح.

اتخذ الجميع مجالسهم، وقال روجر: "حسنا، أخبرينا بما حدث".

"ما حدث هو أننى قد وصلت إلى طريق مسدود. وهو أمر يشعرنى بإحباط وغضب شديدين". التقطت دانا نفساً عميقا وأردفت: "لقد قابلت رجلاً يدعى ديتر زاندر، وقد أخبرنى بأن تايلور وينثروب قد لفق له تهمة تسببت فى دخوله السجن. وبينما كان فى السجن، تعرض أفراد عائلته للموت فى حريق نشب فى منزله، وقد حمل الرجل تايلور وينثروب مسئولية موت عائلته".

قالت باميلا: "إذن فقد كان لديه دافع لقتل عائلة وينثروب بالكامل".

قالت دانا: "هذا صحيح، لكن هناك المزيد. لقد تحدثت فى فرنسا إلى رجل اسمه مارسيل فالكون، وعلمت أن ولده الوحيد قد لقى حتفه عندما صدمته سيارة مسرعة، وأن السائق الخاص بتايلور وينثروب قد تحمل مسئولية الحادث وأقر بأنه المذنب فيه، لكن الغريب هو أن ذلك السائق يدعى الآن أن تايلور وينثروب هو من كان يقود السيارة بنفسه".

قال روجر بتفكير: "لقد كان مارسيل فالكون يعمل مفوضاً لحلف الناتو فى بروكسل".

"هذا صحيح. وقد أخبره السائق بأن تايلور وينثروب هو من قتل ولده الوحيد".

"أمر مثير للاهتمام".

"مثير للغاية. هل سمعت برجل يدعى فينسنت مانسينو؟".

فكر روجر هودسون للحظات، ثم قال: "كلا".

"إن له صلات بعصابات المافيا، وقد تسبب تايلور وينثروب فى حمل ابنته، بل وأرسلها إلى جرّاح فاشل، أجرى لها عملية إجهاض بشعة كادت تودى بحياتها، وهى الآن تعيش فى أحد الأديرة، أما والدتها فقد أصيبت بانهيار عصبى حاد، وانتهى بها الحال فى مصحة للأمراض العقلية".

"يا إلهى!".

قالت دانا: "المهم أن هؤلاء الثلاثة كانت لديهم دوافع قوية للانتقام من عائلة وينثروب"، ثم تنهدت دانا فى إحباط وأردفت: "لكننى لا أستطيع أن أثبت أى شىء".

نظر روجر إلى دانا بتفكر، ثم قال: "إذن فقد كان تايلور وينثروب مذنبا بارتكاب كل تلك الجرائم الرهيبة".

"ليس هناك شك فى الأمر يا روجر. فقد تحدثت إلى هؤلاء الأشخاص بنفسى، وأيا كان المسئول عن جرائم قتل عائلة

وينتروب منهم، فقد خطط لتلك الجرائم ونفذها باحترافية شديدة. فلم يترك خلفه دليلاً واحداً على الإطلاق، وكذلك فقد تم تنفيذ كل جريمة بأسلوب وطريقة مختلفة، ولذلك لا يوجد نمط واضح يربط تلك الجرائم معاً، وقد تم الاعتناء بكل تفصيلة، كبيرة كانت أم صغيرة، ولم يترك الجانى أى شيء للمصادفة، ولا يوجد شاهد واحد على أى من تلك الجرائم".

قالت باميلا بتفكر: "أعلم أن ما أقوله قد يبدو بعيد الاحتمال، لكن أليس من الجائز أن يكون ثلاثتهم قد تعاونوا معا لكى ينتقموا من تايلور وينتروب؟".

هزت دانا رأسها وقالت: "لا أعتقد بوجود تحالف بينهم، فالرجال الذين تحدثت إليهم شديدو القوة والنفوذ، وأعتقد أن كل شخص منهم كان يرغب فى الانتقام بنفسه، لكن واحدا منهم فقط هو من قام بذلك".

لكن أيهم يا ترى؟

نظرت دانا فجأة إلى ساعتها، وقالت: "عذراً، إننى مضطرة للذهاب. فقد وعدت كيمال بأن أصحبه لتناول العشاء فى مطعم ماكدونالد، وإذا أسرعت بالذهاب، فسوف أتمكن من القيام بذلك قبل الذهاب إلى الاستوديو".

قالت باميلا: "بالطبع يا عزيزتى. نحن نتفهم موقفك تماماً، شكراً على زيارتك لنا".

وقفت دانا استعداداً للذهاب وقالت: "وشكرا لكما على هذا الشاى المنعش وعلى مساندتكما المعنوية".

قالت دانا وهى توصل كيمال إلى مدرسته فى صباح الاثنين: "لقد افتقدت توصيلك إلى المدرسة، لكن من الجيد أننى قد عدت".

قال كيمال وهو يتثاءب: " أنا سعيد بعودتك".

لاحظت دانا أن كيمال يتثاءب منذ استيقاظه من النوم، فسألته: "هل نمت جيداً ليلة الأمس؟".

قال كيمال وهو يتثاءب مجدداً: "نعم، أعتقد ذلك".

قالت دانا: "ما الذى تفعله بالمدرسة؟".

"أتقصدين بخلاف حضور دروس التاريخ البشعة واللغة الإنجليزية المملة؟".

"نعم".

"ألعب كرة القدم".

"أنت لا ترهق نفسك كثيراً يا كيمال، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد لا".

نظرت دانا إلى ذلك الصبى الواهن الذى يجلس بجوارها. فبدا لها أن كل الحيوية قد ذهبت عن كيمال. فقد كان هادئاً بشكل غير طبيعى، مما جعل دانا تتساءل إذا كان عليها أن تجعل طبيبا يتفحصه، أو ربما كان عليها أن تبحث ما إذا هناك بعض الفيتامينات التى قد تعيد إليه طاقته وحيويته. نظرت دانا إلى ساعتها، وأدركت أن الاجتماع التحضيرى لنشرة المساء سوف يبدأ بعد نصف ساعة.

مضت فترة الصباح كالطيف الخاطف، وقد أحست دانا بالراحة لعودتها إلى عالمها الطبيعى. عندما عادت دانا إلى حجرة مكتبها، كان هناك مظروف مغلق على منضدة مكتبها، وكان اسمها مكتوبًا فوقه. فتحت دانا المظروف، فوجدت بداخله خطابا، كتب فيه:

"آنسة إيفانس: لدىّ المعلومات التى تبحثين عنها، وقد حجزت غرفة باسمك فى فندق سويوز بموسكو. عليك الحضور فى الحال، ولا تخبرى أى شخص عن هذا الأمر".

لم يكن الخطاب يحمل توقيعًا. قرأت دانا الخطاب مجدداً، وهى غير مصدقة لما تقرؤه: *لدىّ المعلومات التى تبحثين عنها*.

كانت دانا مقتنعة بأن الخطاب لابد أن يكون خدعة. فلو أن شخصاً ما فى روسيا لديه إجابة عن أسئلتها، فلماذا لم يخبرها

ذلك الشخص بتلك المعلومات عندما كانت هناك؟ فكرت دانا فى المقابلة التى جرت بينها وبين المفوض ساشا شادانوف وأخيه بوريس. لقد بدا بوريس متلهفا على التحدث إليها، وظل ساشا يقاطعه باستمرار. فجلست دانا فوق كرسى مكتبها ـ تفكر. كيف وصلت تلك الرسالة إلى مكتبها؟ هل يراقبها أحدهم؟

وأخيراً تمتمت دانا: *سوف أنسى هذا الأمر.* ووضعت الخطاب فى حقيبتها وهى تردف: *سوف أمزقه عندما أعود إلى الشقة.*

أمضت دانا أمسيتها بصحبة كيمال، وكانت تظن أنه سينبهر بلعبة الكمبيوتر الجديدة التى أحضرتها له من موسكو، لكنه بدا غير مبال بها. وعندما اقتربت الساعة من التاسعة، بدأ النعاس يعرف طريقه إلى عينيه.

قال كيمال: "أشعر بالنعاس يا دانا. سوف أذهب إلى النوم".

قالت دانا: "حسنا يا عزيزى"، وظلت تتطلع إليه وهو يدلف إلى حجرته، ثم أخذت تتمتم سرا: *لقد تغير كيمال كثيراً، إنه يبدو كصبى غريب لا أعرفه. حسناً، من تلك اللحظة فصاعداً، سوف نبقى معاً. وإذا كان هناك أمر يزعجه، فسوف نناقش ذلك الأمر.* حينها نظرت دانا إلى ساعتها وأدركت أن الوقت قد حان للذهاب إلى الاستوديو.

• • •

وفى الشقة المجاورة، تطلع المستأجر إلى شاشة التلفاز وأخذ يتحدث إلى مسجل صوت.

"لقد غادر الهدف الشقة، متوجهًا إلى الاستوديو لتقديم النشرة المسائية. وذهب الصبى للنوم، أما المربية فهى تخيط بعض الملابس".

"نحن على الهواء !". تألق الضوء الأحمر لكاميرا التصوير.

وانطلق صوت المعلق جهورياً: "مساء الخير. هذه نشرة أخبار الحادية عشرة من شبكة (دبليو. تى. إن) بصحبة دانا إيفانس وريتشارد ميلتون".

ابتسمت دانا لعدسة الكاميرا وقالت: "مساء الخير. أنا دانا إيفانس".

وبجوارها، قال ريتشارد ميلتون: "وأنا ريتشارد ميلتون".

بدأت دانا قائلة: "سوف نبدأ نشرة أخبار الليلة بحادث مأساوى وقع فى ماليزيا ......".

فكرت دانا: *هذا هو المكان الذى أنتمى إليه، وليس أن أدور حول الكرة الأرضية فى مطاردة قضية عقيمة.*

انتهت النشرة على خير. وعندما عادت دانا إلى شقتها، كان كيمال نائماً، وبعد أن ألقت دانا تحية المساء على السيدة دالى، توجهت إلى فراشها، لكنها لم تتمكن من النوم مطلقاً، إذ ظلت كلمات الخطاب تتردد فى عقلها:

لدى المعلومات التى تبحثين عنها، وقد حجزت غرفة باسمك فى فندق سويوز بموسكو. عليك الحضور فى الحال، ولا تخبرى أى شخص عن هذا الأمر.

تمتمت دانا: *إنه فخ واضح، ومن الحماقة أن أفكر فى الرجوع إلى موسكو. لكن ماذا لو أن الأمر حقيقى؟ من الذى قد يكلف نفسه كل هذا العناء؟ ولماذا؟ لابد أن يكون بوريس شادانوف هو من أرسل ذلك الخطاب. ماذا لو أنه يعرف شيئاً بالفعل؟* وعلى هذا الحال، ظلت دانا مستيقظة طوال الليل.

عندما استيقظت دانا فى الصباح، هاتفت روجر هودسون وأخبرته بأمر الرسالة التى تلقتها.

بدا روجر متحمسا وهو يرد: "يا إلهى. إن هذا قد يعنى أن أحدهم مستعد لقول الحقيقة فيما يتعلق بما جرى لعائلة وينثروب".

"أعلم ذلك".

"دانا، قد ينطوى هذا الأمر على خطورة، وأنا شخصياً لا أرتاح إلى هذه المسألة".

"إذا لم أذهب، فلن نعرف الحقيقة أبداً".

تردد روجر، ثم قال: "أظن أنك على حق".

"سوف أكون حريصة، لكن يجب أن أذهب".

قال روجر هودسون على مضض: "حسناً. أريدك أن تظلى على اتصال دائم بنا".

"أعدك بهذا يا روجر".

كانت دانا داخل وكالة كورنيش ترافيل للسفريات تشترى تذكرة ذهاب وعودة إلى موسكو، وكان اليوم هو الثلاثاء. تمتمت دانا: *أتمنى ألا يستغرق الأمر فترة طويلة*. وتركت دانا رسالة إلى مات بيكر، تخبره فيها بما حدث.

وعندما عادت دانا إلى شقتها، قالت للسيدة دالى: "أخشى أننى مضطرة للسفر مجدداً، لكن الأمر لن يستغرق سوى يومين على الأكثر. احرصى على رعاية كيمال جيداً".

"لا تقلقى على أى شىء يا آنسة إيفانس. سوف نكون بخير".

التفت مستأجر الشقة المجاورة بعيداً عن شاشة التلفاز، وأجرى مكالمة هاتفية سريعة.

وعلى متن طائرة شركة إيروفلوت المتجهة إلى موسكو، أخذت دانا تفكر: *ما أشبه الليلة بالبارحة. ربما أرتكب خطأً كبيراً، فقد يكون هذا الأمر مجرد فخ. لكن إذا كانت الإجابة موجودة فى موسكو، فلابد أن أكتشفها*. وأخيرا استرخت دانا فى مقعدها واستعدت لتلك الرحلة الطويلة.

عندما هبطت الطائرة فى الصباح التالى بمطار شيريمتيفو الثانى، الذى صار مألوفا لديها، التقطت دانا حقيبتها من صالة الأمتعة وخرجت من المطار إلى تلك العاصفة الثلجية الشديدة بالخارج. وقفت دانا فى قلب الرياح الباردة، وقد أحست بالارتياح لارتداء معطفها الثقيل. وبعد خمس وأربعين دقيقة، وعندما جاء الدور أخيراً على دانا للركوب، حاول رجل ضخم أن يستقل سيارة الأجرة قبلها.

قالت دانا بحزم: "كلا ! هذا دورى أنا"، وأسرعت بركوب السيارة.

قال السائق: "إلى أين؟".

"أريد الذهاب إلى فندق سويوز".

التفت السائق إليها، وقال بلغة إنجليزية ركيكة: "هل أنت متأكدة من أنك تريدين الذهاب إلى هناك؟".

قالت دانا باندهاش: "لماذا؟ما الذى تقصده؟".

"هذا فندق غير لطيف بالمرة".

شعرت دانا برعشة خوف تجتاحها، مما جعلها تسأل نفسها سراً: *هل أنا متأكدة؟ لقد فات أوان التراجع الآن*. كان السائق لا يزال منتظراً إجابتها، فقالت: "نعم. أنا ....أنا متأكدة".

هز السائق كتفيه فى عدم اكتراث، وأشعل محرك السيارة، ثم انطلق بها فى قلب مرور موسكو المزدحم بسيارات عطلتها الثلوج.

فكرت دانا: *ماذا لو لم يكن هناك حجز باسمى فى الفندق؟ماذا لو أن هذه المسألة كلها ليست سوى مزحة غبية؟*

كانت فندق سويوز يقع فى قلب منطقة تسكنها الطبقة العاملة على أطراف موسكو، وتحديداً بشارع ليفوبرزانيا، وكان عبارة عن مبنى قديم كئيب المظهر، يتساقط الطلاء البنى عن واجهته الخارجية.

قال السائق: "أتريدين منى أن أنتظر؟".

ترددت دانا فى الرد لثانية واحدة ، ثم قالت: "كلا"، وأعطت السائق أجرته، ثم خرجت من التاكسى، وسرعان ما دفعتها الرياح الثلجية إلى ردهة الفندق الصغيرة المتهالكة. كانت هناك امرأة عجوز تجلس خلف مكتب الاستقبال، وكانت تقرأ إحدى المجلات، لكنها رفعت عينيها باندهاش عندما دلفت دانا إلى الداخل. وسارت دانا حتى اقتربت من مكتب الاستقبال.

فقالت المرأة: "ماذا تريدين؟".

قالت دانا وهى تحبس أنفاسها ترقباً: "أعتقد أنه يوجد حجز باسمى. أنا دانا إيفانس".

أومأت المرأة برأسها فى بطء وقالت: "دانا إيفانس، نعم"، ثم مدت يدها إلى الخلف وجذبت مفتاحاً من دولاب المفاتيح، وأردفت: "الغرفة رقم ٤٠٢، بالطابق الرابع"، ثم ناولت المفتاح إلى دانا.

"أين يمكننى تسجيل الحجز؟".

هزت المرأة رأسها نفياً وقالت: "لا يوجد دفتر للتسجيل. ستدفعين نقداً الآن. أجرة يوم واحد".

شعرت دانا بإحساس جديد من القلق. أيوجد فندق داخل روسيا لا يقوم فيه الأجانب بتسجيل إقامتهم؟هناك خطأ شديد فى هذا الأمر.

قالت المرأة: "خمسمائة روبل".

قالت دانا: "يجب أن أقوم بتغيير بعض العملة. سوف أدفع لك لاحقاً".

"كلا. الآن. يمكنك الدفع بالدولار".

"حسناً". مدت دانا يدها داخل حقيبتها وأخرجت حفنة من الدولارات.

أومأت المرأة برأسها، ومدت يدها لتستقطع من تلك الحفنة ست أوراق نقدية .

فكرت دانا: *أعتقد أننى كنت أستطيع أن أشترى الفندق بالكامل بهذا المبلغ.* ثم قالت للمرأة: "أين المصعد؟".

"لا يوجد مصعد".

"أوه"، ولما تيقنت دانا أن وجود حمّال للحقائب يعد ضرباً من الخيال، حملت حقيبتها بنفسها وبدأت تصعد درجات السلم فى بطء.

كانت غرفتها أسوأ بكثير من أشد توقعات دانا تشاؤماً. فقد كانت صغيرة ومتهالكة، وكانت ستائرها ممزقة، وفراشها غير مرتب. كيف سيتصل بها بوريس شادانوف يا ترى؟فكرت دانا: *قد يكون هذا الأمر برمته مجرد خدعة، لكن لماذا يكلف أحدهم نفسه عناء الترتيب لكل هذا؟*

جلست دانا على حافة السرير ونظرت عبر النافذة القذرة إلى الشارع المزدحم بالأسفل.

وتمتمت: لقد تصرفت كطفلة حمقاء. من الممكن أن أجلس هنا لأيام ولا يحدث .....

وفجأة سمعت دانا طرقاً خافتاً على الباب. التقطت دانا نفساً عميقاً ثم هبت واقفة، وقد أحست أنها إما على وشك أن تحل غموض تلك القضية الآن أو فى طريقها لكى تكتشف أنه لا يوجد أى غموض على الإطلاق. سارت دانا نحو الباب وفتحته. كان الرواق خاليا من البشر، لكن كان هناك مظروف ملقى على الأرض. فالتقطت دانا المظروف وحملته إلى الداخل. كانت الرسالة الموضوعة بداخله تحمل هذه الكلمات: فدنكة، التاسعة مساءً، حدقت دانا النظر إلى الورقة، محاولة أن تجد لها معنى، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت كتيب إرشاد كانت قد اشترته قبل قدومها إلى موسكو، وبالداخل وجدت المعلومة المطلوبة: فدنكة، مركز معارض المنجزات الاقتصادية بالاتحاد السوفيتى، ثم وصف لعنوان المكان.

فى الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم، لوحت دانا بيدها لسيارة أجرة: "حديقة فدنكة العامة؟"ولم تكن واثقة من أنها قد نطقت الكلمة بشكل صحيح.

التفت السائق لينظر إليها، ثم قال: "فدنكة؟لقد أغلق المكان وجميع ملحقاته".

"أوه".

"أما زلت تريدين الذهاب إلى هناك؟".

"نعم".

هز السائق كتفيه، وانطلق بالسيارة إلى الأمام.

كانت الحديقة الشاسعة تقع فى شمال شرقى موسكو، وطبقاً لما يقوله كتيب الإرشاد، فقد صمم مركز المعارض الفخم لكى يكون شاهداً أثرياً على مجد الاتحاد السوفيتى. لكن عندما انهار اقتصاد البلاد، تم قطع التمويل عنه، وصارت الحديقة مجرد أطلال متهالكة للعصر السوفيتى البائد. فقد تهدمت السرادقات الفخمة وصارت الحديقة مهجورة تماماً.

خرجت دانا من التاكسى وأخرجت حزمة من الدولارات وهى تقول: "أهذا .....؟".

"نعم"، هكذا قال السائق وهو يختطف المال من يدها، وبعد لحظة واحدة ، انطلق بالسيارة وكأن شياطين الجحيم تطارده.

تطلعت دانا حولها. لقد كانت وحيدة فى حديقة شاسعة تصفر الرياح المتجمدة فى أركانها. سارت دانا إلى أقرب مقعد خشبى وجلست تنتظر بوريس شادانوف، وهى تتذكر كيف انتظرت جوان سينسى فى حديقة كهذه، مما جعلها تتمتم: *ماذا لو أن بوريس .....؟*

وفجأة انطلق صوت من خلفها، بكلمات روسية غير مفهومة تسببت فى إجفالها.

استدارت دانا، واتسعت عيناها من الدهشة، لقد كانت تتوقع رؤية بوريس شادانوف، لكنها ـ بدلا من ذلك ـ كانت تنظر إلى المفوض ساشا شادانوف بنفسه. قالت دانا: "سيدى المفوض ! أنا لم أتوقع ....".

قال المفوض بنبرة جافة: "اتبعينى"، ثم بدأ يسير بسرعة إلى الجانب الآخر من الحديقة. ترددت دانا للحظة، ثم هبت واقفة وأسرعت تلحق به. دلف ساشا شادانوف إلى مقهى صغير بسيط المظهر، يقع عند نهاية الحديقة، وجلس إلى طاولة فى مؤخرة المقهى. كان هناك زوجان آخران فقط يجلسان بالمقهى. سارت دانا إلى طاولته، وجلست بالمقعد المواجه له.

توجهت إليهما نادلة قذرة الشكل، ترتدى مريلة متسخة بالبقع، وقالت: "ماذا تريدان؟".

قال ساشا: "قدحان من القهوة"، ثم التفت إلى دانا وقال لها: "لم أكن واثقا من أنك ستأتين، لكن يبدو أنك شخص شديد الإلحاح، وهذه الصفة قد تكون خطيرة فى بعض الأحيان".

"لقد قلت فى رسالتك إنك تستطيع أن تخبرنى بما أريد معرفته".

"نعم"، أحضرت النادلة قدحى القهوة فى تلك اللحظة، فارتشف ساسا قليلاً من القهوة، ثم التزم الصمت للحظة، وأخيرا قال: "أنت تريدين أن تعرفى إذا كان تايلور وينثروب وعائلته قد تعرضوا للقتل".

بدأت دقات قلب دانا تتسارع وهى ترد: "وهل تعرضوا للقتل فعلا؟".

جاء رد ساشا بأسلوب هامس غامض: "نعم".

شعرت دانا برعشة مفاجئة، فقالت: "وهل تعلم من قتلهم؟".

"نعم".

التقطت دانا نفساً عميقاً وقالت: "من قتلهم؟".

رفع ساشا يده ليوقفها، قائلاً: "سوف أخبرك، لكن يجب أن تفعلى شيئاً من أجلى".

نظرت دانا إليه وقالت بحذر: "ماذا؟".

"أخرجينى من روسيا، فلم يعد بقائى هنا آمناً".

"ولماذا لا تتوجه إلى المطار وتسافر إلى أى بلد تريد؟ لقد علمت أن السفر للخارج لم يعد ممنوعا".

"عزيزتى الآنسة إيفانس، كم أنت ساذجة للغاية، حقيقى أن الأمور لم تعد مثل حقبة الشيوعية الغابرة، لكننى إذا حاولت أن أفعل ما تقترحينه على، فسوف يقتلوننى قبل أن تطأ قدماى أرض المطار. إن الجدران لا تزال لها آذان وأعين فى هذه البلاد. أنا فى خطر عظيم، وأحتاج إلى معونتك". تطلب الأمر لحظة حتى استوعبت دانا معنى كلماته، فنظرت إليه فى يأس وقالت: "أنا لا أستطيع إخراجك .... ما كنت لأعرف من أين أبدأ".

"يجب أن تجدى طريقة ما. إن حياتى فى خطر".

أخذت دانا تفكر للحظة، ثم قالت: "يمكننى التحدث مع السفير الأمريكى و .....".

صاح ساشا شادانوف بصوت حاد: "كلا !".

"لكن هذه هى الطريقة الوحيدة التى .....".

"إن سفارتكم مليئة بالجواسيس، ولا يجب أن يعلم أحد عن هذا الأمر سواك وسوى الشخص الذى سيساعدك على تهريبى، إن سفيركم لن يستطيع مساعدتى".

شعرت دانا فجأة بالإحباط، فلم يكن هناك طريقة ممكنة لتهريب مسئول روسى رفيع المستوى خارج روسيا. ولهذا أخذت تفكر: *ما كنت لأستطيع حتى أن أهرّب قطة خارج هذه البلاد*. ثم راودتها فكرة أخرى، وهى أن الأمر بأكمله كان مجرد خدعة، وربما لا يمتلك ساشا شادانوف أية معلومات على الإطلاق، ولعله يستغلها كوسيلة للهرب إلى الولايات المتحدة .وهكذا تصبح تلك الرحلة التى قطعتها مجرد مضيعة للوقت.

قالت دانا وهى تهب واقفة على قدميها فى غضب: "أخشى أننى لن أستطيع مساعدتك أيها المفوض شادانوف".

"انتظرى ! أتريدين دليلا؟سوف أعطيك دليلاً".

"عن أى نوع من الأدلة تتحدث؟".

استغرق المفوض شادانوف وقتا طويلا حتى يرد. وعندما تحدث أخيراً، قال ببطء: "إنك ترغميننى على فعل شىء ليس لدى رغبة فى فعله". وهب الرجل واقفاً وهو يردف: "سوف تأتين معى".

بعد ثلاثين دقيقة، كانا يعبران المدخل الخلفى الخاص، صاعدين إلى مكاتب ساشا شادانوف بمقر مكتب تنمية الاقتصاد العالمى.

قال ساشا شادانوف عندما وصلا إلى حجرة مكتبه: "ربما أتعرض للإعدام جزاء على ما سأقوله لك الآن، لكن ليس لدىّ خيار". ولوح الرجل بيده فى إشارة يائسة وهو يردف: "لأننى سوف أقتل إذا بقيت هنا".

تطلعت دانا إلى المفوض شادانوف وهو يتجه إلى خزانة ضخمة مبنية داخل الحائط، ثم شاهدته يُدخل الأرقام السرية ويفتح الخزانة، ثم يخرج منها كتابًا ضخمًا، ويحمله إلى سطح مكتبه. وفى مقدمة الكتاب، كتبت كلمات "سرى جدا" باللون الأحمر.

قال المفوض ساشا وهو يفتح الكتاب: "هذا الكتاب يحوى معلومات شديدة السرية".

نظرت دانا بقوة بينما بدأ المفوض يقلب صفحات الكتاب ببطء. وكانت كل صفحة تحوى صورا ملونة لقاذفات قنابل، ومركبات فضاء، وصواريخ مضادة للصواريخ البالستية، وصواريخ جو - أرض، وأسلحة أوتوماتيكية، ودبابات، وغواصات.

"هذه هى الترسانة الروسية بالكامل". ولقد بدت كترسانة ضخمة ورهيبة بالفعل.

"فى هذه اللحظة، تمتلك روسيا ما يزيد على الألف من الصواريخ البالستية العابرة للقارات، وأكثر من ألفى رأس صاروخ نووى، وسبعين قاذفة قنابل استراتيجية". كان المفوض ساشا يشير بإصبعه إلى أسلحة متنوعة وهو يقلب الصفحات: "هذه هى أحدث قنابلنا النووية .... اوول .... اكريد .... افيد .... اناب.... ارشير ..... وهى تضارع مثيلتها الموجودة فى ترسانة الأسلحة النووية بالولايات المتحدة".

"إنه أمر مبهر جداً".

"إن المؤسسة العسكرية الروسية تعانى من مشكلات خطيرة يا آنسة إيفانس - بل إننا نواجه أزمة حقيقية، وهى أننا لا نملك المال لدفع رواتب الضباط والجنود، مما أدى إلى انهيار الروح المعنوية. إن وعود الرئيس بالإصلاح لا تعطى سوى بصيص من الأمل، والمستقبل يبدو مظلماً فى عيون الكثيرين، ولهذا فإن مسئولى المؤسسة العسكرية مضطرون للنظر إلى الماضى".

قالت دانا: "أخشى أننى لا أفهم علاقة هذا بـ...".

"عندما كانت روسيا قوة عظمى حقيقية، بنينا ترسانة أسلحة أكبر من تلك التى تمتلكها الولايات المتحدة. والآن صارت تلك الأسلحة حبيسة المخازن هنا، وهناك عشرات البلاد التى تسعى لشراء تلك الأسلحة التى تساوى بلايين الدولارات".

قالت دانا بصبر: "سيدى المفوض، أنا أفهم هذه المشكلة، لكن.....".

"هذه ليست المشكلة".

نظرت إليه دانا فى دهشة، وقالت: "كلا؟إذن ما هى المشكلة؟".

اختار شادانوف كلماته التالية بحذر: "هل سمعت عن كراسنويارسك - ٢٦؟".

هزت دانا رأسها نفياً وقالت: "كلا".

"لست مندهشاً لذلك، فهذا المكان غير موجود على الخريطة، والأشخاص الذين يعيشون هناك لا يعتبرون موجودين حسب السجلات الحكومية".

"ما الذى تتحدث عنه؟".

"سوف ترين بنفسك. غدا سأصطحبك إلى هناك. قابلينى فى نفس المقهى عند الظهيرة". وضع ساشا يده فوق ذراع دانا، ممسكاً به بقوة مؤلمة وهو يقول: "يجب ألا تخبرى أحداً بهذا الأمر، هل تفهمين كلامى؟".

"نعم".

"إذن فقد اتفقنا".

• • •

عند ظهيرة اليوم التالى، وصلت دانا إلى ذلك المقهى الصغير داخل حديقة فدنكة العامة، ثم دلفت إلى الداخل وسارت حتى وصلت إلى نفس الطاولة الخلفية، وجلست تنتظر. انقضت ثلاثين دقيقة ولم يحضر ساشا شادانوف، فأخذت دانا تتساءل فى قلق: *ترى ماذا حدث له؟*

"طاب صباحك". نطق ساشا شادانوف بتلك العبارة وهو يقف بجوار الطاولة، ثم أردف قائلاً: "هيا. يجب أن نذهب للتسوق".

تساءلت دانا فى ذهول وعدم تصديق: "تسوق؟".

"هيا".

تبعته دانا إلى الحديقة بالخارج وهى تقول: "نتسوق من أجل ماذا؟".

"من أجلك".

"أنا لا أحتاج ....".

لوّح شادانوف بيده لسيارة أجرة، وانطلقا فى صمت مطبق إلى أحد المراكز التجارية. وعندما وصلا إلى المركز التجارى، خرجا من السيارة، ودفع شادانوف للسائق أجرته.

قال ساشا شادانوف: "سنتسوق فى هذا المكان".

فدلفا إلى الداخل، ومرا بعدد من المتاجر. وعندما وصلا إلى متجر يعرض فى نوافذه ملابس نسائية مثيرة وفاضحة، توقف شادانوف عن السير.

ثم قال ـ وهو يدفع دانا إلى الداخل: "هنا".

تطلعت دانا حولها، ناظرة إلى تلك الملابس الداخلية الفاضحة، وقالت: "ما الذى نفعله هنا؟".

"سوف تغيرين ملابسك".

اقتربت منهما إحدى البائعات، وتبادلت بعض العبارات السريعة مع المفوض شادانوف باللغة الروسية. أومأت البائعة ثم اتجهت إلى داخل المتجر، لكنها سرعان ما عادت وهى تحمل فى يدها تنورة قصيرة قرنفلية اللون وبلوزة مفتوحة الرقبة ومزينة بالشرائط.

أومأ شادانوف برأسه استحساناً وهو يقول: "هذا جيد"، ثم التفت إلى دانا وأردف: "ارتدى هذه الملابس".

قالت دانا باحتجاج: "كلا ! أنا لن أرتدى تلك الملابس. ما الذى .....".

رد ساشا بصوت حازم: "يجب أن ترتديها".

"لماذا؟".

"سوف ترين بنفسك".

فكرت دانا: *إن هذا الرجل أحد المهووسين بالجنس. ما الذى ورطت نفسى فيه بحق السماء؟*

كان شادانوف يراقبها، ثم قال: "حسناً؟".

التقطت دانا نفساً عميقاً وقالت: "سوف أرتديها"، ثم توجهت إلى حجرة ضيقة لتغيير الملابس وغيرت ملابسها.

وعندما خرجت، نظرت إلى المرآة وشهقت قائلة: "إننى أبدو مثل إحدى بنات الليل".

قال ساشا شادانوف: "ليس بعد. سوف نحضر لك بعض أدوات الماكياج".

"أيها المفوض .....".

"تعالى".

وضعت ملابس دانا الأصلية فى كيس ورقى. وارتدت دانا معطفها الصوفى، فى محاولة يائسة لكى تخفى ملابسها الفاضحة بقدر ما تستطيع. وبدءا يسيران فى أرجاء المركز التجارى مجددا، وكان المتسوقون يحدقون النظر إلى دانا، وظل الرجال منهم يلقون إليها ابتسامات خبيثة، ثم غمز لها أحد العاملين بعينه، مما أشعر دانا بالمهانة والحرج.

وفجأة قال ساشا: "هنا !".

كانا يقفان أمام أحد صالونات التجميل. دلف ساشا شادانوف إلى الداخل، فترددت دانا قليلا ثم لحقت به. سار ساشا إلى مكتب الاستقبال. وقال للبائعة بعض الكلمات باللغة الروسية.

أحضرت له البائعة أنبوب أحمر شفاه قانى اللون، وعلبة بودرة للوجنتين.

قال ساشا: "سيفى هذا بالغرض". ثم التفت إلى دانا وأردف: "ضعى أدوات التجميل هذه ـ وبشكل صارخ".

كانت دانا قد نالت كفايتها، فقالت بحدة: "كلا، شكراً لك. أنا لا أعرف أى لعبة تظن أنك تمارسها أيها المفوض، لكننى لا أريد أن أشترك فيها. لقد اكتفيت .....".

حدق المفوض النظر إلى عينيها وقال: "إننى أؤكد لك أنها ليست لعبة يا آنسة إيفانس، إن كراسنويارسك ـ ٢٦ مدينة مغلقة، وأنا أحد الأشخاص القلائل الذين يمكنهم دخولها. وهم يسمحون لعدد قليل جدا من الدخلاء ـ أمثالى ـ أن يحضروا معهم بعض العاهرات لقضاء اليوم. وهذه هى الطريقة الوحيدة التى

يمكننى إدخالك بها من بوابات الحراسة - إلى جانب دفع صندوق من زجاجات الشراب الفاخر كرشوة للحراس حتى يسمحوا لك بالدخول. والآن، هل أنت مهتمة بالأمر أم لا؟".

فكرت دانا: *مدينة مغلقة؟حراس؟ إلى أى مدى سأتورط فى هذه المسألة؟* وأخيراً قالت دانا على مضض: "نعم، أنا مهتمة بالأمر".

٢٢

كانت هناك طائرة نفاثة بانتظارهما داخل منطقة خاصة بمطار شريمتيفو الثانى، وقد اندهشت دانا حين اكتشفت أنها وساشا شادانوف هما المسافران الوحيدان على متن الطائرة.

تساءلت دانا: "إلى أين نحن متجهان؟".

ابتسم لها ساشا شادانوف ابتسامة كئيبة وقال: "إلى سيبيريا".

سيبيريا. شعرت دانا باضطراب فى معدتها، ولم ترد سوى بكلمة "أوه".

استغرقت الرحلة أربع ساعات، وقد حاولت دانا أن تنشئ أى شكل من المحادثة، آملة أن تحصل على تلميح بما ينتظرها فى ذلك المكان. لكن ساشا شادانوف اكتفى بالجلوس صامتا فى مقعده، وقد علت وجهه تعبيرات كئيبة.

عندما هبطت الطائرة فى ذلك المطار الصغير الذى بدا لدانا أنه يقع وسط العدم، كانت هناك سيارة لادا سيدان ٢١١٠ بانتظارهما فوق مهبط الطائرات المتجمد. نظرت دانا حولها، متطلعةً إلى أكثر منظر طبيعى مهجور رأته فى حياتها.

قالت دانا: "المكان الذى سنذهب إليه.... أهو بعيد من هنا؟" ثم تمتمت سراً: *وهل سأعود منه على قيد الحياة؟*

"إنه على مسافة قريبة من هنا، يجب أن نكون حذرين للغاية".

فكرت دانا: *حذرين من ماذا؟*

انطلقت بهما السيارة عبر طريق قصير وعر متجهة إلى مكان بدا شبيهاً بمحطة قطارات صغيرة، وكان رصيف المحطة يكتظ بنصف دستة من الحراس الذين وقفوا بملابس عادية ومعاطف ثقيلة للغاية.

وعندما اقترب شادانوف ودانا من الحراس، بدأ الحراس يحدقون النظر إلى ملابس دانا المكشوفة، ثم أشار أحدهم إليها وتمتم ببعض الكلمات الروسية وهو يبتسم.

ابتسم شادانوف وقال شيئاً باللغة الروسية، مما جعل الحراس يضحكون.

فكرت دانا: *لا أظن أن ما قاله سيعجبنى على الإطلاق.*

صعد شادانوف إلى القطار ولحقت به دانا، وقد زادت حيرتها أكثر من ذى قبل، مما جعلها تتمتم خفية: *إلى أين يمكن أن يتجه قطار يسير عبر سهل قاحل متجمد؟* وما زاد الطين بلة أن درجة الحرارة فى القطار كانت شديدة البرودة.

بدأ محرك القطار فى الدوران، وخلال بضع دقائق، كان القطار يمر عبر نفق شديد الإضاءة، محفور داخل أحد الجبال. تطلعت دانا إلى الأحجار التى لاحت لعينيها على جانبى القطار، والتى بدت كأنها تبعد عنه بوصات قليلة فقط، وراودها إحساس بأنها تعيش حلما سريالياً غريب الأحداث.

وأخيراً التفتت إلى ساشا وسألته: "هلا أخبرتنى من فضلك إلى أين نحن متجهان؟".

توقف القطار فى تلك اللحظة، وقال ساشا: "لقد وصلنا".

فهبطا من القطار، وبدءا السير تجاه مبنى خرسانى غريب الشكل، يبعد مائة ياردة عن مكانهما. وأمام المبنى، كان هناك سوران منيعان من الأسلاك الشائكة، يحرسهما دوريات حراسة من الجنود المدججين بالسلاح، وعندما اقتربت دانا وساشا من البوابة، رفع الجنود أيديهم بالتحية العسكرية.

همس شادانوف لدانا: "شبكى ذراعك بذراعى وقبلينى وأنت تضحكين".

لن يصدق جيف أبداً أننى فعلت أمراً كهذا، هكذا فكرت دانا قبل أن تتأبط ذراع ساشا وتقبله على وجنته وهى ترسم على وجهها ضحكة بلهاء.

فتحت البوابات على الفور، وعبر كلاهما وهما متشابكا الأذرع. تطلع الجنود فى حسد إلى المفوض شادانوف وهو يدلف للداخل وبصحبته عاهرته الحسناء. واندهشت دانا كثيراً عندما رأت أن البناء الذى دخلا إليه كان محطة علوية لمصعد يهبط إلى أسفل الأرض. ودلف كلاهما إلى كابينة المصعد وانغلق الباب خلفهما بقوة.

وبينما بدأ المصعد هبوطه، تساءلت دانا: "إلى أين نحن متجهان؟".

رد ساشا: "إلى أسفل الجبل". وفى تلك اللحظة، بدأت سرعة المصعد تتزايد.

قالت دانا بعصبية: "إلى أى مسافة أسفل الجبل؟".

"ستمائة قدم".

نظرت إليه دانا بتشكك وقالت: "هل سنهبط لمسافة ستمائة قدم أسفل الجبل؟ لماذا؟ ماذا يوجد هناك؟".

"سوف ترين بنفسك".

وخلال بضع دقائق، بدأ المصعد يبطئ من سرعته. وأخيراً، توقف تماما، وانفتح الباب تلقائياً.

قال المفوض ساشا: "لقد وصلنا يا آنسة إيفانس".

تمتمت دانا سراً: *وصلنا إلى أين؟*

خرجا من المصعد وسارا لمسافة لا تزيد على عشرين قدماً، وعندها توقفت دانا فى مكانها من الصدمة، حيث وجدت نفسها تنظر إلى شارع بمدينة حديثة، تمتلئ بالمتاجر والمطاعم والمسارح. كان الرجال والنساء يمشون على أرصفة الشوارع، وقد أدركت دانا فجأة أنه لا يوجد من بينهم من يرتدى معطفاً خارجياً. وبدأت دانا تشعر بالدفء، فالتفتت إلى شادانوف وقالت: "نحن أسفل الجبل، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

نظرت مجدداً إلى ذلك المشهد الغريب الممتد أمام عينيها وقالت: "لكن . . . . أنا لا أفهم، ما هذا المكان؟".

"لقد أخبرتك من قبل. هذا كراسنويارسك ـ ٢٦ ".

"أهو نوع من مخابئ القنابل الذرية؟".

قال شادانوف بنبرة غامضة: "على العكس تماماً".

تطلعت دانا إلى كل المبانى الحديثة التى تحيط بها وقالت: "أيها المفوض، ما الهدف من وجود هذا المكان؟".

صوب إليها المفوض نظرة طويلة وحادة، وقال: "من الخير لك ألا تعرفى ما أنا على وشك إخبارك به".

وانتاب دانا إحساس جديد من القلق.

أردف شادانوف: "هل تعرفين أى شىء عن البلوتونيوم؟".

"كلا، لا أعلم الكثير عنه".

"البلوتونيوم هو وقود الرؤوس النووية، وهو العنصر الأساسى فى الأسلحة النووية. والهدف الرئيسى لوجود كراسنويارسك ـ ٢٦ هو تصنيع البلوتونيوم. هناك مائة ألف عالم وتقنى يعيشون ويعملون هنا يا آنسة إيفانس. فى البداية، كانوا يعطون أفضل الأطعمة والملابس وسبل الإعاشة، لكنهم جميعاً يعيشون هنا تحت قيد واحد".

"وما هو؟".

"يجب أن يوافقوا على عدم المغادرة".

"أتقصد أنهم...".

"لا يمكنهم الخروج إلى العالم الخارجى ـ مطلقاً. يجب أن ينعزلوا تماماً عن بقية العالم وسكانه".

نظرت دانا إلى الأشخاص الذين يسيرون على طول الشوارع وقالت لنفسها: *لا يمكن أن يكون ما أسمعه حقيقياً*، ثم قالت مخاطبة شادانوف: "وأين ينتجون البلوتونيوم؟".

"سوف أريك". كان هناك ترام يقترب منهما. قال شادانوف: "تعالى"، ثم صعد إلى الترام ولحقت به دانا. انطلق الترام بهما على طول الشارع الرئيسى المزدحم، وفى النهاية دخل الترام شبكة متشعبة من الأنفاق المضاءة.

فكرت دانا فى ذلك العمل الذى لا يمكن تصوره وفى كل تلك السنوات التى استغرقها بناء هذه المدينة. وخلال عدة دقائق، بدأت إضاءة الأنفاق تزداد سطوعاً، ثم توقف الترام تماماً عند مدخل معمل شديد الإضاءة، وشاسع المساحة.

قال شادانوف: "سننزل هنا".

تبعت دانا خطوات شادانوف وهى تتطلع إلى كل ما حولها فى انبهار. كان هناك ثلاثة مفاعلات عملاقة داخل كهف كبير الحجم. كان هناك مفاعلان فى حالة صمت تام، بينما كان الثالث يعمل بكامل طاقته، وقد التف حوله عدد من التقنيين شديدى الانشغال.

قال شادانوف: "إن المفاعلات الموجودة فى هذه الغرفة تستطيع إنتاج ما يكفى من البلوتونيوم لصنع قنبلة ذرية كل ثلاثة أيام فقط". وأشار شادانوف بأصبعه إلى المفاعل النشط وقال: "هذا المفاعل ما زال ينتج نصف طن من البلوتونيوم كل عام، وهى كمية تكفى لصنع مائة قنبلة ذرية. علاوة على أن مخزون البلوتونيوم الموجود فى الغرفة التالية يساوى مليارات الدولارات".

تساءلت دانا: "أيها المفوض، إذا كان لديهم كل هذه الكميات من البلوتونيوم، فلماذا يستمرون فى إنتاج المزيد؟".

قال شادانوف بمرارة: "إن الأمر أشبه بالقول المأثور: الوقوع بين المطرقة والسندان. إنهم لا يستطيعون إيقاف المفاعل لأن البلوتونيوم الذى ينتجه هو الذى يمد المدينة بالطاقة، وإذا أوقفوا المفاعل، فلن يكون هناك إضاءة ولا تدفئة، وسوف يتجمد الأشخاص الذين بالأعلى حتى الموت".

قالت دانا: "هذا شيء مريع. إذا . . . . . . ".

"انتظرى. فما سأقوله لك أسوأ من ذلك. بسبب حالة الاقتصاد الروسى المتردية، لا يوجد ما يكفى من المال لدفع رواتب العلماء والفنيين الذين يعملون هنا - بل إنهم بالفعل لم يتلقوا رواتبهم منذ شهور. ولقد تهالكت تلك المنازل الجميلة التى أعطيت لهم منذ سنين، ولم يعد لديهم أموال تكفى لترميمها كما اختفت كل وسائل الرفاهية، وأصاب اليأس والقنوط قلوب المقيمين هنا. هل ترين المفارقة المؤلمة؟ إن كمية البلوتونيوم المخزنة هنا تساوى مليارات لا تحصى من الدولارات، ومع ذلك فإن الأشخاص الذين ينتجونها لا يملكون شيئاً وقد بدأوا يتضورون جوعاً".

قالت دانا ببطء: "وأنت تعتقد أنهم قد يبيعون البلوتونيوم إلى دول أخرى؟".

أومأ برأسه موافقاً وقال: "قبل أن يصبح تايلور وينثروب سفيراً للولايات المتحدة لدى روسيا، أخبره بعض أصدقائه بأمر كراسنويارسك - ٢٦ وسألوه إذا كان يرغب فى عقد صفقة. وبعد أن تحدث وينثروب إلى بعض العلماء هنا - ممن كانوا يشعرون بأنهم تعرضوا للخيانة من قبل حكومتهم - صار الرجل متلهفاً على عقد تلك الصفقة. لكن الأمور لم تكن بمثل هذه البساطة، وكان عليه أن ينتظر حتى تتجمع كل الأجزاء فى مكانها الصحيح".

تذكرت دانا كلمات أنطونيو برسيكو: *لقد كان تايلور وينثروب أشبه برجل مجنون، وقال شيئاً من قبيل "أن كل الأجزاء تتجمع فى مكانها الصحيح".*

كانت دانا تجد صعوبة فى التقاط أنفاسها من هول الصدمة.

أكمل شادانوف قائلاً: "وبعد وقت قصير من ذلك، أصبح تايلور وينثروب سفير الولايات المتحدة لدى روسيا، وقد تعاون تايلور وينثروب وشريكه مع بعض العلماء الساخطين هنا، وبدءوا فى تهريب كميات من البلوتونيوم إلى اثنتى عشرة دولة، من ضمنها كوريا الشمالية، والصين... إلخ".

كانت دانا تفكر: *وبعد أن تجمعت كل الأجزاء فى مكانها الصحيح، صار منصب السفير مهماً لتايلور وينثروب فقط من أجل أن يضمن وجوده فى روسيا لكى يشرف مباشرة على العملية.*

واصل المفوض شادانوف كلامه قائلاً: "لقد كان الأمر سهلاً؛ لأن كمية من البلوتونيوم لا تزيد حجمها على حجم كرة تنس تكفى لصنع قنبلة نووية يا آنسة إيفانس. لقد كان تايلور وينثروب وشريكه يجنيان مليارات الدولارات، وكانا يشرفان على كل التفاصيل بكل دقة وحذر، ولهذا لم يتشكك أحد فى أى شيء". بدت المرارة واضحة فى نبرة شادانوف وهو يضيف: "لقد صارت روسيا أشبه بمتجر للحلوى - لكن بدلاً من شراء بعض الحلوى، أصبح بإمكان أى شخص أن يشترى قنابل نووية، ودبابات، وطائرات مقاتلة، ونظم صواريخ".

كانت دانا تحاول أن تستوعب كل ما تسمعه، ثم قالت: "لماذا قُتل تايلور وينثروب؟".

"لقد أصابه الجشع وقرر أن يستولى على العملية كلها لحسابه. وعندما علم شريكه بما يفعله تايلور وينثروب، قام بقتله".

"لكن ... لكن لماذا قتل كل عائلته؟".

"بعد وفاة تايلور وينثروب وزوجته فى حريق منزلهما، حاول ابنه بول أن يبتز شريك والده، مما جعل الشريك يتخلص منه، وبعدها قرر الشريك ألا يترك نفسه ضحية لاحتمال أن يكون أحد أبناء تايلور وينثروب الآخرين على علم بصفقة البلوتونيوم، ولذلك أمر بقتل الاثنين ورتب للأمر بحيث تبدو وفاتهما نتيجة لحادث تزلج على الجليد وجريمة سطو مسلح فاشلة".

نظرت إليه دانا وملامح الرعب مرتسمة على وجهها، ثم قالت: "ومن كان شريك تايلور وينثروب؟".

هز المفوض شادانوف رأسه نفياً وقال: "أنت تعلمين ما يكفى حتى الآن يا آنسة إيفانس. وسوف أعطيك اسم ذلك الشريك عندما تخرجينني من روسيا". نظر شادانوف إلى ساعته، ثم أردف: "يجب أن نغادر الآن".

التفتت دانا لتلقى نظرة أخيرة على ذلك المفاعل الذى لا يمكن إغلاقه، والذى ينتج كميات كبيرة من البلوتونيوم المميت طوال ساعات اليوم، وأخيراً قالت: هل تدرى حكومة الولايات المتحدة بوجود كراسنويارسك ـ ٢٦؟".

أومأ شادانوف إيجاباً وقال: "أوه، نعم. إنهم مرعوبون بشدة بسببها. إن وزارة الخارجية الأمريكية تتعاون بكل جهد ممكن من أجل محاولة العثور على طريقة لتحويل تلك المفاعلات إلى مفاعلات أقل خطورة. وحتى ذلك الوقت .... ". حرك شادانوف كتفيه ولم يكمل.

وفى داخل المصعد، تساءل المفوض شادانوف: "هل سمعت بالوكالة الفيدرالية للأبحاث؟".

نظرت دانا إليه وقالت بحذر: "نعم".

"إنهم متورطون فى هذه القضية أيضا".

قالت دانا: "ماذا؟"، ثم اتضح لها الأمر فجأة، فقالت لنفسها: *إذن فهذا هو السبب الذى جعل الجنرال بوستر يحاول تهديدى لكى أبتعد عن القضية .*

وصل المصعد إلى سطح الأرض وخرج منه دانا وشادانوف، ثم قال الأخير: "لدىّ شقة هنا، وسوف نتوجه إليها الآن".

وبينما كانا يهمان بالسير على طول الشارع، رأت دانا امرأة، ترتدى ملابس شبيهة بالتى ترتديها، تتأبط ذراع أحد الرجال.

شرعت دانا تقول: "هذه المرأة . . . . ".

"لقد أخبرتك بذلك. إن بعض الرجال هنا مصرح لهم باصطحاب عاهرات أثناء فترة النهار، لكن يجب أن تعود العاهرات إلى مجمع شديد الحراسة عندما يحل الليل. ولا يجب أن يعرفن أى شىء عما يحدث تحت الأرض".

وبينما كانا يكملان السير، لاحظت دانا أن معظم واجهات المتاجر كانت فارغة.

فتذكرت كلمات شادانوف: *لقد اختفت كل وسائل الرفاهية. إن الدولة لم تعد تملك مالاً يكفى لدفع رواتب العلماء والفنيين الذين يعملون هنا ـ بل إنهم لم يتقاضوا رواتبهم منذ شهور.*

نظرت دانا إلى مبنى مرتفع يقع على ناصية الشارع ولاحظت أنه لا توجد ساعة بأعلاه ـ كما هو معتاد ـ وإنما كان هناك أداة كبيرة فوق قمته.

تساءلت دانا: "ما هذا؟".

"عدّاد جيجر ـ أداة إنذار لتحذير الناس عند حدوث أى مشكلة فى المفاعلات النووية". وانعطفا إلى شارع جانبى يمتلئ بالمبانى السكنية، وقال شادانوف: "إن شقتى تقع فى هذا الشارع. يجب أن نبقى هنا لفترة حتى لا يتشكك أحدهم فى سلوكنا، فرجال مكتب الـ إف. إس. بى يراقبون ويتفقدون كل العاملين هنا".

"مكتب الـ إف. إس. بى؟".

"نعم. في الماضي كانوا يطلقون عليه البوليس السري السوفيتي أو الـ كيه. جي. بي لكنهم غيروا الاسم إلى مكتب الأمن الفيدرالي (إف. إس. بي) لكنه كان مجرد تغيير في الاسم - لا غير".

كانت شقة المفوض شادانوف واسعة، وبدا أنها كانت فخمة في وقت من الماضي، أما الآن فقد بدت متهالكة ؛ حيث تمزقت ستائرها وسجاجيدها، وبدا جلياً أن الأثاث بحاجة إلى تنجيد.

جلست دانا فوق أحد المقاعد، وهي تفكر فيما أخبرها به ساشا شادانوف بشأن الوكالة الفيدرالية للأبحاث. وتذكرت أيضاً ما قاله جيف عنها: *إن الوكالة مجرد غطاء. والوظيفة الحقيقية لها هي التجسس على أجهزة مخابرات الدول الأجنبية.* لقد تولى تايلور وينثروب منصب مدير الوكالة في وقت من الأوقات، وكان يعمل مع الجنرال فيكتور بوستر.

لقد قال لها جيف: *لو كنت مكانك لابتعدت عن طريق الجنرال بوستر بقدر ما أستطيع.*

وقد قال لها بوستر في لقائها معه: *ألا تستطيعون أيها الصحفيون الملاعين ترك الموتى يستريحون في قبورهم؟ إنني أحذرك من التعرض لهذا الأمر.* إن الجنرال بوستر يسيطر على منظمة سرية قادرة على تنظيم عمليات القتل المدبرة بإحكام.

وهنا أدركت دانا أن جاك ستون كان يحاول حمايتها. فقد قال لها: *كوني على حذر. فلو علم فيكتور بوستر أنني فقط أتحدث إليك .....*

أدركت دانا أن جواسيس الوكالة الفيدرالية موجودون بكل مكان، مما جعلها تشعر فجأة بأنها هدف مكشوف.

نظر ساشا شادانوف إلى ساعته، وقال: "لقد حان وقت الرحيل. هل توصلت إلى طريقة لإخراجي من البلاد؟".

قالت دانا ببطء: "نعم. أظن أنني أعلم كيف سأرتب للأمر، لكني بحاجة إلى قليل من الوقت".

عندما هبطت الطائرة مجدداً في موسكو، كانت هناك سيارتان بانتظارهما. وقبل الخروج من الطائرة، أعطى شادانوف ورقة لدانا .

وقال: "إنني أقيم مع صديق بمجمع شياكا السكني. لا أحد يعلم بوجودي هناك. إن ذلك المكان أشبه بما يطلق عليه رجال المخابرات المنزل الآمن. هذا هو العنوان. أنا لا أستطيع العودة إلى شقتي الخاصة. تعالي إلى ذلك العنوان في تمام الساعة الثامنة من مساء هذه الليلة. يجب أن أعلم بخطتك".

أومأت دانا وقالت: "حسناً. يجب أن أجري مكالمة هاتفية".

عندما عادت دانا إلى ردهة فندق سويوز، حدقت المرأة التي تجلس خلف مكتب الاستقبال، النظر إليها باندهاش. ففكرت دانا: *أنا لا أستطيع لومها. يجب أن أغير هذه الملابس الشنيعة.*

وبداخل حجرتها، ارتدت دانا ملابسها العادية مجدداً قبل أن تجري تلك المكالمة الهاتفية. ظلت دانا تدعو وهي تسمع صوت جرس الهاتف يرن على الطرف الآخر: *كن هناك من فضلك ... كن هناك من فضلك.* وأخيراً سمعت دانا صوت سيزار الهادئ يقول :

"منزل آل هودسون".

"سيزار، هل السيد هودسون موجود بالمنزل؟"، هكذا سألت دانا وهي تحبس أنفاسها.

"آنسة إيفانس ! كم أنا سعيد بسماع صوتك. نعم، إن السيد هودسون بالمنزل. لحظة من فضلك".

شعرت دانا بجسدها يرتجف ارتياحاً. لو أن هناك شخصاً يستطيع مساعدتها على إخراج ساشا شادانوف من روسيا، فهو روجر هودسون بلا شك.

جاء صوت روجر هودسون عبر الهاتف بعد لحظة: "دانا؟".

"روجر، حمداً لله أنني وجدتك بالمنزل".

"ما الخطب يا دانا؟ هل أنت بخير؟ أين أنت الآن؟".

"أنا فى موسكو. لقد اكتشفت السبب وراء مقتل تايلور وينثروب وعائلته".

"ماذا؟ يا إلهى ! كيف اكتشفت . . . . . ".

"سوف أخبرك بتفاصيل المسألة عندما أقابلك. روجر، أكره أن أستغلك مرة أخرى، لكنى أواجه مشكلة. هناك مسئول روسى رفيع المستوى يرغب فى الهروب إلى الولايات المتحدة، اسمه ساشا شادانوف، وحياته فى خطر هنا. وهو يعلم كل شىء عما حدث لعائلة وينثروب. يجب أن نخرجه من هناك ـ وبسرعة. هل يمكنك مساعدتى فى هذا الأمر؟".

"دانا، لا يجب على أى منا أن يتورط فى أمر كهذا؛ لأننا قد نتعرض لمتاعب لا حصر لها بسبب ذلك ".

"يجب علينا أن نغتنم هذه الفرصة. فليس لدينا سبيل آخر . إن لهذا الموضوع أهمية كبرى، ولهذا يجب أن يتم بأى شكل من الأشكال".

"أنا لا يعجبنى هذا الأمر يا دانا".

"أنا آسفة لتوريطك فى مسألة كهذه، لكن ليس لدىّ من ألجأ له غيرك".

قال روجر: "اللعنة، أنا....."، ثم توقف للحظة، وأردف يقول: "حسناً، إن أفضل شىء يمكنك فعله الآن هو اصطحابه إلى السفارة الأمريكية. سوف يكون بأمان هناك حتى نتوصل إلى خطة لتهريبه إلى الولايات المتحدة".

"إنه لا يريد الذهاب إلى السفارة الأمريكية. يبدو أنه لا يثق بالعاملين بها".

"لا توجد طريقة أخرى. سوف أتصل بالسفير على خط هاتفى آمن، وأطلب منه أن يحرص على أن يتمتع هذا الرجل بحماية كاملة. أين شادانوف الآن؟".

"إنه ينتظرنى فى مجمع شياكا السكنى. إنه يقيم مع صديق له ممن يقطنون بالمنطقة، وسوف أذهب إلى هناك للقائه".

"حسناً. عندما تذهبين إلى هناك لاصطحابه يا دانا، توجهى به مباشرة إلى السفارة الأمريكية، ولا تتوقفى بأى مكان فى الطريق إلى هناك".

شعرت دانا بإحساس من الارتياح يغمرها. فقالت: "شكراً جزيلاً يا روجر. شكراً على كل شىء!".

"كونى حذرة يا دانا".

"سوف أفعل".

"سوف نتحدث لاحقاً".

شكراً جزيلاً يا روجر. شكراً على كل شىء.

كونى حذرة يا دانا.

سوف أفعل.

سوف نتحدث لاحقاً.

نهاية الشريط.

فى تمام السابعة والنصف، تسللت دانا إلى خارج فندق سويوز عبر مدخل الخدم، ثم سارت بأحد الأزقة الضيقة، وهى تشعر بالرياح الباردة تكاد تمزق جسدها، فلفت معطفها حول جسدها بإحكام، لكنها أحست بالبرد ينخر فى عظامها. سارت دانا لمسافة مربعين سكنيين لكى تتأكد أن أحدا لا يتبعها. وعند أول ناصية مزدحمة، لوحت بيدها لسيارة أجرة وأعطت السائق العنوان الذى أعطاه لها ساشا شادانوف. وبعد ربع ساعة، توقفت السيارة أمام مبنى سكنى غريب الشكل.

قال السائق: "هل أنتظر؟".

"كلا". كانت دانا ترجح أن المفوض شادانوف يمتلك سيارة، ولهذا أخرجت حفنة من الدولارات من حقيبة يدها، ومدت يدها إلى سائق التاكسى الذى ارتسمت على وجهه ابتسامة جشعة واختطف الدولارات كلها. وشاهدته دانا وهو ينطلق بالسيارة، ثم دلفت إلى داخل المبنى. كانت ردهة المبنى مهجورة تماماً. نظرت دانا إلى الورقة التى بيدها ؛ الشقة رقم ٢ ب. اقتربت دانا من درجات سلم متهالك، وصعدت إلى الطابق الثانى الذى كان يتوسطه رواق طويل خال من البشر.

بدأت دانا تسير ببطء داخل الرواق، متطلعة إلى الأرقام المكتوبة على أبواب الشقق: ٥ ب ... ٤ ب ... ٣ ب ... وأخيرا وجدت باب الشقة ٢ ب مواربا، توترت أعصابها. وبحذر شديد، دفعت باب الشقة لينفتح بالكامل ثم دلفت إلى داخل الشقة التى كانت تسبح فى ظلام دامس .

نادت دانا: "أيها المفوض . . . . ؟"، ثم انتظرت، لكنها لم تسمع أى رد، فنادت ثانية: "مفوض شادانوف؟"فأجابها صمت مطبق. كانت هناك غرفة نوم أمامها مباشرة، فتحركت دانا باتجاهها وهى تنادى: "أيها المفوض شادانوف . . . . ".

وبينما كانت دانا تدخل إلى الغرفة المظلمة، تعثرت قدماها فى شيء ما فسقطت أرضاً، ووجدت نفسها ترقد فوق شيء ناعم ومبتل. وقفت دانا على قدميها وقد أحست بالاشمئزاز الشديد. ثم بدأت تتحسس على طول الحائط حتى وجدت مفتاح الإضاءة، فضغطت عليه. وعلى الفور، تبددت ظلمة الغرفة وحل محلها إضاءة ساطعة. تطلعت دانا إلى يديها الغارقتين فى الدماء. وعلى الأرض، كان هناك ذلك الشيء الذى تعثرت به: جسد ساشا شادانوف، كان ساشا ملقى على ظهره، وصدره غارق فى الدماء، وقد نحرت رقبته من الأذن إلى الأذن.

صرخت دانا. وبينما كانت تصرخ، نظرت إلى الفراش ورأت جسد امرأة فى منتصف العمر وقد لف حول رأسها كيس بلاستيكى. فشعرت دانا بالقشعريرة تسرى فى جسدها كله.

وبشكل هستيرى، انطلقت دانا تعدو فوق السلالم حتى خرجت من المبنى.

كان الرجل يقف خلف نافذة إحدى الشقق بالمبنى المقابل فى الناحية الأخرى من الشارع، وكان يضع خزانة سعتها ٣٠ رصاصة داخل بندقية قناصة طراز (إيه. أر ـ ٧) مزودة بكاتم للصوت، ومنظار دقيق للرؤية، يصل مدى دقته إلى ٩٧ ياردة. كان الرجل يتحرك بهدوء واسترخاء يليقان بقاتل محترف. ومما زاد من استرخائه أنه كان يظن أن العملية التى أوكلت إليه بسيطة للغاية. سوف تخرج المرأة من المبنى فى أية لحظة. وابتسم حينما فكر أنها لابد أن تكون قد ارتعبت بشدة عندما رأت الجثتين الغارقتين فى الدماء داخل الشقة. والآن، جاء الدور عليها.

انفتح باب المبنى السكنى فى الناحية الأخرى من الشارع، فرفع البندقية بحرص إلى مستوى كتفيه. ومن خلال المنظار، رأى وجه دانا وهى تجرى إلى الشارع، ناظرة حولها بهلع، محاولة أن تقرر أى طريق تسلك. فصوب البندقية بإحكام لكي يتأكد من أن علامة التصويب وسط المنظار تقع عند قلبها تماما، ثم ضغط الزناد برفق.

فى تلك اللحظة، توقفت إحدى الحافلات أمام المبنى، فاصطدم سيل الرصاصات بسقف الحافلة واقتلعت جزءا منه. نظر القناص إلى أسفل، وهو لا يكاد يصدق عينيه. كانت بعض الرصاصات قد ارتدت من جسم الحافلة وارتطمت بواجهة المبنى، لكن الهدف لم يصب بسوء. بدأ الناس يندفعون خارج الحافلة، وهو يصرخون فى هلع. كان يعلم أن عليه الخروج من هنا. ورأى

المرأة وهى تعدو على طول الشارع، لكنه قال لنفسه: *لا داعى للقلق، سوف يتولى الآخرون أمرها.*

كانت الشوارع غارقة فى الثلوج، والرياح تعوى بشدة، لكن دانا لم تلاحظ كل هذا. فقد كانت فى حالة فزع لا توصف. ظلت تجرى حتى ابتعدت لمسافة مربعين سكنيين، وعندها وجدت فندقاً، فهرعت إلى داخل ردهته.

"أين الهاتف؟" ـ هكذا صرخت فى وجه الموظف الجالس خلف مكتب الاستقبال.

نظر الموظف إلى يديها الغارقتين فى الدماء وتراجع إلى الوراء فى فزع.

قالت دانا فى نبرة أشبه بالصراخ: "أين الهاتف؟".

أشار الموظف بعصبية إلى كابينة هاتف عند أحد أركان ردهة الفندق، فهرعت دانا إليها، ثم أخرجت من حقيبة يدها ـ بطاقة اتصال، وبأصابع مرتجفة، طلبت رقم مركز الاتصال الدولى.

"أريد أن أجرى اتصالاً بالولايات المتحدة". كانت يداها ترتعشان. وقد جاهدت لتسيطر على اصطكاك أسنانها حتى أعطت موظف التحويل رقم بطاقة الاتصال الدولى الخاصة ورقم هاتف روجر هودسون، ثم انتظرت. وبعد لحظات ـ مرت كدهر كامل ـ سمعت دانا صوت سيزار.

"منزل آل هودسون".

قالت دانا بصوت مختنق: "سيزار ! يجب أن أتحدث إلى السيد هودسون على الفور".

"آنسة إيفانس؟".

"أسرع يا سيزار . . . . أسرع".

وبعد دقيقة، سمعت دانا صوت روجر هودسون يقول: "دانا؟".

"روجر ! "تفجرت الدموع من عينيها وهى تردف: "لقد.... لقد مات. لقد قتلوه.... لقد قتلوه هو وصديقته".

"*ماذا؟* يا إلهى. أنا لا أدرى ماذا . . . . هل أصبت بأذى؟".

"كلا.... لكنهم يحاولون قتلى".

"أنصتى إلىّ جيداً. سوف تنطلق طائرة تابعة لخطوط طيران إير فرانس إلى واشنطن عند منتصف الليل، وسوف أحجز لك مقعداً فيها. تأكدى من أن أحداً لن يتبعك إلى المطار، ولا تستقلى سيارة أجرة إلى هناك. توجهى مباشرة إلى فندق ميتروبول، فإن لديهم حافلات تنطلق إلى المطار بانتظام. استقلى إحدى تلك الحافلات. انخرطى وسط الزحام. وسوف أنتظرك فى واشنطن عندما تصلين. بحق الله يا دانا، احترسى لنفسك !".

"سوف أفعل يا روجر. شكراً لك".

وضعت دانا سماعة الهاتف، ووقفت مكانها للحظة وهى مرعوبة بشدة وغير قادرة على الحركة. لم تكن تستطيع أن تخرج المشهد الدموى لشادانوف وصديقته من مخيلتها. وأخيراً، التقطت نفساً عميقاً، وتركت كابينة الهاتف، ثم مرت أمام موظف الاستقبال ذى النظرات المتشككة، ثم خرجت إلى برد الليل القارس.

توقفت سيارة أجرة أمام حاجز الطريق القريب منها، وقال لها السائق بعض الكلمات باللغة الروسية.

فقالت دانا بالروسية: "لا أريد الركوب". ثم بدأت تسرع الخطى على طول الشارع. فقد كان عليها أن تعود إلى فندقها أولا.

بينما كان روجر يضع سماعة الهاتف، سمع صوت باميلا وهى تدخل من الباب الأمامى.

قال روجر: "لقد اتصلت دانا مرتين من موسكو. لقد عرفت سبب مقتل عائلة وينثروب".

قالت باميلا: "إذن يجب أن نتخلص منها فى الحال".

"لقد حاولت بالفعل، ولقد أرسلنا قناصاً لقتلها، لكن شيئاً ما قد حدث وأفسد الأمر".

نظرت إليه باميلا باحتقار وقالت: "أيها الأحمق ! اتصل بهم مجدداً. روجر ...".

"نعم؟".

"أخبرهم بأن يجعلوا الأمر يبدو كحادث عادى".

٢٣

فى منطقة رافين هيل، كانت هناك لافتة حمراء تحمل كلمات "ممنوع المرور"، وكانت معلقة فوق سور حديدى مرتفع، يحجب بقية العالم عن تلك الأفدنة المليئة بالأشجار التى اتخذتها الوكالة الفيدرالية للأبحاث مقراً لها فى انجلترا. وخلف القاعدة الخاضعة لحراسة مشددة، كان هناك عدد من أطباق الأقمار الصناعية، والتى كانت تراقب الاتصالات الأرضية والهوائية المارة عبر أراضى بريطانيا. وفى مبنى خرسانى يقع فى مركز المجمع، جلس أربعة رجال يراقبون شاشة ضخمة.

وقال أحدهم: "أظهرها على الشاشة يا سكوتى".

وعلى الفور، بدأ القمر الصناعى فى التحرك، وظل الرجال يتطلعون إلى شاشة العرض التى انتقلت من عرض مشهد لشقة بمدينة بريتون إلى توقف لحظى، أعقبه ظهور صورة دانا على شاشة العرض الضخمة وهى تدخل غرفتها فى فندق سويوز.

قال أحدهم: "لقد عادت". بدأ الرجال يشاهدون دانا وهى تسرع إلى الحمام لتنظف يديها من الدماء، ثم تبدأ فى تغيير ملابسها.

قال أحد الرجال ضاحكاً: "ها قد بدأ العرض المثير من جديد".

حدق الرجال النظر إلى دانا.

وقال أحدهم: "لكم أود أن تكون لى رفيقة كهذه".

أسرع رجل آخر إلى داخل الغرفة قائلاً: "لا أظنك مستعدا للذهاب إلى الجحيم يا رجل".

"ما الذى تتحدث عنه؟".

"لقد تلقينا أوامر بأن نرتب لها حادثاً لطيفاً يودى بحياتها".

انتهت دانا من ارتداء ملابسها ثم نظرت إلى ساعتها. كان هناك الكثير من الوقت لكى تلحق بحافلة فندق ميتروبول المتجهة إلى المطار. وبشعور متزايد بالقلق، هبطت دانا السلالم بسرعة ودلفت إلى ردهة الفندق، لكنها لم تجد المرأة السمينة تجلس فى مكانها المعتاد.

خرجت دانا إلى الشارع. وكان الجو قد ازداد برودة عن ذى قبل، وكانت الرياح تهب بقسوة وتعوى بشراسة. وعلى الفور، توقفت أمامها سيارة أجرة.

وقال السائق: "أتريدين سيارة أجرة؟".

تذكرت دانا كلمات روجر هودسون: *لا تستقلى سيارة أجرة، لكن توجهى مباشرة إلى فندق ميتروبول، فإن لديهم حافلات تنطلق إلى المطار بانتظام.*

فقالت للسائق: "كلا".

بدأت دانا السير على طول الشارع المتجمد، وكانت جموع من الناس تعبر بجوارها، يسرعون الخطى إلى منازلهم ومكاتبهم الدافئة. وعندما وصلت دانا إلى ناصية مزدحمة، ووقفت تنتظر الإشارة لكى تعبر الشارع، أحست بدفعة عنيفة من الخلف، ووجدت نفسها تندفع إلى وسط الشارع أمام شاحنة قادمة بمنتهى

السرعة. انزلقت قدمها فوق قطعة من الثلج، فسقطت على ظهرها، ناظرة إلى أعلى فى رعب، حيث كانت الشاحنة الضخمة تتقدم نحوها فى سرعة.

وفى اللحظة الأخيرة، استطاع السائق ذو الوجه الأبيض أن يدير عجلة القيادة بطريقة جعلت الشاحنة تمر من فوق جسد دانا الملقى على الأرض، وللحظة، رقدت دانا فى ظلام تام، وقد أصم أذنيها هدير المحرك وصليل السلاسل التى تدور فوق العجلات الحديدية الضخمة.

وفجأة رأت السماء مجدداً، بعد أن مرت الشاحنة من فوقها، فجلست دانا وهى ترتجف، وبدأ الناس يساعدونها على النهوض. نظرت دانا حولها، باحثة عن الشخص الذى دفعها، لكنها أدركت أنه قد يكون أى شخص من الواقفين. التقطت دانا عدة أنفاس عميقة وحاولت أن تستعيد رباطة جأشها. كان المحيطون بها يصيحون فى وجهها بالروسية. وبدأ المزدحمون حول دانا يتدافعون نحوها بقوة، مما جعلها تشعر بالفزع.

قالت دانا بأمل: "فندق ميتروبول؟".

كانت هناك مجموعة من الشباب تقف وسط الزحام، فقالوا لدانا: "سوف نأخذك إلى هناك".

كانت ردهة فندق ميتروبول دافئة الجو، ومزدحمة بالسائحين ورجال الأعمال. وتذكرت دانا كلمات روجر: *انخرطى وسط الزحام، وسوف أنتظرك فى واشنطن عندما تصلين أرض الوطن.*

قالت دانا لحاجب الفندق: "متى تغادر الحافلة المتجهة إلى المطار؟".

"خلال ثلاثين دقيقة".

"شكراً لك".

جلست دانا فوق أحد المقاعد، وهى تتنفس بصعوبة، وتحاول أن تزيل من عقلها رعباً لم يستطع لسانها أن يعبر عنه. كان الخوف يملأ كل جوانحها. ترى من كان يحاول قتلها ولماذا؟ وهل كيمال بخير؟

أتى الحاجب إلى دانا وقال: "لقد وصلت الحافلة المتجهة إلى المطار".

كانت دانا أول الصاعدين إلى الحافلة. اتخذت لها مقعدا فى المؤخرة، وظلت تتطلع إلى وجوه المسافرين. كان هناك سائحون من عدة دول مختلفة: فكان هناك الأوروبيون، والآسيويون، والأفارقة، وقليل من الأمريكيين. وكان هناك رجل يجلس فى الناحية الأخرى من الممر ويطيل النظر إليها.

فكرت دانا: *إن وجهه يبدو مألوفاً. أتراه كان يتبعنى؟* أحست دانا بأنها تتنفس بقوة وسرعة.

بعد ساعة، وعندما وصلت الحافلة إلى مطار شريمتيفو الثانى، كانت دانا آخر من غادر الحافلة. فأسرعت إلى صالة الانتظار، وتوجهت على الفور إلى مكتب شركة طيران إير فرانس.

"هل يمكننى مساعدتك؟".

سألت دانا: "هل لديكم حجز باسم دانا إيفانس؟" ثم أخذت تتمتم سراً: *قل نعم .... قل نعم .... قل نعم ....*

نظر موظف الاستقبال فى بعض الأوراق الموضوعة أمامه وقال: "نعم. هذه هى تذكرتك، وهى مدفوعة الثمن".

تمتمت دانا فى سرها: *بارك الله فيك يا روجر*. ثم قالت للموظف: "شكراً جزيلا".

"سوف تغادر الطائرة فى موعدها. الرحلة رقم ٢٢٠. وسوف تقلع بعد ساعة وعشر دقائق".

"هل هناك استراحة ــ" وكادت دانا تقول: *بها الكثير من الناس* "أستطيع الاسترخاء فيها؟".

"سيرى فى هذا البهو حتى نهايته، ثم توجهى إلى اليمين".

"شكراً لك".

كانت الاستراحة شديدة الازدحام بالفعل، ولم يبد فيها أى شىء غير مألوف أو مثير للتهديد. اتخذت دانا مقعداً، واسترخت قليلا عندما أحست بأنها سوف تعود إلى أمريكا ـ وإلى الأمان ـ بعد وقت قصير.

انطلق صوت النداء الداخلى للمطار:

"على ركاب رحلة إير فرانس رقم ٢٢٠ المتجهة إلى العاصمة واشنطن التوجه إلى البوابة رقم ثلاثة، وتجهيز جوازاتهم وتصاريح السفر".

هبت دانا واقفة وبدأت السير إلى البوابة رقم ٣. فأخرج رجل كان يراقبها من خلف مكتب شركة الطيران الروسية هاتفه المحمول، وبدأ يتحدث عبره:

"الهدف يتوجه إلى بوابة الركوب".

التقط روجر هودسون سماعة الهاتف وطلب رقماً، ثم بدأ يتحدث فى السماعة: "إنها على متن طائرة إير فرانس رقم ٢٢٠. أريد التقاطها من عند المطار".

"ماذا تريد أن نفعل بها يا سيدى؟".

"أقترح أن تصدمها سيارة مسرعة وتفر هاربة".

كانت الطائرة تطير على ارتفاع ٤٥ ألف قدم، وفى قلب سماء خلت من السحب تماما. لم يكن هناك أى مقعد شاغر بالطائرة. وكان هناك رجل أمريكى يجلس فى المقعد المجاور لدانا.

قال الرجل: "مرحباً. أنا جريجورى برايس. وأعمل فى صناعة الخشب". كان الرجل فى الأربعينات من العمر، وكان له وجه طويل معقوف، وعينان رماديتان متألقتان، وشارب قصير. أردف جريجورى: "يا له من بلد عجيب، ذلك الذى غادرناه للتو! ألا تتفقين معى؟".

لكن دانا كانت شاردة فى كلمات ساشا شادانوف:

والهدف الرئيسى لوجود كراسنويارسك - ٢٦ هو تصنيع البلوتونيوم - العنصر الأساسى فى الأسلحة النووية.

قال جريجورى: "إن الروس مختلفون عنا كثيرا، لكنك تتعودين على طباعهم بعد فترة".

لكن دانا كانت تتذكر:

هناك مائة ألف عالم وتقنى يعيشون ويعملون هنا.

قال جريجورى: "بالطبع لا يجيد الروس الطهى كما يجيده الفرنسيون، لذا فعندما آتى إلى هنا فى رحلة عمل، أحضر معى معلبات طعام مجفف".

وظلت كلمات ساشا تستحوذ على تفكير دانا:

لا يمكنهم الخروج إلى العالم الخارجى، ولا يمكنهم استقبال الزائرين. يجب أن ينعزلوا تماما عن بقية العالم وسكانه.

قال جريجورى: "أكنت فى روسيا فى رحلة عمل؟".

أعادت دانا نفسها إلى أرض الواقع، وقالت: "بل فى إجازة ترفيه".

نظر إليها جريجورى فى اندهاش وقال: "لقد اخترت توقيتاً غريباً لتقضى فيه إجازة فى روسيا".

عندما حضرت مضيفة الطائرة وهى تدفع عربة الطعام عبر ممر الطائرة، كانت دانا على وشك أن ترفض تناول أى شىء، لكنها أدركت أنها تتضور جوعا، ولم تستطع أن تتذكر آخر مرة تناولت فيها الطعام.

قال جريجورى: "إذا كنت تريدين بعض المشروبات المنعشة، فلدىّ الكثير منها فى حقيبتى".

"كلا، شكراً". نظرت دانا إلى ساعتها، وأدركت أنه قد تبقى بضع ساعات على موعد وصول الطائرة.

عندما هبطت طائرة شركة إير فرانس رقم ٢٢٠ فى مطار دولس، كان هناك أربعة رجال يراقبون المسافرين وهم يهبطون سلم الطائرة. وقف أولئك الرجال هناك! فى ثقة، لعلمهم أنه لا توجد طريقة تستطيع بها تلك المرأة أن تفر منهم.

قال أحدهم: "هل أحضرت الحقنة؟".

"نعم".

"إذن اصطحب المرأة إلى حديقة روك كريك العامة. فالزعيم يريد أن يتم الأمر وكأن سيارة مسرعة قد صدمتها".

"حسناً".

عادت أعينهم إلى باب الطائرة، وكان الركاب يندفعون عبر الباب ويهبطون سلالم الطائرة، مرتدين ملابس صوفية ثقيلة، وسترات ذات قلنسوات، وأوشحة، وقفازات. وأخيراً، توقف خروج الركاب تماماً.

قال أحد الرجال بتجهم: "سوف أذهب لأرى ماذا يؤخرها حتى الآن".

صعد الرجل سلالم الطائرة، ثم دلف إلى الداخل، فوجد طاقم تنظيف يعمل باجتهاد لتنظيف الطائرة. سار الرجل على طول الممر، فلم ير أثراً لوجود أى مسافرين، ففتح أبواب المراحيض، فوجدها خاوية. فهرع الرجل إلى إحدى مضيفات الطائرة - وكانت على وشك المغادرة - وسألها: "أين كانت دانا إيفانس تجلس؟".

بدت المضيفة مندهشة وهى ترد: "دانا إيفانس؟ أتقصد دانا إيفانس - مذيعة نشرة الأخبار؟".

"نعم".

"لم تكن على متن هذه الرحلة. أتمنى لو أنها كانت بصحبتنا. لكم كنت أتمنى أن أقابلها".

كان جريجورى برايس يقول لدانا: "أتعلمين ما أجمل شيء فى صناعة الخشب أيتها الشابة؟ الجميل هو أن منتجاتك تنمو من تلقاء نفسها. نعم يا سيدتى. وكل ما على المرء فعله هو أن يجلس مسترخياً ويدع الطبيعة تقوم بكل العمل من أجله".

انطلق صوت مضيفة الطائرة عبر ميكروفون الطائرة:

"السادة الركاب، سوف تهبط الطائرة فى مطار شيكاغو أوهارا خلال بضع دقائق. برجاء ربط أحزمة الأمان وإرجاع المقاعد إلى الوضع العمودى".

قالت المرأة الجالسة فى الناحية الأخرى من الممر بنبرة ساخرة: "هكذا، أعيدوا مقاعدكم إلى الوضع المعتدل. إن المرء لا يرغب فى أن يكون مستلقياً إلى الخلف عندما تصطدم الطائرة ويلقى حتفه".

كان ذكر كلمة "يلقى حتفه" كافياً لجعل دانا ترتجف. فقد كانت تشعر كأنها ما زالت تسمع صوت الرصاصات وهى ترتد من واجهة المبنى السكنى الذى قتل فيه ساشا شادانوف، بل وتشعر بتلك اليد القوية وهى تدفعها فى طريق الشاحنة القادمة بمنتهى السرعة. فارتجفت مجددا وهى تفكر فى المرتين اللتين نجت فيهما من الموت بأعجوبة.

قبل ساعات مضت، وهى تجلس فى استراحة الانتظار بمطار شريمتيفو الثانى، ظلت دانا تقول لنفسها إن الأمور ستكون على ما يرام، وإن الأخيار سوف ينتصرون فى النهاية. لكن كان هناك شيء يضايقها بشأن محادثة أجرتها مع شخص ما، ولقد قال ذلك الشخص أمراً مزعجاً، لكن الأمر تاه عن بالها تماماً. أكانت

محادثة مع مات بيكر؟ المفوض شادانوف؟ تيم درو؟ وكلما حاولت دانا استرجاع تلك المحادثة، راوغتها ذاكرتها أكثر وأكثر.

وعندما نادى صوت المذيع الداخلى للمطار: "رحلة طائرة آير فرانس رقم ٢٢٠ - والمتجهة إلى العاصمة واشنطن - مستعدة للإقلاع. برجاء تجهيز جوازات السفر وتذاكر الطائرة"، نهضت دانا واتجهت إلى البوابة. وبينما كانت تستعد لإظهار تذكرتها إلى الحارس، تذكرت فجأة ذلك الأمر الذى كان يزعجها. لقد كانت آخر محادثة لها مع ساشا شادانوف، التى قال لها فيها:

لا أحد يعلم بوجودى هناك. إن ذلك المكان أشبه بما يطلق عليه رجال المخابرات "المنزل الآمن".

إن الشخص الوحيد الذى أخبرته دانا بمخبأ ساشا شادانوف كان روجر هودسون. وبعد ذلك بوقت قصير، قُتل ساشا شادانوف. ومن بداية الأمر، كان روجر هودسون يلمح بمهارة إلى وجود ارتباط غامض بين تايلور وينثروب وروسيا.

فقد قال لها:

عندما كنت فى موسكو، سرت شائعة قوية حول تورط تايلور وينثروب فى صفقة خاصة مع الروس...

قبل أن يصبح تايلور وينثروب سفيرنا فى روسيا بوقت قصير، أخبر بعض أصدقائه المقربين أنه قد تقاعد عن الحياة العامة....

لقد كان تايلور وينثروب هو من ألح على الرئيس لكى يعينه سفيراً لنا فى روسيا ....

ولقد كانت دانا تخبر روجر وباميلا بكل حركة تقوم بها. ولقد كانا يتجسسان عليها طوال الوقت. ولا يوجد وراء ذلك سوى سبب وحيد:

لقد كان روجر هودسون هو الشريك الغامض لتايلور وينثروب.

عندما هبطت طائرة شركة أمريكان إيرلاينز فى مطار أوهارا بشيكاغو، نظرت دانا من نافذة الطائرة، باحثة عن أى شيء يثير الشكوك - لكنها لم تجد شيئاً. كان المكان هادئاً وصامتاً. التقطت دانا نفساً عميقاً ثم بدأت فى مغادرة الطائرة. كادت أعصابها تحترق، وقد تمكنت من أن تحيط نفسها بأكبر عدد من المسافرين وهى تدلف إلى صالة الانتظار، وكانت تتعمد أن تبقى قريبة من زحام المسافرين الذين لا يتوقفون عن الثرثرة. كان لديها مكالمة طارئة لابد من إجرائها. فخلال رحلة الطائرة، خطر ببالها شيء فظيع جعل الخطر الذى يهدد حياتها مسألة هينة - ألا وهو كيمال. ماذا لو أنه كان فى خطر بسببها؟ لم تكن دانا تستطيع أن تتحمل فكرة أن يصيبه مكروه. ولهذا كان عليها أن تجد شخصاً لكى يحمى كيمال. وعلى الفور، فكرت دانا فى جاك ستون. لقد كان يعمل فى منظمة قوية بما يكفى لمنحها الحماية التى تحتاجها هى وكيمال، وكانت لديها ثقة فى أنه لن يتأخر عن توفير تلك الحماية لهما. فقد أظهر تعاطفاً معها منذ البداية، ولهذا كانت دانا تحس أنه *ليس واحداً من الأشرار*.

تذكرت دانا كلماته: *إننى أحاول أن أبقى خارج دائرة الضوء، وهذه هى أفضل طريقة أستطيع بها مساعدتك - إذا كنت تفهمين ما أقصده*.

سارت دانا إلى زاوية هادئة من صالة الانتظار، ومدت يدها فى حقيبتها، ثم أخرجت البطاقة التى تحمل رقم الهاتف الخاص الذى أعطاه لها جاك ستون. طلبت دانا الرقم، فأجاب جاك على الفور.

"جاك ستون".

"أنا دانا إيفانس. أنا فى ورطة وأحتاج إلى مساعدتك".

"ما الذى يحدث؟".

كان بإمكان دانا أن تحس بالقلق فى صوته، فقالت: "لا يمكننى أن أخوض فى التفاصيل الآن، لكن بعض الأشخاص يلاحقوننى، ويحاولون التخلص منى".

"من هم؟".

"لا أدرى، لكننى أشعر بالقلق حيال ولدى بالتبنى - كيمال. هل يمكنك أن تساعدنى وترسل شخصاً لحمايته؟".

رد جاك على الفور: "سأتولى هذه المسألة. هل هو بالمنزل؟".

"نعم".

"سوف أرسل إليه أحد رجالنا. والآن ماذا عنك أنت؟ أتقولين إن أحدهم يحاول قتلك؟".

"نعم. لقد ... لقد حاولوا قتلى مرتين".

ساد الصمت للحظات، ثم قال جاك: "سوف أتحقق من الأمر وأرى ما يمكننى عمله. أين أنت الآن؟".

"فى صالة شركة طيران أمريكان إيرلاينز بمطار أوهارا، ولا أدرى متى سأستطيع الخروج من هنا".

"ابقى فى موضعك، وسوف أرسل شخصاً ليتولى حمايتك. وحتى ذلك الحين، لا تقلقى بشأن كيمال مطلقاً".

شعرت دانا بإحساس من الراحة يجتاحها، فقالت: "شكراً لك... شكراً لك"، ثم أغلقت الهاتف.

وفى حجرة مكتبه بمقر وكالة الأبحاث الفيدرالية، وضع جاك ستون سماعة الهاتف، ثم ضغط زر الهاتف الداخلى قائلا: "لقد اتصل الهدف تواً. إنها فى صالة الانتظار التابعة لخطوط أمريكان إيرلاينز بمطار أوهارا. تول أمرها".

"عُلم يا سيدى".

التفت جاك ستون إلى أحد ضباطه المعاونين وقال: "متى سيعود الجنرال بوستر من الشرق الأقصى؟".

"سوف يعود بعد ظهر اليوم".

"حسناً، دعنا نخرج من هنا قبل أن يعود ويكتشف ما كان يحدث".

٢٤

رن جرس هاتف دانا المحمول.

"جيف !".

"مرحبًا يا حبيبتي". أحست دانا كأن صوته الحنون رداء التف حولها فجلب الدفء والأمان إلى جسدها الذى أنهكه البرد والخوف.

كانت دانا ترتجف وهي ترد: "أوه، جيف !".

"كيف حالك؟".

أرادت أن تقول له: *أتسألني عن حالي؟ إنني أفر بحياتي من أشخاص يريدون قتلي.* لكنها لم تكن تستطيع أن تخبره بذلك. فلم يكن بإمكانه أن يفعل أي شيء لمساعدتها ـ ليس الآن على الأقل، لقد فات أوان طلب المساعدة. ولهذا قالت دانا ببساطة: "أنا.... أنا بخير يا عزيزى".

"وأين أنت الآن، أيتها الرحالة العالمية؟".

"أنا في شيكاغو، وسوف أعود إلى واشنطن غداً"، ولكم ودت دانا أن تقول له: *ومتى ستعود أنت إلي؟* لكنها فقط أردفت: وكيف... حال ريتشيل؟".

"تبدو حالتها فى تحسن مستمر".

"إننى أفتقدك بشدة".

وفى تلك اللحظة، فتح باب غرفة نوم ريتشيل، وخرجت منه إلى حجرة المعيشة، ثم بدأت تنادى على جيف، لكنها توقفت عندما لاحظت أنه يتحدث عبر الهاتف.

قال جيف لدانا: "وأنا أفتقدك أكثر مما تتخيلين".

قالت دانا: "أوه، أحبك كثيرًا..."، ثم أحست دانا برجل يحدق النظر إليها، فبدأ قلبها يدق بقوة، وقالت: "عزيزى، إذا....إذا حدث لى أى شيء.... تذكر دائما أننى....".

شعر جيف بالقلق على الفور، وقال: "ماذا تقصدين إن حدث لك أى شيء؟".

"لا شيء، أنا.... أنا لا أستطيع الخوض فى هذا الأمر الآن، لكن.... أنا واثقة أن كل الأمور ستكون على ما يرام".

"دانا، لا يمكنك أن تدعى أى شيء يحدث لك ! أنا أحتاج إليك، إننى أحبك أكثر مما أحببت أى شخص فى حياتى، ولا أطيق فكرة أن أفقدك يوماً".

أنصتت ريتشيل لدقيقة أخرى، ثم عادت بهدوء إلى غرفتها وأغلقت الباب وراءها.

تحدثت دانا مع جيف لعشر دقائق أخرى، وعندما أغلقت دانا هاتفها أخيرًا، شعرت براحة كبيرة، وقالت لنفسها: *أنا سعيدة لأننى قد أتيحت لى الفرصة لكى أودع جيف.* رفعت رأسها ورأت أن ذلك الرجل ما زال يحدق النظر إليها. فتمتمت وهى تشعر بإحساس متزايد بالفزع: *من المستحيل أن يصل أحد رجال جاك ستون إلى هنا بهذه السرعة. يجب أن أخرج من هنا..*

طرق ساكن الشقة المجاورة باب شقة دانا، ففتحت السيدة دالى الباب.

قالت: "مرحباً".

"أبقى كيمال بالمنزل، فسوف نحتاج إليه".

"سوف أتولى هذا الأمر"، أغلقت السيدة دالى باب الشقة، ثم نادت على كيمال: "كادت وجبة الحبوب أن تجهز يا عزيزى".

دخلت السيدة دالى إلى المطبخ، ورفعت وعاء الطهى من فوق الموقد، ثم فتحت الدرج السفلى لخزانة الأدراج والذى كان يمتلئ بعبوات دواء تحمل اسم بوسبار، كانت هناك دزينات من العبوات الفارغة فى قاع الدرج. فتحت السيدة دالى عبوتين جديدتين، وترددت للحظة، ثم فتحت عبوة ثالثة. ومزجت مسحوق الأقراص المهدئة مع الحبوب، ثم وضعت السكر فوقهما، وحملت وجبة الحبوب إلى غرفة الطعام. وعلى الفور، حضر كيمال من حجرته.

"ها قد أعددنا وجبة الحبوب الساخنة اللطيفة يا عزيزى".

"أنا لست جائعاً".

فانطلق صوتها الحاد بتلك الطريقة التى دائماً ما تخيف كيمال: " يجب أن تأكل يا كيمال، لا نريد أن تخيب ظن الآنسة دانا فيك، أليس كذلك؟".

"نعم".

"حسناً، أراهنك أنك تستطيع أن تتناول هذه الوجبة إلى آخر قضمة من أجل الآنسة دانا".

جلس كيمال وبدأ يأكل.

فكرت السيدة دالى: *هذه الكمية من المخدر كافية لجعله ينام لست ساعات تقريباً. وبعدها سأرى ماذا يريدون أن أفعل به.*

أسرعت دانا الخطى على طول أرض المطار حتى وصلت لمحل ملابس.

فكرت دانا: *يجب أن أغير شكلى وأخفى هويتى.* ثم دخلت إلى المحل وأخذت تقلب نظرها فى الملابس المعروضة. بدت كل الملابس عادية الشكل. كان الزبائن مشغولين بشراء المعروضات،

وانهمك البائعون فى جلب كل ما يطلبه الزبائن. نظرت دانا إلى خارج المحل، فأحست بجلدها يقشعر. فقد كان هناك رجلان شرسا الملامح يقفان على جانبى المدخل، وكان أحدهما يحمل جهاز اتصال لاسلكى.

تمتمت دانا: *كيف عثروا علىّ هنا فى شيكاغو؟* حاولت دانا أن تسيطر على فزعها، فالتفتت إلى البائعة وقالت: "أيوجد مخرج آخر للمحل؟".

هزت البائعة رأسها نفياً وقالت: "أنا آسفة يا آنسة، لكنه مخصص للعاملين هنا فقط".

كان حلق دانا جافاً تماماً، لكنها نظرت مجدداً إلى الرجلين بالخارج، وفكرت بيأس: *لابد أن أهرب من هنا. يجب أن أجد وسيلة ما.*

وفجأة، جذبت دانا رداءً من فوق أحد الرفوف وبدأت تسير باتجاه مدخل المتجر.

نادت عليها البائعة: "لحظة من فضلك. لا يمكنك أن....".

كانت دانا قد اقتربت من الباب، وقد بدأ الرجلان يتحركان باتجاهها، وعندما عبرت دانا مدخل المتجر، تسببت بطاقة الأمان المغنطة ـ والتى تعلق فى الملابس لمنع السرقة ـ فى إطلاق صفارة جهاز الإنذار. هرع حارس المتجر إلى الخارج، فنظر الرجلان إلى بعضهما البعض ثم تراجعا إلى الوراء.

قال الحارس: "دقيقة واحدة يا آنسة، يجب أن تعودى معى إلى داخل المحل".

قالت دانا باحتجاج: "ولماذا أفعل ذلك؟".

"لماذا؟ لأن سرقة المتاجر جريمة يعاقب عليها القانون".

وأمسك الحارس بذراع دانا وجذبها إلى داخل المتجر. وظل الرجلان مكانهما وقد بدت على ملامحهما إمارات الإحباط وخيبة الأمل.

ابتسمت دانا إلى الحارس وقالت: "حسناً، أنا أعترف. لقد كنت أسرق الرداء. خذنى إلى السجن".

تجمع الزبائن لرؤية ما يحدث، وهرع مدير المتجر إلى حيث تقف دانا والحارس، وقال: "ما المشكلة هنا؟".

"لقد أمسكت بهذه المرأة وهى تحاول سرقة هذا الرداء".

قال مدير المتجر: "حسنا، أخشى أننا يجب أن نتصل بالشر..." لكنه التفت وتعرف على وجه دانا، فقال: "يا إلهى ! إنها دانا إيفانس".

وعلى الفور، بدأت الهمسات تتنقل بين الحشد المتزايد.

"إنها دانا إيفانس.....".

"إننا نشاهدها فى نشرة الأخبار كل ليلة....".

"هل تتذكر التقارير التى كانت ترسلها أثناء الحرب....؟".

قال المدير: "أنا فى شدة الأسف يا آنسة إيفانس. من الواضح أن هناك خطأ ما".

ردت دانا بسرعة: "كلا، كلا. لقد كنت أسرق الرداء"، ثم مدت يديها وأردفت: "يمكنك أن تلقى القبض علىّ".

ابتسم المدير وقال: "ما كنت لأحلم بهذا الشرف، يمكنك أن تحتفظى بالرداء يا آنسة إيفانس كهدية من إدارة المحل، إنه لإطراء كبير لعروضاتنا أن ينال ذلك الرداء إعجابك".

حدقت دانا النظر إليه فى عدم تصديق وقالت: "ألن تلقى القبض علىّ؟".

اتسعت ابتسامة المدير وقال: "دعينا نعقد صفقة. سوف أعطيك هذا الرداء فى مقابل الحصول على توقيعك، إننا من كبار المعجبين بك".

ثم صاحت إحدى السيدات المحتشدات: "وأنا أيضاً !".

وقالت أخرى: "هل يمكننى الحصول على توقيعك؟".

وبدأ مزيد من الناس يتوافدون على المكان.

"انظر ! إنها دانا إيفانس".

"هل يمكنني الحصول على توقيعك يا آنسة إيفانس؟".

"لقد كنت أنا وزوجي نشاهد التقارير المصورة التي كنت ترسلينها من سراييفو كل يوم".

"لقد أظهرت الحرب على حقيقتها يا آنسة إيفانس".

"وأنا أيضاً أريد توقيعك يا آنسة إيفانس".

تسمرت دانا في مكانها، ويأسها يزداد بمرور اللحظات، ثم نظرت بطرف عينيها إلى الخارج، فوجدت الرجلين لا يزالان يقفان في موضعهما.

كانت الأفكار تتسارع في عقل دانا. وأخيراً التفتت إلى الحشد من حولها وابتسمت قائلة: "سأخبركم بما سأفعله. دعونا نخرج جميعا إلى الهواء الطلق بالخارج، وسوف يحصل كل منكم على توقيعي".

وانطلقت صيحات الإثارة والسعادة من الجمهور.

أعطت دانا الرداء لمدير المتجر وهي تقول: "يمكنك الاحتفاظ بهذا. شكراً لك"، ثم بدأت تسير باتجاه الباب، يتبعها حشد من معجبيها. تراجع الرجلان بالخارج، وقد أصابتهما الحيرة، حيث بدأ حشد المعجبين يتحرك نحوهما.

التفتت دانا إلى معجبيها وقالت: "من سأوقع له أولا؟"، وقد كان المعجبون يتدافعون إليها، وكل منهم يمد يده بقلم وقطعة من الورق.

وقف الرجلان في مكانهما، وقد نال منهما الإحباط. كانت دانا توقع على الأوراق، وهي تتحرك تجاه مخرج صالة الانتظار. وسرعان ما لحق بها الحشد إلى الخارج. وفي تلك اللحظة، توقفت سيارة أجرة عند الرصيف، وهبط منها أحد المسافرين.

التفتت دانا إلى الحشد وقالت: "شكرًا لكم، لكن يجب أن أذهب الآن"، ثم قفزت داخل السيارة، وفي أقل من لحظة، كانت السيارة قد اختفت وسط زحام المرور.

كان جاك ستون يتحدث عبر الهاتف مع روجر هودسون: "سيد هودسون، لقد أفلتت منا، لكن....".

"اللعنة ! أنا لا أريد أن أسمع هذا الكلام. أريدها أن تخرج من الصورة تمامًا ـ والآن".

"لا تقلق يا سيدي، لقد التقطنا رقم لوحات سيارة الأجرة التي استقلتها. لن تتمكن من الذهاب بعيدا".

قال روجر هودسون: "إياك والفشل مرة أخرى"، ثم وضع سماعة الهاتف بقوة.

كان متجر كارسون بيري سكوت وشركاه ـ والذي يقع في وسط مجمع شيكاغو لووب التجاري ـ مزدحماً بالمتسوقين. وعند نضد بيع الأوشحة، كانت البائعة تنهي تغليف لفافة لكي تعطيها لدانا.

"هل ستدفعين الثمن نقداً أم ببطاقة ائتمان؟".

"نقداً". *فلم يكن من الحكمة أن تترك وراءها أثراً يتعقبونه.*

أخذت دانا اللفافة وسارت حتى كادت تصل إلى المخرج، ثم توقفت فجأة، وقد امتلأ قلبها بالخوف. فقد كان هناك رجلان، يمسكان بأجهزة لاسلكي، ويقفان عند المدخل. نظرت دانا إليهما وهي تحس بأن الجفاف قد أصاب حلقها فجأة، ثم استدارت وعادت بسرعة إلى نضد البيع.

سألتها البائعة: "أتريدين شيئاً آخر يا آنسة؟".

"كلا. أنا....." تطلعت دانا حولها في يأس وأردفت: "أهناك باب آخر يؤدي إلى خارج المحل؟".

"أوه، نعم، لدينا العديد من المخارج".

فكرت دانا: *لن يجدي هذا في شيء. لابد أنهم سيغطون كل المخارج.* لن يكون هناك مجال للهروب هذه المرة.

لاحظت دانا أن إحدى المتسوقات ـ وكانت ترتدى معطفاً أخضر قديمًا ومهترئًا ـ تتطلع بإعجاب إلى وشاح موضوع فى صندوق زجاجى، ظلت دانا تشاهدها للحظة، ثم تحركت نحوها.

وقالت: "وشاح جميل، أليس كذلك؟".

ابتسمت المرأة وقالت: "إنه جميل بالتأكيد".

كان الرجلان بالخارج يشاهدان المرأتين المنخرطتين فى محادثة لا تنتهى، فنظر أحدهما إلى الآخر، ثم هزا كتفيهما فى عدم اكتراث. فقد كانت كل المخارج تحت المراقبة.

وبالداخل، كانت دانا تقول: "كم يعجبنى المعطف الذى ترتدينه، إنه لونى المفضل تماما".

"أخشى أن معطفى القديم هذا على وشك أن يبلى. لكن معطفك جميل للغاية".

شاهد الرجلان بالخارج تلك المحادثة المستمرة.

وقال أحدهم مشتكيا: "يا له من برد قارس! أتمنى أن تخرج تلك المرأة من المحل حتى ننتهى من هذا الأمر".

أومأ رفيقه وقال: "لا توجد طريقة تستطيع بها أن...." لكنه قطع كلامه عندما شاهد المرأتين فى المحل تتبادلان المعاطف. تجهمت ملامحه وصاح: "اللعنة ! انظر ما الذى تحاول تلك المرأة أن تفعله. إنهما تتبادلان المعاطف. يا لها من امرأة غبية!".

اختفت المرأتان للحظات خلف أحد رفوف الملابس. وتحدث أحد الرجلين فى هاتفه اللاسلكى: "إن الهدف تستبدل معطفها الأحمر بمعطف أخضر اللون.... انتظر لحظة، إنها الآن تتجه إلى المدخل رقم ٤. التقطوها هناك".

وعند المدخل رقم ٤، كان هناك رجلان ينتظران. وبعد لحظة، تحدث أحدهما عبر هاتفه المحمول: "لقد أمسكنا بها. أحضرا السيارة".

شاهد الرجلان المرأة وهى تخرج من الباب إلى الهواء البارد. لفت المرأة معطفها الأخضر حول جسدها بإحكام، وبدأت تسير

على طول الشارع. اقترب الرجلان منها، وعندما وصلت إلى ناصية الشارع وبدأت تلوح بيدها لسيارة أجرة، أمسك الرجلان بذراعيها، وقال أحدهما: "لست بحاجة إلى سيارة أجرة، فلدينا سيارة لطيفة من أجلك".

نظرت إليهما المرأة باندهاش وقالت: "من أنتما؟ وما الذى تتحدثان بشأنه؟".

كان أحدهما يحدق النظر إليها، ثم قال: "أنت لست دانا إيفانس !".

"بالطبع أنا لست هى".

نظر الرجلان إلى بعضهما، وتركا المرأة، ثم انطلقا عائدين إلى المتجر بأقصى سرعة. تحدث أحدهما فى جهازه اللاسلكى وقال: "كان هدفا خاطئا.... كان هدفاً خاطئاً. هل تسمعنى؟".

وفى الوقت الذى احتشد فيه الآخرون داخل المتجر، كانت دانا قد اختفت تماماً.

أحست دانا بأنها عالقة داخل كابوس حى، حبيسة فى عالم عدائى يحاول فيه أعداء مجهولون القضاء عليها، واقعة فى شبكة عنكبوتية مرعبة، مكبلة بأثقال من الخوف تكاد تشل حركتها. عندما خرجت دانا من سيارة الأجرة، بدأت تسير بسرعة، محاولة ألا تركض وتثير الانتباه إليها، لكنها لم تكن تدرى إلى أين تسير. مرت دانا بمتجر وضعت عليه لافتة تقول: متجر الفنتازية ـ ملابس تنكر لكل المناسبات. وبشكل تلقائى، دلفت دانا إلى الداخل. كان المتجر ممتلئا بملابس التنكر، وباروكات الشعر المستعار، وأدوات التجميل.

"هل يمكننى مساعدتك؟".

تمتمت دانا سرا: *نعم، اتصل بالشرطة. وأخبرهم بأن مجهولين يحاولون قتلى.*

"آنسة؟".

"هاه.... نعم. أود أن أجرب باروكة شعر أشقر".

"اتبعيني من فضلك".

بعد دقيقة، كانت دانا تنظر إلى نفسها في المرآة وقد تحولت إلى امرأة شقراء.

قالت البائعة: "لقد غيرت من شكلك بطريقة مذهلة".

فكرت دانا: *كم أتمنى أن يكون ذلك صحيحاً.*

وأمام المتجر، أشارت دانا إلى سيارة أجرة. وقالت للسائق: مطار أوهارا". وكانت تفكر: *لابد أن أصل إلى كيمال.*

عندما رن جرس الهاتف، التقطت ريتشيل السماعة وقالت: "مرحباً.... دكتور يونج؟.....النتائج النهائية للفحوصات؟".

رأى جيف توتراً مفاجئاً يظهر على ملامحها.

قالت ريتشيل: "يمكنك أن تخبرني بالأمر عبر الهاتف. دقيقة واحدة". نظرت ريتشيل إلى جيف، والتقطت نفساً عميقاً، ثم حملت الهاتف إلى غرفة نومها.

وبالكاد كان جيف يسمع صوتها.

"أكمل يا دكتور".

ساد الصمت لثلاث دقائق كاملة، وعندما اشتد القلق بجيف، وكاد أن يدخل إلى غرفة النوم، خرجت ريتشيل وكان وجهها متألقاً بطريقة لم يعهدها جيف من قبل.

قالت ريتشيل وأنفاسها تكاد تتوقف من الإثارة: لقد نجح العلاج ! جيف، لقد تخلص جسدي من الأورام. لقد نجح العلاج الكيميائي الجديد! ".

قال جيف: "حمداً لله ! هذا خبر رائع يا ريتشيل".

قالت ريتشيل بنبرة تمتلئ بالابتهاج: "لقد طلب مني الدكتور يونج أن أبقى هنا لبضعة أسابيع، لكن الأزمة قد انتهت بالفعل".

قال جيف: "يجب أن نخرج للاحتفال. سوف أبقى معك حتى....".

"كلا".

"كلا، ماذا؟".

"أنا لن أحتاج إليك بعد الآن يا جيف".

"أعرف ذلك، وأنا سعيد أننا....".

"أنت لا تفهم. أريدك أن تغادر".

نظر جيف إلى ريتشيل باندهاش وقال: "لماذا؟".

"عزيزي جيف، أنا لا أريد أن أجرح مشاعرك، لكنني ـ وبعد أن تعافيت من المرض ـ يجب أن أعود إلى عملي. إن العمل كعارضة أزياء هو حياتي الطبيعية. سوف أتصل بالوكالة وأرى الأعمال المتاحة لديهم. لقد كنت أشعر بأنني حبيسة هنا معك. شكراً على مساعدتك يا جيف. أنا فعلاً ممتنة جداً لذلك، لكن الوقت قد حان للوداع. أنا واثقة أن دانا تفتقدك كثيرا. فلماذا لا تغادر وحسب يا عزيزي؟".

نظر إليها جيف للحظة، ثم قال: "حسناً".

نظرت إليه ريتشيل وهو يدلف إلى غرفة نومه ويبدأ في تجهيز حقيبة ملابسه. وبعد عشرين دقيقة، عندما خرج جيف وفي يده حقيبة ملابسه، كانت ريتشيل تتحدث عبر الهاتف.

".... لقد عدت إلى العالم الحقيقي يا بيتي. سوف أتمكن من العودة إلى العمل خلال بضعة أسابيع..... أعلم ذلك. أليس هذا خبراً رائعاً؟".

كان جيف متسمراً في مكانه، ينتظر لكي يودع ريتشيل، لكن ريتشيل لوحت له بيدها، والتفتت إلى الهاتف مجدداً: "سوف أخبرك بما أريده.... احصلي لي على جلسة تصوير في إحدى المناطق المدارية الرائعة....".

شاهدت ريتشيل جيف وهو يعبر باب الشقة. وببطء، تركت سماعة الهاتف تسقط، ثم سارت إلى النافذة ووقفت هناك،

متطلعة إلى الرجل الوحيد الذى أحبته وهو يخرج من حياتها إلى الأبد.

كانت كلمات الدكتور يونج لا تزال ترن فى أذنيها: "آنسة ستيفنس، أنا آسف، ولكن لدى أخباراً سيئة. لقد فشل العلاج الكيميائى..... لقد انتشر الورم السرطانى بشكل لا يمكن السيطرة عليه، وأخشى أنه قد صار فى مراحله النهائية.... ربما يكون أمامك شهر أو اثنان....".

تذكرت ريتشيل عندما قال لها المخرج الشهير رودريك مارشال: "أنا سعيد بحضورك. سوف أصنع منك نجمة سينمائية". وبينما بدأت موجات الألم البشع تجتاح وتدمر جسد ريتشيل مجدداً، أخذت تفكر: لقد *كان رودريك مارشال سيفتخر بى كثيراً.*

عندما هبطت طائرة دانا بواشنطن، كان مطار دولس مزدحماً بالمسافرين الذين وقفوا ينتظرون خروج حقائبهم. سارت دانا وسط حشود المسافرين، ثم خرجت إلى الشارع وقفزت داخل إحدى سيارات الأجرة المنتظرة. لم يكن هناك رجال مثيرون للشك من حولها، لكن أعصابها كانت تحترق. أخرجت دانا حقيبة يدها ونظرت فى مرآتها الصغيرة لتتأكد من مظهرها، فلاحظت أن شعرها الأشقر المستعار قد أعطاها مظهرا مختلفاً تماماً. فكرت دانا: *يجب أن يكون هذا التنكر كافيا. لابد لى من الوصول إلى كيمال.*

فتح كيمال عينيه ببطء، وقد أيقظته الأصوات البشرية الآتية من وراء باب حجرته المغلق، وكان يشعر بالترنح.

سمع صوت السيدة دالى تقول: "إن الصبى لا يزال نائما. لقد وضعت له المخدر فى طعامه".

رد عليها صوت رجل: "سيكون علينا أن نوقظه".

وقال رجل آخر: "ربما يكون من الأفضل أن نأخذه وهو نائم".

قالت السيدة دالى: "يمكنكما قتله هنا، وبعدها تتخلصان من الجثة".

كانت تلك الكلمات كفيلة بأن يفتح كيمال عينيه عن آخرهما وأن يزول عنه كل أثر للنوم.

"علينا أن نحتفظ به حيا لفترة من الوقت. سوف يستخدمونه كطعم للإيقاع بتلك المرأة إيفانس".

اعتدل كيمال فى جلسته، وأخذ ينصت وقلبه يدق بقوة.

"وأين هى الآن؟".

"لا نعلم تحديداً، لكننا متأكدون أنها ستأتى إلى هنا من أجل الصبى".

قفز كيمال من السرير، ووقف فى مكانه للحظات، وقد جمده الخوف. لقد اكتشف أن المرأة التى وثق بها تريد قتله. أقسم كيمال لنفسه: *لن يكون قتلى بهذه السهولة، أيتها الحقيرة! إنهم لم يستطيعوا قتلى فى سراييفو، ولن يستطيعوا قتلى هنا أيضاً.* بدأ كيمال فى ارتداء ملابسه على عجل، وعندما مد يده لالتقاط ذراعه الصناعية الموضوعة على المقعد، انزلقت من بين أصابعه وسقطت على الأرض بصوت بدا لكيمال كأنه دوى الرعد. فتجمد فى مكانه. كان الرجال بالخارج لا يزالوا يتحدثون، وبدا واضحا أنهم لم يسمعوا صوت ارتطام الذراع بالأرض. أوصل كيمال الذراع وانتهى من ارتداء ملابسه بسرعة.

فتح كيمال النافذة فصدمته الرياح الباردة. تذكر كيمال أن معطفه الثقيل فى غرفته الثانية. فاتجه إلى حافة النافذة وهو يرتدى سترته الخفيفة، وأسنانه تصطك ببعضها. كان هناك سلم طوارئ يقود إلى الأرض، فقفز كيمال إليه، وهو ينحنى برأسه حتى لا يراه أحد من نافذة غرفة المعيشة.

وعندما وصل كيمال إلى الأرض، نظر إلى ساعته. كانت الساعة تشير إلى الثانية وخمس وأربعين دقيقة. لقد ظل نائماً لنصف اليوم تقريباً، ثم بدأ كيمال يركض بأقصى سرعة.

قال أحد الرجال بالأعلى: "دعونا نقيد الصبى على سبيل الاحتياط".

ففتح أحدهما باب غرفة المكتبة، وقلب نظره فى أرجاء الغرفة باندهاش. ثم صاح: "لقد هرب الصبى !".

هرع الرجلان - ومعهما السيدة دالى - إلى النافذة المفتوحة فى اللحظة المناسبة لكى يروا كيمال وهو يركض على طول الشارع.

صاحت السيدة دالى: "أمسكوا به".

كان كيمال يعدو كأن شياطين الجحيم تطارده ؛ وكانت ساقاه تزدادان ضعفاً وتخاذلاً مع كل خطوة يخطوها، وكان كل نفس يلتقطه أشبه بسكين تغمد فى صدره. فكر كيمال: *لو أننى أستطيع أن أصل المدرسة قبل أن يغلقوا الباب فى الساعة الثالثة، سأكون قد وصلت إلى الأمان، لن يجرؤوا على إيذائى فى وجود بقية تلاميذ المدرسة.*

كانت هناك إشارة مرور حمراء أمامه، فتجاهلها كيمال وانطلق يعبر الشارع، متفاديا السيارات العابرة، ومتجاهلا أصوات أبواق السيارات وصرير عجلاتها التى تحتك بالأرض. ووصل كيمال إلى الناحية الأخرى من الشارع واستمر فى الجرى.

فكر كيمال: *سوف تتصل الآنسة كيلى بالشرطة وسوف يحمون دانا من الأشرار.*

كانت أنفاسه قد بدأت تنقطع وكان يحس بضيق فى صدره، لكنه استمر فى العدو، ثم نظر إلى ساعته مجددا، فوجدها تشير إلى الثالثة إلا خمس دقائق. نظر كيمال إلى الأمام، فرأى المدرسة على مسافة قريبة لا تزيد على مربعين سكنيين.

فكر كيمال: *لقد أصبحت فى أمان. إن التلاميذ لم يخرجوا من الفصول بعد.* وبعد دقيقة، وصل كيمال إلى البوابة الأمامية، ثم توقف أمامها وهو يحدق النظر إليها فى ذهول. لقد كانت البوابة مغلقة بالأقفال. وفجأة، أحس كيمال بقبضة حديدية توضع فوق كتفه من الخلف.

وسمع صوتاً يقول: "إنه يوم عطلة أيها الغبى".

قالت دانا: "توقف هنا". كانت سيارة الأجرة على بعد مربعين سكنيين من شقتها. شاهدت دانا سيارة الأجرة وهى تبتعد، ثم سارت ببطء، وقد توتر جسدها، وشحذت حواسها جميعاً، وبدأت تتفحص الشوارع، باحثة عن أى شيء خارج عن المألوف. كانت على يقين من أن كيمال بخير. فلابد أن جاك ستون يتكفل بحمايته.

عندما وصلت دانا إلى ناصية المبنى الذى تقع فيه شقتها، تحاشت الدخول عبر المدخل الأمامي، ودخلت إلى الزقاق الذى يقود إلى المدخل الخلفي للمبنى. كان المكان مهجورا. دلفت دانا عبر مدخل الخدم وبدأت تصعد السلالم بهدوء. وصلت إلى الطابق الثانى وبدأت تسير بالرواق، ثم توقفت فجأة. كان باب شقتها مفتوحا على مصراعيه. وعلى الفور، امتلأ قلب دانا بالخوف. فأسرعت تجرى باتجاه الباب وعبرته إلى الداخل وهى تصرخ: "كيمال !".

لم يكن هناك أحد بالشقة. اندفعت دانا تجرى فى أركان الشقة، وقد أصابها الهلع، متسائلة عما قد يكون قد حدث. *أين جاك ستون؟ وأين كيمال؟* وبداخل المطبخ، كان أحد أدراج الخزانة قد سقط أرضاً وتبعثرت محتوياته على الأرض. كان هناك دزينات من عبوات صغيرة، بعضها ممتلئ، وبعضها خال. وبدافع من الفضول، التقطت دانا إحدى العبوات ونظرت إليها.

كانت الكلمات المكتوبة فوق الملصق تقول: بوسبار، أقراص فئة ١٥ ملليجرامًا.

أخذت دانا تتساءل: *ما الهدف من تلك الأقراص؟ أكانت السيدة دالى تتعاطى المهدئات، أم تراها كانت تعطيها لكيمال؟ أكان لهذه الأقراص علاقة بالتغيير الذى طرأ على سلوكه؟* ووضعت دانا إحدى العبوات فى جيب معطفها.

وبإحساس متزايد بالفزع، خرجت دانا من الشقة، وهبطت السلالم، ثم خرجت من المدخل الخلفى، ومنه إلى الزقاق، ثم توجهت إلى الشارع. وبينما كانت دانا تدور حول ناصية المبنى، تحدث رجل كان يختفى خلف شجرة فى جهازه اللاسلكى إلى زميله الذى يقف عند الناصية المقابلة.

وفى الناحية الأخرى من الشارع، كانت تقع صيدلية واشنطن. فدلفت دانا إليها.

قالت الصيدلية: "مرحبا آنسة إيفانس، كيف يمكننى مساعدتك؟".

"مرحباً كوكينا. أريد أن أستفسر عن هذه الأقراص"، ثم أخرجت العبوة الصغيرة. فنظرت إليها الصيدلية وقالت: "بوسبار. إنه دواء مضاد للقلق. عبارة عن أقراص بيضاء شفافة قابلة للذوبان فى الماء".

سألت دانا: "وما هو تأثيره؟".

"إنه مهدئ وله تأثير يساعد على الاسترخاء. لكن إذا تناولت جرعات مفرطة منه، فإنه يسبب الإرهاق والنعاس".

تذكرت دانا كلمات السيدة دالى:

إن كيمال نائم. أتريدين أن أوقظه من أجلك؟

عندما عاد من المدرسة، شعر بالإرهاق، ولذلك ظننت أن بعض النوم قد يكون مفيداً له...

إذن فهذا هو تفسير كل ما كان يحدث، ولقد كانت باميلا هودسون هى من أرسلت السيدة دالى إلى دانا.

تمتمت دانا ـ وهى تشعر بالاشمئزاز: *وأنا وضعت كيمال بين يدى تلك الحقيرة.*

نظرت دانا إلى الصيدلية وقالت: "شكرا لك يا كوكينا".

"على الرحب والسعة يا آنسة إيفانس".

خرجت دانا من باب الصيدلية إلى الشارع مجددا. وعلى الفور، بدأ الرجلان يقتربان منها. وقال أحدهما: "آنسة إيفانس، أيمكننا التحدث إليك للحظ.....". استدارت دانا وانطلقت تعدو بأقصى سرعة، وانطلق الرجلان فى أعقابها. وصلت دانا إلى ناصية الشارع، فرأت شرطيا يقف فى منتصف التقاطع، موجها حركة السير المزدحمة.

ركضت دانا إلى الشارع باتجاهه.

"هاى ! ارجعى يا آنسة".

لكن دانا ظلت تتقدم إلى الأمام.

"إنك تعبرين الشارع والإشارة حمراء ! هل سمعت ما قلته لك؟ ارجعى للخلف !".

كان الرجلان ينتظران عند ناصية الشارع، وقد وقفا يشاهدان ما يحدث.

صرخ رجل الشرطة: "هل أنت صمّاء؟".

صاحت دانا: "اخرس !" ثم صفعت الضابط على وجهه، فتفجر الغضب على ملامحه وأمسك بذراع دانا بقوة.

"أنت مقبوض عليك يا سيدتى".

وجذب دانا إلى الرصيف وأمسك بها بيد واحدة وشرع يتحدث عبر جهازه اللاسلكى: "أريد سيارة دورية".

تسمر الرجلان مكانهما، وظلا ينظران إلى بعضهما البعض، غير قادرين على تحديد ما يجب عمله.

نظرت دانا تجاههما وابتسمت، بينما وصل إلى سمعها صوت صفارة سيارة نجدة تقترب، وخلال عدة ثوان، وصلت سيارة الشرطة وتوقفت أمام دانا وضابط المرور.

ظل الرجلان يتطلعان فى عجز إلى ضباط الشرطة وهم يضعون دانا فى المقعد الخلفى لسيارة الدورية، وينطلقون بها إلى أقرب مركز شرطة.

وفى مركز الشرطة، قالت دانا: "من حقى أن أجرى مكالمة هاتفية واحدة، أليس كذلك؟".

قال الضابط المناوب: "نعم".

ناول الضابط الهاتف إلى دانا. وأجرت دانا مكالمتها الوحيدة".

على بعد عدة مربعات سكنية، كان الرجل الذى يمسك بكيمال من ياقة قميصه يجذبه إلى سيارة ليموزين تنتظر عند الحاجز، ومحركها يدور.

قال كيمال فى توسل: "من فضلك ! من فضلك اتركنى".

"اخرس أيها الصبى".

كان هناك أربعة من جنود مشاة البحرية يمرون بالمكان فى ملابسهم المدنية.

فصرخ كيمال: "أنا لا أريد الذهاب معك إلى الزقاق".

نظر الرجل إلى كيمال باستغراب وقال: "ماذا تقول؟".

قال كيمال: "من فضلك لا تأخذنى إلى الزقاق"، ثم التفت كيمال إلى الجنود الأربعة وقال: "إنه يريد أن يدفع لى خمسة دولارات لكى أذهب معه إلى الزقاق، وأنا لا أريد الذهاب".

توقف الجنود عن السير، وهم يحدقون النظر إلى الرجل، ثم صاح أحدهم: "أيها المنحرف القذر....".

تراجع الرجل للخلف وهو يقول: "كلا، كلا. انتظروا، أنتم لا تفهمون الأمر....".

فقال أحد الجنود بحدة: "بل نفهم الأمر جيداً يا صاحبى. أبعد يديك عن الصبى". وأحاط الجنود بالرجل، فرفع يديه ليدافع عن نفسه، فانتهز كيمال الفرصة وانسل هارباً.

فى تلك اللحظة، نزل فتى تسليم بضائع عن دراجته، وهو يحمل فى يده رزمة، ثم بدأ السير باتجاه أحد المنازل، فقفز كيمال فوق الدراجة وانطلق بها بأقصى سرعة. نظر المختطف فى إحباط، بينما كان كيمال يدور حول ناصية الشارع ويختفى عن الأنظار، ثم عاد بنظراته إلى الجنود الأربعة وهم يطبقون عليه من كل جانب.

وفى داخل مركز الشرطة، انفتح باب زنزانة دانا بعد أن أطلق رنينه المعدنى المميز.

وقال الضابط المناوب: "يمكنك الذهاب يا آنسة إيفانس، لقد دفع أحدهم كفالتك".

فكرت دانا بسعادة: *لابد أنه مات ! لقد أدت المكالمة الهاتفية الغرض. إنه لم يضيع أى وقت.*

وبينما بدأت دانا تسير باتجاه المدخل، توقفت مكانها فجأة، فقد كان أحد مطارديها يقف هناك ـ منتظراً إياها.

ابتسم الرجل إلى دانا وقال: "يمكنك المغادرة يا أختى العزيزة. دعينا نعود إلى منزلنا". أمسك الرجل بذراع دانا بقوة وبدأ يدفعها إلى الشارع، وعندما عبرا الباب إلى الخارج، توقف الرجل فى مكانه مذعوراً. فقد كان هناك طاقم تصوير كامل من محطة (دبليو. تى. إن) الإخبارية يقف بانتظارهما.

"انظرى إلى هنا يا دانا....".

"دانا، أصحيح أنك قد صفعت رجل شرطة؟".

"هل يمكنك أن تخبرينا بما حدث؟".

"هل تحرش بك ضابط الشرطة؟".

"هل تنوين التقدم ببلاغ ضد ضابط الشرطة؟".

وفى هذه الأثناء كان المختطف ينزوى بعيداً، مغطياً وجهه بيديه.

فنادت عليه دانا: "ماذا جرى؟ ألا تريد أن تظهر فى نشرة الأخبار؟".

فهرب الرجل على الفور.

اقترب مات بيكر من دانا وقال: "دعينا نخرج من هذا المكان".

كانوا يجلسون بمكتب مات بيكر بمبنى التنفيذيين الخاص بمؤسسة واشنطن تريبيون، وظل كل من إيليوت كرومويل، ومات بيكر، وآبى لازمان، ينصتون لدانا خلال النصف ساعة السابقة فى صمت وإحساس بالصدمة.

"..... والوكالة الفيدرالية للأبحاث متورطة فى الأمر أيضاً. وهذا هو السبب الذى جعل الجنرال بوستر يحاول أن يمنعنى من استكمال التحقيق".

قال إيليوت كرومويل: "أنا مصدوم. كيف يعقل أن ننخدع جميعاً فى شخصية تايلور وينثروب؟ أظن أنه يجب علينا أن نتصل بالبيت الأبيض ونخبرهم بكل ما يحدث، لندعهم يتصلون بالنائب العام والمباحث الفيدرالية".

قالت دانا: "إيليوت، حتى الآن لا نمتلك سوى كلمتى ضد كلمة روجر هودسون. فمن تظنهم سيصدقون؟".

قالت آبى لازمان: "ألا يوجد فى أيدينا أى دليل؟".

قالت دانا: "إن شقيق ساشا شادانوف على قيد الحياة، وأنا واثقة أنه سيدلى بكل ما يعرفه. وما إن نكشف جانباً واحداً فى هذه القضية، سوف تنكشف جميع خيوطها من تلقاء نفسها".

التقط مات بيكر نفسا عميقا ونظر إلى دانا بإعجاب، قائلاً: "عندما تعملين على قضية، فإنك لا تتركينها حتى تكتشفى كل خباياها".

قالت دانا: "مات، ما الذى سنفعله بخصوص كيمال؟ أنا لا أعلم أين يمكننا أن نبحث عنه".

قال مات بحزم: "لا تقلقى. سوف نعثر عليه. وحتى نصل إليه، لابد أن نجد لك مكاناً آمناً تختبئين فيه بحيث لا يعثر عليك أحد".

قالت آبى لازمان: "يمكنك استخدام شقتى. لا أحد سيفكر فى البحث عنك هناك".

قالت دانا: "شكراً لك"، ثم التفتت إلى مات وقالت: "بخصوص كيمال.....".

"سوف نتصل بالمباحث الفيدرالية على الفور. سوف أجعل أحد سائقينا يقلك إلى شقة آبى. لقد صار الأمر بأيدينا الآن يا دانا. ستكون الأمور كلها على ما يرام. سوف أتصل بك عندما نتوصل إلى شيء بخصوص كيمال".

• • •

ظل كيمال يقود الدراجة على طول الشوارع المكسوة بالثلوج، وكان ينظر خلفه فى قلق بين اللحظة والأخرى. ولم يكن هناك أثر للرجل الذى اختطفه من قبل. فكر كيمال بيأس: *لابد أن أصل إلى دانا. لا يمكننى أن أدعهم يؤذونها.* المشكلة هى أن استوديو محطة (دبليو. تى. إن) يقع فى الطرف الآخر من وسط مدينة واشنطن.

عندما وصل كيمال إلى أحد مواقف الحافلات، نزل عن دراجته ودفعها إلى الرصيف المزروع بالعشب. وعندما اقتربت إحدى الحافلات، تحسس كيمال جيوبه ولاحظ أنه لا يمتلك أى نقود.

التفت كيمال إلى أحد المارة وقال: "عفواً، هل يمكنك أن تعطينى.....".

"إليك عنى أيها الصبى".

حاول كيمال أن يستعطف امرأة كانت تقترب، فقال: "عفواً، أنا بحاجة إلى ثمن تذكرة الحافلة...." لكن المرأة أسرعت من خطوتها وتجاهلته تماما.

وقف كيمال فى ذلك الطقس البارد، يرتجف بلا معطف يحميه، ثم أخذ يفكر: *لابد أن أحصل على ثمن تذكرة الحافلة.*

خلع كيمال ذراعه الصناعية ووضعها على العشب. وعندما مر السائر القادم، مد كيمال ذراعه المقطوعة وقال: "عفواً يا سيدى. هل يمكنك أن تعطينى ثمن تذكرة الحافلة؟".

توقف الرجل وقال: "بالطبع يا بنى"، ثم أعطى كيمال دولاراً.

"شكراً لك".

وعندما سار الرجل بعيداً، أعاد كيمال تثبيت ذراعه. كانت هناك حافلة تقترب على مسافة مربع سكنى واحد، ففكر كيمال بابتهاج: *لقد نجحت.* وفى تلك اللحظة، شعر بوخز فى مؤخرة رقبته. وبينما بدأ يستدير، بدأ كل شيء من حوله يدور ويغلفه الضباب. وبداخل عقله، كان هناك صوت يصرخ: *كلا، كلا!* ثم سقط كيمال أرضاً، فاقد الوعى. وبدأ المارة يتجمعون.

"ماذا حدث؟".

"هل أغشى عليه؟".

"هل هو بخير؟".

قال أحد الرجال: "إن ابنى مريض بالسكر، سوف أتولى رعايته" ثم رفع كيمال وحمله إلى سيارة ليموزين كانت بانتظاره.

كانت شقة آبى لازمان تقع فى الجزء الشمالى الغربى من واشنطن، وكانت شقة واسعة ومزينة بأثاث حديث مريح وسجاجيد بيضاء اللون. كانت دانا بالشقة بمفردها، تقطع غرفة المعيشة جيئة وذهابا وهى تشعر بفزع شديد، فى انتظار رنين الهاتف فى أى لحظة. كانت تفكر: *لابد أن كيمال بخير. ليس*

لديهم سبب لإيذائه. لابد أنه على ما يرام. لكن أين هو الآن؟ لماذا لا يستطيعون العثور عليه؟

وعندما رن جرس الهاتف، أفزع صوته دانا، لكنها سرعان ما اختطفت سماعة الهاتف وقالت: "مرحباً"، لكن الخط انقطع، ثم رن الهاتف مجدداً، ولاحظت دانا، أن هاتفها المحمول هو مصدر الرنين هذه المرة. شعرت بإحساس مفاجئ بالراحة، فضغطت على زر الاستجابة وقالت: "جيف؟".

لكن الصوت الذى وصل إلى أذنيها كان صوت روجر هودسون الهادئ: "لقد كنا نبحث عنك يا دانا. إن كيمال موجود هنا عندنا".

تسمرت دانا مكانها، وقد عجزت عن الحركة أو الكلام، وأخيراً همست: "روجر....".

"أخشى أننى لن أستطيع السيطرة على الرجال هنا لوقت أطول من هذا، إنهم يريدون قطع ذراع كيمال السليمة، فهل أتركهم يفعلون ذلك؟".

صرخت دانا: "كلا ! ماذا.... ماذا تريد؟".

قال روجر هودسون بعقلانية: "أريد أن أتحدث إليك فقط. أريدك أن تأتى إلى المنزل وبمفردك. إذا أحضرت أى شخص آخر، فلن أكون مسئولاً عما قد يحدث لكيمال".

"روجر....".

"سوف أنتظر حضورك فى غضون ثلاثين دقيقة"، ثم انقطع الخط.

وقفت دانا مكانها، وقد خدرها الخوف. *وأخذت تفكر: لا يجب أن يحدث أى شيء لكيمال. لا يجب أن يحدث أى شيء لكيمال.* وبأصابع مرتجفة، طلبت رقم هاتف مات بيكر، فجاوبها صوته المسجل:

"هذا مكتب مات بيكر. أنا لست بمكتبى فى هذه اللحظة، لكن يمكنكم ترك رسالة وسوف أعاود الاتصال بكم فى أسرع وقت ممكن".

انتظرت دانا حتى سمعت صوت الصفارة، ثم التقطت نفساً عميقاً وتحدثت عبر الهاتف: "مات، لقد....لقد جاءتنى مكالمة من روجر هودسون. إنه يحتجز كيمال فى منزله، وأنا ذاهبة إلى هناك الآن. من فضلك أسرع قبل أن يحدث شيء لكيمال ـ وأحضر الشرطة معك. أسرع !".

أغلقت دانا هاتفها المحمول واتجهت نحو باب الشقة.

• • •

كانت آبى لازمان تضع بعض الخطابات على مكتب مات بيكر عندما رأت الزر الذى يشير إلى وجود رسالة جديدة بهاتف مات يومض بشكل متكرر. أدخلت آبى كلمة السر الخاصة بمات بيكر وضغطت زر التشغيل، ثم وقفت مكانها تستمتع لرسالة دانا الصوتية، ثم ابتسمت وضغطت زر مسح الرسالة.

فى اللحظة التى هبطت فيها طائرة جيف فى مطار دولس، اتصل بهاتف دانا. وطوال مدة الرحلة، لم يتوقف جيف عن التفكير فى النبرة الغريبة التى ظهرت فى صوتها، وتلك الكلمات المقلقة: "إذا حدث لى شيء". ظل هاتفها المحمول يرن دون رد. ثم اتصل جيف برقم شقتها، فلم يجبه أحد هناك، وأخيراً أوقف سيارة أجرة وأعطى السائق عنوان استوديو محطة (دبليو. تى. إن).

عندما دلف جيف إلى حجرة الاستقبال الخاصة بمكتب مات بيكر، قالت آبى: "مرحباً جيف ! كم أنا سعيدة بعودتك".

قال جيف: "شكراً يا آبى"، ثم دلف إلى حجرة مكتب مات.

قال مات: "إذن فقد عدت. كيف حال ريتشيل؟".

أربك السؤال جيف للحظة، ثم قال بصدق: "إنها بخير. أين دانا؟ إنها لا ترد على هاتفها المحمول".

قال مات: "يا إلهى، أنت لا تدرى شيئاً عما كان يحدث، أليس كذلك؟".

قال جيف بحدة: "أخبرنى".

وفى مكتب الاستقبال، ألصقت آبى أذنها بالباب المغلق، لكنها لم تسمع سوى كلمات متناثرة من حديثهما: ".... وحاولوا قتلها.... ساشا شادانوف..... كراسنويارسك ـ ٢٦..... كيمال.... روجر هودسون.....".

أحست آبى أنها سمعت ما يكفيها، فأسرعت إلى مكتبها والتقطت سماعة الهاتف. وبعد لحظة، كانت تتحدث مع روجر هودسون.

وبداخل حجرة المكتب، كان جيف ينصت إلى مات وهو مذهول، ثم قال: "لا أكاد أصدق ما أسمعه".

قال مات: "إن كل ما قلته حقيقى. إن دانا موجودة فى شقة آبى. سوف أطلب من آبى أن تتصل بشقتها مرة أخرى". ضغط مات زر الهاتف الداخلى، لكن قبل أن ينطق بشيء، سمع صوت آبى وهى تتحدث عبر الهاتف:

"..... وجيف كونورز موجود هنا الآن. إنه يبحث عن دانا. أظن أن من الأفضل أن تخرجها من هناك، لأننى أظنهم فى طريقهم إليها.... حسناً. سوف أتولى ذلك يا سيد هودسون. إذا....".

سمعت آبى صوتاً فاستدارت. كان جيف كونورز ومات بيكر يقفان عند مدخل باب المكتب ويحدقان النظر إليها.

صاح مات: "أيتها الساقطة".

التفت جيف إلى مات وقال بحدة: "يجب أن أذهب إلى منزل آل هودسون. سوف أحتاج إلى سيارة".

نظر مات بيكر إلى خارج النافذة، وقال: "لن تصل إلى هناك فى الوقت المناسب. إن المرور مزدحم بشكل كبير".

ومن مهبط الطائرة الهليوكوبتر بسطح المبنى، سمعا صوت الطائرة الخاصة بالشبكة وهى تهبط، فنظر كلا الرجلين إلى الآخر.

٢٥

تمكنت دانا من استقلال سيارة أجرة من أمام المبنى الذى تقع فيه شقة آبى لازمان، لكن الانتقال إلى منزل آل هودسون بدا وكأنه يأخذ دهراً كاملاً، فقد كانت حركة المرور على الشوارع المنزلقة بفعل الثلوج بطيئة بشكل لا يصدق، مما أشعر دانا بالرعب من أن يكون الوقت قد تأخر لإنقاذ كيمال.

قالت دانا للسائق فى نبرة توسل: "أسرع من فضلك".

نظر إليها السائق عبر المرآة العكسية وقال: "أنا لا أقود طائرة يا سيدتى".

تراجعت دانا إلى الوراء متشبعة بالقلق، وهى تفكر فيما ينتظرها هناك: *لابد أن مات قد وصلته رسالتى الآن واتصل بالشرطة. وعندما أصل إلى هناك، من المرجح أن يكون رجال الشرطة قد وصلوا إلى هناك أيضاً. وإذا لم أجدهم قد وصلوا بعد، يمكننى أن أحاول كسب الوقت حتى يصلوا.* فتحت دانا حقيبة يدها، فوجدت أن رذاذ الفلفل الحارق لا يزال بداخلها، وكان ذلك أمرًا جيدًا، فهى لم تكن تنوى أن تكون ضحية سهلة لروجر وباميلا.

عندما اقترب التاكسى من منزل آل هودسون، نظرت دانا من النافذة كى تبحث عن أى أثر لوجود سيارات أو رجال شرطة، فلم تجد شيئًا. وعندما سارت السيارة داخل الطريق الخاص بالمنزل، كان الطريق مهجورا، فشعرت دانا بالخوف يكبلها.

تذكرت دانا زيارتها الأولى إلى ذلك المنزل، وكيف بدا لها روجر وباميلا كشخصين فى قمة الروعة، لكن اتضح أنهما خائنان وقاتلان عديما الرحمة. والآن صار كيمال بحوزتهما. وكان ذلك كفيلاً بأن تشعر دانا نحوهما بكراهية لا توصف.

سألها سائق التاكسى: "أتريدين منى أن أنتظرك؟".

ردت دانا: "كلا"، ثم دفعت له أجرته وصعدت الدرجات المؤدية إلى المدخل الأمامى ورنت الجرس ودقات قلبها تتسارع.

فتح سيزار الباب. وعندما رأى دانا، تهلل وجهه وقال: "مرحباً آنسة إيفانس".

وبإحساس غامر بالإثارة، أدركت دانا فجأة أن لها حليفاً بالمنزل، فمدت يدها وهى تقول: "مرحبا سيزار".

أمسك سيزار بيدها داخل يده الضخمة وقال: "أنا سعيد برؤيتك يا آنسة إيفانس".

"وأنا أيضاً سعيدة برؤيتك يا سيزار". كانت دانا تعنى ما تقوله، وكانت على يقين أن سيزار سوف يساعدها، لكن السؤال الوحيد هو متى يجب أن تفاتحه فى الأمر. نظرت دانا حولها وقالت: "سيزار.....".

"إن السيد هودسون بانتظارك يا آنسة إيفانس".

"حسنًا"، ربما لم يكن هذا هو الوقت المناسب.

تبعت دانا سيزار عبر الرواق الطويل وهى تتذكر الأشياء الغريبة التى حدثت منذ أن سارت بداخل ذلك الرواق للمرة الأولى. ووصلا إلى حجرة المكتب، فوجدا روجر يجلس على مكتبه، يملأ حقيبة مستندات.

قال سيزار: "لقد وصلت الآنسة إيفانس".

رفع روجر نظره لأعلى، وشاهدت دانا سيزار وهو يغادر المكان، وكانت على وشك أن تناديه ليرجع.

"حسناً، تفضلى بالدخول يا دانا".

دلفت دانا إلى داخل الحجرة، وتطلعت إلى روجر بنظرات يملؤها الغضب الشديد، ثم قالت: "أين كيمال؟".

قال روجر هودسون: "آه، ذلك الصبى اللطيف".

"إن الشرطة فى الطريق إلى هنا يا روجر، وإذا فعلت أى شىء بأى منا...".

قال روجر: "أوه، أنا لا أعتقد أنه يجب أن نقلق بشأن الشرطة يا دانا"، ثم تقدم من دانا، وقبل أن تدرك ما كان يفعله، اختطف حقيبة يدها وبدأ يفتش فيها وهو يقول: "لقد أخبرتنى باميلا بأنك تحملين معك رذاذ الفلفل الحارق. لقد كنت مشغولة فى الفترة الماضية، أليس كذلك يا دانا؟"أخرج روجر عبوة الرذاذ الحارق، ثم رفعها إلى أعلى، ورش بعضا منها فى وجه دانا فصرخت دانا من شدة الألم.

"أوه، أنت لا تعلمين ما هو الألم حتى الآن يا عزيزتى، لكنى أؤكد لك أنك ستكتشفين معناه قريبا".

كانت الدموع تنهمر على وجنتى دانا، فحاولت أن تمسح السائل الحارق بيدها، وانتظر روجر بهدوء حتى انتهت، ثم رش السائل الحارق على وجهها مجددا.

قالت دانا وهى تنتحب: "أريد أن أرى كيمال".

"بالطبع تريدين رؤيته، وكيمال يريد رؤيتك أيضاً. إن الصبى مرعوب للغاية يا دانا، أنا لم أر فى حياتى شخصا مرعوبا إلى هذه الدرجة، فهو يعلم أنه سيموت، ولقد أخبرته بأنك ستموتين أيضاً. أنت تعتقدين أنك كنت ذكية، أليس كذلك يا دانا؟ الحقيقة هى أنك كنت ساذجة للغاية، وكنا نستغلك من أجل أهدافنا. كنا نعلم أن مسئولاً فى الحكومة الروسية على علم

بما نفعله ويخطط لفضح أمرنا، لكننا لم نستطع تحديد هويته. لكنك قد فعلت ذلك نيابة عنا، أليس كذلك؟".

وعلى الفور، مرت ذكرى المشهد الدامي لجثتي ساشا شادانوف وصديقته بعقل دانا.

"لقد كان ساشا شادانوف وأخوه بوريس في غاية الذكاء. نحن لم نعثر على بوريس حتى الآن، لكننا سنفعل ذلك لا محالة".

"روجر، إن كيمال لا علاقة بكل هذا. دعه....".

"لا أظن ذلك يا دانا، لقد بدأت أقلق بشأنك للمرة الأولى عندما قابلت تعيسة الحظ جوان سينسى. كانت جوان قد سمعت تايلور وينثروب يتحدث مرة عن خطة روسية، لكنه كان يخشى أن يقتلها لأنها سكرتيرته واسمها مرتبط به. لذلك قام بفصلها. وعندما أقامت ضده دعوى فصل تعسفي، عقد معها تسوية، بشرط ألا تتحدث عن تلك المسألة مع أى شخص". تنهد روجر وأردف: "لذا أخشى أنك المسئولة عن ذلك "الحادث" الذى تعرضت له جوان سينسى".

"روجر، إن جاك ستون يعرف.....".

هز روجر هودسون رأسه وقال: "لقد كان جاك ستون ورجاله يراقبون كل حركة تقومين بها، وكان بإمكاننا أن نتخلص منك في أى وقت، لكننا انتظرنا حتى تأتينا بالمعلومات التى نحتاج إليها. والآن لم يعد لك أى فائدة".

"أريد أن أرى كيمال".

"لقد فات أوان ذلك. أخشى أن كيمال المسكين قد تعرض لحادث".

نظرت إليه دانا بفزع وقالت: "ما الذى فعلتـ...".

"لقد قررنا أنا وباميلا أن حريقاً لطيفاً هو أفضل وسيلة للقضاء على حياة كيمال البائسة، ولذلك أرسلناه إلى مدرسته. لقد كان تصرفا شقيا من قبله أن يتسلل إلى المدرسة يوم العطلة، وقد ساعده جسمه الصغير على الدخول من نافذة سرداب المدرسة".

ملأ الغضب الأعمى كل جوانح دانا، فصرخت في وجهه: "أيها القاتل المتوحش. لن تنجو بفعلتك هذه".

"كم تخيبين ظني يا دانا باستخدامك لتلك العبارات التقليدية ! إن ما لا تفهمينه هو أننا قد نجونا بفعلتنا هذه بالفعل". وعاد روجر إلى مكتبه وضغط أحد الأزرار. وبعد لحظة، ظهر سيزار.

"نعم يا سيد هودسون".

"أريدك أن تعتني بالآنسة إيفانس، واحرص على بقائها على قيد الحياة عند وقوع الحادث".

"نعم يا سيد هودسون. سوف أتولى هذه المسألة".

لقد كان سيزار متورطاً معهم. لم تكن دانا قادرة على تصديق ما تسمع، فقالت: "روجر، أنصت إلى....".

أمسك سيزار بذراع دانا وبدأ يجذبها إلى خارج الغرفة.

"روجر.....".

"وداعا يا دانا".

أحكم سيزار قبضته على ذراع دانا، ودفعها أمامه على طول الرواق، وعبر المطبخ ثم الى خارج المنزل، حيث كانت سيارة ليموزين بانتظارهما.

كانت المروحية التابعة لشبكة (دبليو. تى. إن) تقترب من منزل آل هودسون.

قال جيف لنورمان برونسون: "يمكنك أن تهبط بها فوق عشب الحديقة و....". لكنه توقف عندما نظر إلى أسفل ورأى سيزار يدفع دانا إلى داخل السيارة الليموزين، وأخيراً قال جيف: "كلا ! انتظر لحظة".

بدأت الليموزين تتحرك فوق الطريق الخاص بالمنزل، ثم إلى الطريق العام.

قال نورمان برونسون: "ماذا تريدنى أن أفعل؟".

"اتبع تلك الليموزين".

وبداخل الليموزين، قالت دانا: "أنت لا تريد أن تفعل ذلك يا سيزار. أنا....".

"اخرسى يا آنسة إيفانس".

"سيزار، أنصت إلى، أنت لا تعرف هؤلاء الناس على حقيقتهم. إنهم قتلة. أنت رجل محترم. لا تجعل السيد هودسون يجبرك على فعل شيء لا تريد....".

"إن السيد هودسون لا يجبرنى على فعل أى شيء. أنا أقوم بذلك من أجل السيدة باميلا هودسون"ثم نظر إلى دانا عبر المرآة الخلفية وابتسم قائلا: "إن السيدة باميلا تتولى رعايتى بشكل جيد".

نظرت إليه دانا وهى مصدومة. ثم فكرت: *لا يمكن أن أدع ذلك يحدث.* وأخيرا سألته: "إلى أين تأخذنى؟".

قال سيزار: "إلى حديقة روك كريك العامة"، ولم يكن هناك داع لكى يضيف: *حيث سأقتلك.*

كان كل من روجر وباميلا هودسون، وجاك ستون، والسيدة دالى يجلسون داخل سيارة عائلية من طراز ستيشن واجن، متجهين إلى مطار واشنطن ناشونال.

قال جاك ستون: "إن الطائرة مستعدة للإقلاع. والطيار الخاص بك لديه خطة الطيران إلى موسكو".

قالت باميلا هودسون: "كم أكره الطقس البارد. أتمنى أن تحترق تلك الساقطة بنار الجحيم جزاء لما ستجعلنى أعانيه".

تساءل روجر هودسون: "وماذا عن كيمال؟".

"من المفترض أن يندلع الحريق فى المدرسة بعد عشرين دقيقة من الآن، والصبى موجود فى سرداب المدرسة وقد تم تخديره بشدة".

بدأ اليأس يتسلل إلى قلب دانا. فقد كانت السيارة تقترب من حديقة روك كريك، وبدأت حركة المرور تنخفض بشدة.

وكانت كلمات روجر هودسون ترن فى أذنيها:

إن كيمال مرعوب للغاية يا دانا، أنا لم أر فى حياتى شخصاً مرعوباً إلى هذه الدرجة. فهو يعلم أنه سيموت، ولقد أخبرته بأنك ستموتين أيضاً.

• • •

وبداخل المروحية التى تتعقب السيارة الليموزين، قال نورمان برونسون: "إنه يستدير يا جيف. يبدو أنه متجه إلى حديقة روك كريك العامة".

"لا تفقد أثره".

وفى مقر الوكالة الفيدرالية للأبحاث، اندفع الجنرال بوستر إلى داخل حجرة مكتبه، وسأل أحد معاونيه: "ما الذى كان يحدث هنا بحق السماء؟".

"لقد أخبرتك يا سيدى الجنرال. بينما كنت مسافراً، قام الرائد جاك ستون بتجنيد بعض من أفضل رجالنا، وهم مشتركون فى عملية كبيرة مع روجر هودسون. لقد كانوا يستهدفون دانا إيفانس. انظر إلى هذا". وضغط معاونه أحد أزرار جهاز حاسوبه، فظهر على الشاشة مشهد لدانا وهى عارية بداخل حمام غرفتها بفندق بريدنباشر هوف.

ضاقت ملامح الجنرال بوستر وهو يقول: "يا إلهى!"، ثم التفت إلى معاونه وقال: "وأين جاك ستون؟".

"لقد اختفى، سوف يغادر البلاد بصحبة آل هودسون".

صاح الجنرال بوستر: "اتصل بالمسئولين عن مطار واشنطن ناشونال".

وبداخل المروحية، نظر نورمان برونسون إلى أسفل وقال: "إنهما يتجهان ناحية الحديقة العامة يا جيف. وما إن يصلوا إلى هناك، لن نستطيع أن نهبط بالمروحية بسبب الأشجار".

قال جيف بلهجة آمرة: "يجب أن نوقفهم. هل يمكنك أن تهبط بالمروحية أمامهم على الطريق؟".

"بالتأكيد".

"إذن قم بذلك".

دفع نورمان عصا القيادة إلى الأمام، فبدأت المروحية في الهبوط. عبر بالمروحية من فوق الليموزين، ثم شرع يهبط بها إلى الأرض بلطف. هبطت المروحية على الطريق، أمام الليموزين بعشرين ياردة، ثم شاهدا عجلات السيارة وهي تحتك بالأرض بقوة ثم تتوقف تماماً.

قال جيف: "أوقف محرك المروحية".

"لا يمكننا أن نفعل ذلك. سوف نصبح تحت رحمة ذلك الرجل. إذا.....".

"أوقف المحرك".

نظر إليه نورمان برونسون وقال: "هل أنت واثق أنك تعرف ما تفعله؟".

"كلا".

تنهد نورمان وأطفأ محرك المروحية، فبدأت ريشات المروحية تبطئ من سرعتها حتى توقفت تماماً. ونظر جيف إلى خارج النافذة.

وكان سيزار قد فتح الباب الخلفي لليموزين وهو يقول لدانا: "إن صديقك يحاول أن يسبب لنا المتاعب"، ثم انطلقت قبضته بقوة لترتطم بفك دانا. سقطت دانا إلى الوراء في مقعدها وقد فقدت الوعي، ثم اعتدل سيزار وبدأ يسير باتجاه المروحية.

قال نورمان: "ها هو قد أتى. يا إلهي، إنه عملاق !".

كان سيزار يقترب من المروحية، ووجهه يمتلئ بالترقب.

قال نورمان: "جيف، لابد أن معه مسدساً، سوف يقتلنا لا محالة".

صاح جيف من خارج النافذة: "أنت ورئيسك ستذهبان إلى السجن أيها الحقير".

بدأ سيزار يسير بسرعة أكبر.

"لقد انتهى أمرك. ربما كان من الأفضل أن تسلم نفسك".

صار سيزار على بعد خمسة عشر ياردة من المروحية.

"سوف تصبح تسلية المساجين في السجن".

صار سيزار على بعد عشر ياردات.

"سوف يروق لك السجن يا سيزار، أليس كذلك؟".

صار سيزار يركض الآن. وقد وصل إلى مسافة خمس ياردات.

ضغط جيف بإبهامه فوق زر إشعال المحرك، فبدأت ريشات المروحة في الدوران ببطء. لم يعط سيزار اهتماما لذلك، فقد كانت عيناه تركزان على جيف، وكان وجهه يمتلئ بكراهية لا توصف. بدأت سرعة ريشات المروحة تتزايد أكثر. وعندما وصل سيزار إلى باب المروحية، أدرك فجأة ما كان يحدث، لكن كان الوقت قد فات. تفجرت الدماء بصوت مرتفع، وأغلق جيف عينيه ليحميهما من الدماء التي لطخت المروحية من الداخل والخارج.

قال نورمان برونسون: "أظن أنني سأتقيأ"، ثم أطفأ محرك المروحية.

نظر جيف إلى الجثة الملقاة على الأرض، وقفز من المروحية، وانطلق يعدو إلى الليموزين، وفتح الباب الخلفي، فوجد دانا ما زالت فاقدة الوعي.

"دانا.... حبيبتي....".

فتحت دانا عينيها ببطء، ثم نظرت إلى جيف وتمتمت: "كيمال.....".

كانت الليموزين على مسافة ميل تقريباً من مدرسة لينكولن الإعدادية عندما صاح جيف: "انظرى". فعلى مسافة أمامهم، كان بإمكانهم رؤية الدخان الذى بدأ يغلف السماء بلونه الداكن.

صرخت دانا: "إنهم يحرقون المدرسة وكيمال بداخلها، إنهم يحبسونه داخل سرداب المدرسة".

"يا إلهى".

وبعد دقيقة، وصلت الليموزين إلى المدرسة، والتى كانت هناك سحابة ثقيلة قاتمة تتصاعد من مبناها، وكان هناك عشرات من الإطفائيين يحاولون إخماد النيران.

قفز جيف من السيارة وبدأ يركض باتجاه المدرسة، فأوقفه أحد رجال الإطفاء.

"لا يمكنك الاقتراب أكثر من ذلك يا سيدى".

تساءل جيف: "أكان هناك أحد بالداخل؟".

"كلا، لقد اقتحمنا البوابة الأمامية للتو".

قال جيف: "هناك طفل محبوس داخل سرداب المدرسة". وقبل أن يتمكن أحدهم من إيقافه، عبر جيف البوابة المحطمة وجرى للداخل. كان المكان معبأ بالدخان، فحاول جيف أن ينادى على كيمال، لكن ما خرج من فمه كان مجرد سعال. غطى جيف أنفه بمنديل وانطلق يعدو بالرواق حتى وصل إلى درجات السلم المؤدية إلى السرداب. كان الدخان ثقيلا ومتشبعا بالأحماض. فأخذ جيف يتحسس طريقه وهو يهبط درجات السلم، ممسكاً بعمود الدرابزين.

نادى جيف: "كيمال". لكن لم يجبه أحد. فنادى ثانية: "كيمال". ومجددا لم يسمع إلا صوت الصمت. رأى جيف شكلاً غير واضح فى نهاية الجانب الآخر من السرداب. فتحرك تجاهه، محاولا ألا يستنشق الدخان، وقد بدأ يحس بالتهاب فى رئتيه. وكاد يتعثر فوق جسد كيمال، ثم أخذ يهز الصبى منادياً: "كيمال". لكن كيمال كان فاقد الوعى. وبمجهود خرافى،

حمل جيف جسد كيمال وبدأ يتحرك به تجاه درجات السلم. كان الدخان يخنقه ويعمى عينيه، وكان يسير مترنحاً خلال السحابة السوداء القاتمة، حاملاً كيمال بين ذراعيه. وعندما وصلا إلى بداية السلم، حمل جيف جسد كيمال نصف الدرجات وسحبه نصفها. وعندما وصلا إلى أعلى السلم، سمع جيف أصواتاً قريبة، ثم أظلمت الدنيا تماماً من حوله.

كان الجنرال بوستر يتحدث عبر الهاتف مع ناثان نوفيرو - مدير مطار واشنطن ناشونال.

"هل يحتفظ روجر هودسون بطائرته الخاصة فى حظائر مطاركم؟".

"نعم يا سيدى الجنرال. فى الواقع، إن روجر هودسون موجود هنا الآن، وأعتقد أنه قد حصل على تصريح بالإقلاع منذ لحظات".

"ألغ هذا التصريح".

"ماذا؟".

"اتصل ببرج المراقبة وامنع إقلاع الطائرة".

"حسنا يا سيدى الجنرال". وعلى الفور، اتصل ناثان نوفيرو ببرج المراقبة: "برج المراقبة، ألغوا عملية إقلاع الطائرة جولفستريم - ٣٤٨٧".

أجاب مسئول المراقبة الجوية: "إن الطائرة تسير فى ممر الإقلاع بالفعل".

"ألغوا تصريح إقلاعها".

"حسنا يا سيدى". التقط مسئول المراقبة الجوية جهاز الميكروفون وتحدث عبره: "من برج المراقبة إلى الطائرة جولفستريم - ٣٤٨٧. لقد ألغى تصريح الإقلاع، عودوا إلى حظيرة الطائرات. ألغوا عملية الإقلاع. أكرر، ألغوا عملية الإقلاع".

دخل روجر هودسون إلى كابينة الطيار وهو يصيح: "ما الذى يحدث بحق الجحيم؟".

قال الطيار: "لابد أن هناك نوعاً من التأخير، سنضطر إلى العودة إلى....".

قالت باميلا هودسون: "كلا ! استمر فى عملية الإقلاع".

"مع كل الاحترام يا سيدتى، لكننى سوف أفقد رخصتى كطيار إذا....".

تحرك جاك ستون إلى جوار الطيار وصوب مسدسه إلى رأسه وهو يقول: "أقلع بالطائرة. نحن متجهون إلى روسيا".

التقط الطيار نفساً عميقاً وقال: "حسناً يا سيدى".

زادت الطائرة من سرعة سيرها فوق ممر الإقلاع، وفى خلال عشرين ثانية، كانت الطائرة قد أقلعت. تطلع مدير المطار فى رعب إلى الطائرة جولفستريم وهى ترتفع أكثر فى قلب السماء.

وقال: "اللعنة ! لقد تحدى....".

وعلى الهاتف، كان الجنرال بوستر يصيح: "ما الذى يحدث؟ هل أوقفتموهم؟".

"كلا يا سيدى، لقد.... لقد أقلعوا، ولا توجد طريقة نستطيع بها أن نجبرهم على....".

وفى تلك اللحظة دوى انفجار هائل فى قلب السماء. وبينما وقف طاقم برج المراقبة يشاهدون فى رعب، بدأت أجزاء محترقة من جسم الطائرة جولفستريم تتساقط كالمطر فوق أرض المطار.

وعند الطرف البعيد لمنطقة الإقلاع، ظل بوريس شادانوف يشاهد المنظر لمدة طويلة. وأخيرًا استدار وبدأ يسير بعيدًا عن المكان.

٢٦

تناولت والدة دانا قضمة من كعكة الزفاف.

وقالت: "إنها محلاة بشكل زائد. عندما كنت أصغر سناً، اعتدت أن أخبز الكعك، وكانت كعكاتى تذوب فى الفم". ثم التفتت إلى دانا وقالت: "أليس ذلك صحيحاً يا عزيزتي؟".

كان تعبير "تذوب في الفم "هو آخر ما يمكن أن تصف به دانا كعكات والدتها، لكن الأمر لم يكن مهماً، فقالت دانا بابتسامة دافئة: "بالطبع يا أمي".

أجريت مراسم الزفاف على يد قاض فى قاعة البلدية. وكانت دانا قد دعت والدتها لحضور الزفاف فى اللحظة الأخيرة، بعد أن تلقت منها مكالمة هاتفية مفاجئة.

قالت فيها والدتها: "عزيزتى، أنا لن أتزوج ذلك الرجل الحقير. لقد كنت أنت وكيمال محقين بشأنه، ولهذا أردت أن أخبرك بأننى قد عدت إلى فيجاس".

"ما الذى حدث يا أمي؟".

"لقد اكتشفت أنه متزوج بالفعل، وأن زوجته لا تحبه هى الأخرى".

"أنا آسفة يا أمى ".

"والآن عدت وحيدة مجدداً".

كانت كلمة "وحيدة "هى المعنى الذى قصدته والدة دانا، ولهذا دعتها دانا لحضور الزفاف، ولما رأت دانا والدتها تثرثر مع كيمال وتتذكر اسمه أيضا، ابتسمت وتمتمت فى سرها: *ما زال هناك أمل فى تحويلها إلى جدة صالحة*. شعرت دانا بأن السعادة التى تشعر بها أكبر مما يمكنها استيعابه. فمجرد زواجها من جيف كان أمراً يشبه المنحة الإلهية، لكن كان هناك المزيد من المنح.

بعد الحريق، ذهب جيف وكيمال إلى المستشفى لساعات قليلة لكى يعالجا من آثار الدخان، وبينما كانا هناك، تحدثت إحدى المرضات إلى صحفى عن مغامرات كيمال، والتقطت وسائل الإعلام القصة. ونشرت صورة كيمال بالصحف ورويت قصته فى برنامج تليفزيونى، والآن يقوم أحد الروائيين بكتابة رواية عن حياة كيمال، وصار هناك حديث عن مسلسل تليفزيونى سيخرج إلى النور فى القريب.

لكن كيمال قال بإصرار: "سأسمح لهم بذلك إذا جعلونى أقوم بدور البطل "، لقد صار كيمال بطل مدرسته.

وعندما جرت المراسم الرسمية للكفالة، حضرها نصف تلاميذ المدرسة لكى يحيوا كيمال.

قال كيمال: "لقد صرت ابناً مكفولاً بشكل رسمى، أليس كذلك؟".

رد جيف ودانا: "نعم، لقد صرت ابننا، نحن الآن عائلة واحدة ".

قال كيمال: "رائع ". وتمتم فى سره: *لم يبق سوى أن يعرف ريكى آندروود بهذا ليموت غيظاً*.

بدا الكابوس المفزع الذى احتل حياة دانا فى الشهر الماضى يتلاشى سريعاً. لقد صار ثلاثتهم عائلة واحدة الآن، وصارت شقتهم هى حصن الأمان والراحة. فكرت دانا: *لست بحاجة إلى أية مغامرات أخرى. لقد نلت من المغامرات ما يكفينى عمراً كاملاً*.

وفى صباح يوم ما، قالت دانا: "لقد عثرت على شقة جديدة رائعة تكفينا نحن الأربعة ".

قال جيف مصححا: "تقصدين نحن الثلاثة".

قالت دانا بصوت خافت: "كلا، نحن الأربعة ".

حدق جيف النظر إليها فى اندهاش.

فقال كيمال موضحا: "إنها تقصد أنها حامل، أتمنى أن يكون ولدا حتى نلعب كرة السلة معاً".

كانت هناك أنباء جيدة أخرى. لقد تلقت الحلقة الأولى من برنامج *خط الجريمة* ـ والتى كان عنوانها "قصة روجر هودسون؛ مؤامرة للقتل "ـ تقييما نقديًا رائعًا ومشاهدة جماهيرية منقطعة النظير، مما جعل مات بيكر وإيليوت كرومويل يطيران من السعادة.

وقال إيليوت كرومويل لدانا: "من الأفضل أن تجهزى مكاناً بشقتك تضعين فيه جائزة إيمى للتميز الإعلامى ".

أما المنغص الوحيد فكان وفاة ريتشيل ستيفنس بمرض السرطان. ظهر الخبر فى طبعات الصحف، وكان جيف ودانا على علم بما حدث، لكن عندما ظهر الخبر على جهاز التلقين الآلى فى استوديو النشرة المسائية، نظرت إليه دانا واختنقت بالدموع.

ثم همست لزميلها المذيع ريتشارد ميلتون: "لا يمكننى قراءة الخبر". فقرأه ريتشارد بنفسه.

وتمتمت دانا سراً: *لترقد روحها فى سلام*.

كانت دانا تذيع نشرة الأخبار المسائية:

"..... وفى الشئون المحلية، يحاكم حارس أمن بمنطقة سبوكان، بواشنطن بتهمة قتل عاهرة فى السادسة عشرة من عمرها ويشتبه فى قيامه بقتل ست عشرة فتاة أخرى. .... وفى صقلية، تم العثور على جثة مالكوم بيومونت - أحد عمالقة صناعة الحديد والبالغ من العمر سبعين عاماً - غارقاً فى أحد حمامات السباحة. كان مالكوم يقضى شهر العسل بصحبة زوجته الجديدة والتى تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، وكان بصحبتهما شقيقا العروس، والآن إليكم نشرة أحوال الطقس مع مارفين جرين.

عندما انتهت نشرة الأخبار، ذهبت دانا لمقابلة مات بيكر.

"هناك شيء يزعجنى يا مات".

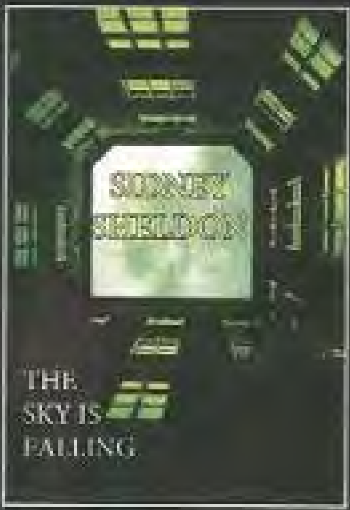
"ما هو ؟ أخبرينى به وسوف أقضى عليه".

"الأمر بخصوص قصة المليونير ذى السبعين عاماً والذى لقى حتفه غرقا بينما كان يقضى شهر العسل بصحبة عروسه الشابة، ابنة الخامسة والعشرين. ألا ترى أن وفاته بهذه الطريقة تخدم مصلحة العروس بطريقة تثير الشبهات؟".

كلمة المؤلف

هذه الرواية هى مجرد عمل تخيلى بحت، لكن مدينة كراسنويارسك - ٢٦ السرية التى تقع تحت سطح الأرض هى حقيقة واقعة، وهى إحدى ثلاث عشرة مدينة مغلقة تنخرط فى إنتاج المواد الذرية، وتقع مدينة كراسنويارسك - ٢٦ فى وسط سيبيريا، على بعد ألفى ميل من العاصمة موسكو، ومنذ إنشائها عام ١٩٥٨، أنتجت ما يزيد على خمسة وأربعين طنا من البلوتونيوم المستخدم فى صنع الأسلحة الذرية. وعلى الرغم من أن اثنين من مفاعلاتها المنتجة للبلوتونيوم قد أغلقا عام ١٩٩٢، فلا يزال لديها مفاعل نشط، ينتج سنوياً نصف طن من البلوتونيوم، والذى يمكن استخدامه لصنع القنابل الذرية.

وكانت هناك تقارير تشير إلى حدوث سرقات فى مخزون البلوتونيوم، مما دعا هيئة الطاقة الأمريكية إلى التعاون مع الحكومة الروسية على زيادة الضوابط الأمنية من أجل إيقاف عمليات بيع المواد الذرية إلى بقية دول العالم.



سيدني شيلدون

السماء تتهاوى

كانت عائلة وينثروب أشبه ما تكون بالعائلة الملكية فى الولايات المتحدة، وكان أميرها المتوج هو الساحر المثير جارى وينثروب، لكن الرجل الذى كان على وشك أن يصبح النجم الجديد لمجلس الشيوخ الأمريكى وجد مقتولاً فى منزله. وتعد وفاة جارى وينثروب آخر سلسلة الحوادث التى تعرض لها خمسة أفراد من عائلته وأودت بحياتهم خلال عام واحد. وكانت دانا إيفانس، مذيعة نشرة الأخبار بواشنطن، واحدة ممن رأوا جارى وينثروب حياً للمرة الأخيرة. ولقد صممت دانا إيفانس على التحقيق فى تلك الحوادث التى تبدو عشوائية، غير مدركة أن تحقيقها هذا سوف يجعلها تتنقل بين عدة دول، وسوف يعرضها، هى وابنها بالكفالة.

القصاص العالمى البارع الذى طُبع من رواياته ما يزيد على ٣٠٠ مليون نسخة

6 281072 062095
282204553